بنیاد پژوهشهای اسلامی
آستان قدس رضوی

الطبعة الرابعة

تذكرة المتّقين

في آداب السلوك وتزكية النفس

السالك العارف والعالم العامل الشّيخ محمّد البهاريّ الهمدانيّ

تعريب: عبدالرحيم مبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكرة المتّقين

في آداب السلوك و تزكية النفس

السالك العارف و العالم العامل

الشيخ محمد البهاري الهمداني

تعريب

عبدالرحيم مبارك

بهاري همداني، محمّد بن محمّد، ١٢٦٥ ـ ١٣٢٥ق.
تذكرة المتّقين في آداب السلوك و تزكية النفس/ محمّد البهاري الهمداني؛ تعريب عبدالرحيم مبارك . ـ مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤٢٤ق. = ١٣٨٢ش.
٢٤٠ ص.
ISBN 978-964-444-545-3
فهرست‌نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
١. اخلاق اسلامى. ٢. بهارى همدانى، محمّد بن محمّد، ١٢٦٥ـ ١٣٢٥ق. ـ نامه‌ها. الف. بنياد پژوهشهاى اسلامى. ب. مبارك عبدالرحيم، مترجم. ج. عنوان.
٤ت / ٩ب / BP ٢٤٦ ٢٩٧ / ٦١
كتابخانهٔ ملى جمهورى اسلامى ايران ٨١ م ـ ٣٨٧٢٥

تذكرة المتّقين

في آداب السلوك و تزكية النفس

الشيخ محمّد البهاريّ الهمدانيّ

تعريب: عبدالرحيم مبارك

الطبعة الرابعة: ١٤٣٥ق./ ١٣٩٣ش./ ١٠٠٠ نسخة

٨٤٠٠٠ ريال إيراني

الطباعة: مؤسّسة الطّبع والنشر التّابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة
مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قمّ)٧٧٣٣٠٢٩

www.islamic-rf.ir info @islamic-rf.ir

حقوق الطبع محفوظة للناشر

كلمة الناشر

هذا الكتاب الذي ينشره مجمع البحوث الإسلامية الآن هو كتاب في التربية الإيمانيّة الهادفة إلىٰ تصعيد مستوى المسلم و هداية رؤيته الحياتيّة في آفاق التوحيد العمليّ، و الانسجام مع حقائق الحياة.

مؤلّفه العارف الأخلاقيّ الفقيه الشيخ محمّد البهاريّ الهَمَدانيّ المتوفّىٰ سنة ١٣٢٥ هـ، الذي كان من أبرز أساتذة الأخلاق و المعرفة في عصره. و قد اشتمل الكتاب علىٰ إضمامة طيّبة من رسائله و مكاتباته التي كان يدوّنها علىٰ نحو الإيجاز بقصد الهداية و إرادة التبصير.

و على الرغم من أنّ مدوّناته رضوان‌الله عليه هذه قد خاطب في أكثرها أُناساً معيّنين من معاصريه، إلّا أنّ ثمراتها و فوائدها لاتختصّ بزمانه ذاك، بل كان لها من قدرة الامتداد الزمنيّ و التجدّد المعنويّ ما يجعلها صالحة لمخاطبة الانسان في أيّ عصر كان. و في هذه المدوّنات من التألّه و الاستقامة، و من المعرفة الميسّرة السائغة، و من خلاصات التجارب المعنويّة لهذا العارف الأخلاقيّ الجادّ ـ و التي دوّنها بأسلوب الناصح الشفيق ـ ما يهيّئ له أن يهزّ قلب قارئه المُقبل عليه، و يوقظ باطن المُنتظِر للاستفاضة علىٰ يديه.

و هذه المدوّنات التوجيهيّة إنّما تنبئ عن شخصيّة كاتبها الجادّة في

السلوك الى‌الله عزّوجلّ، وعن صدقه في هذا السلوك، وعن مشاعره وآماله وما يحذره وينأىٰ عنه من الشواغل التي تُلهي المرء وتهبط به من الأفق الروحيّ الساميّ، أو تجعله ماكثاً في مكانه لايتقدّم ولايزداد.

وهو رضوان‌الله عليه معنيّ بأمر الاستقامة والاستواء على السبيل فيما يكتب لمن كان يخاطبهم، وينطلق في نصائحه العميقة الشفيقة من التحقّق بالمعروف والنأي عمّا يَقبُح ويَشين، ويدعو قارئي رسائله عامةً الىٰ ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليستقيم أمر الجماعة، وتتطهّر البيئة الاجتماعيّة التي يحيا فيها الإنسان.

إنّ تقديم مثل هذه المعاني الوضيئة المبصِّرة الى الجيل الجديد تبدو ضرورة قائمة تقتضيها الحاجة المعاصرة في التطلّع الىٰ آفاق من الحياة الروحيّة النبيلة التي ينوّرها كتاب‌الله وسيرة النبيّ وأهل بيته الطاهرين سلام‌الله عليهم أجمعين، من أجل بناء الإنسان بناءً إسلامياً يجعله مرتبطاً بالينابيع الأصيلة ارتباطاً واقعيّاً حيّاً يسمو على الانتماء الشكليّ، ويعلو على الاكتفاء بالمظاهر السطحيّة التي سرعان ما تزول.

وهذه الرسائل والمكاتبات التي كانت متفرّقة ثمّ جُمعت في كتاب إنّما كُتبت في الأصل باللغة الفارسيّة. وقد تحمّل الأستاذ عبدالرحيم مبارك ـ مشكوراً ـ عِبْء، نقلها الى العربيّة، وسعىٰ في تعريبها أن يحافظ علىٰ معنى النصّ وروحه، لتغدو أقرب الىٰ نصّ صاحبها وأسلوبه، وسعىٰ أيضاً إلىٰ توضيح ما يحتاج إلىٰ توضيح في هوامش الكتاب. وعرّب أيضاً ما في هوامش النصّ الفارسيّ من تعليقات وضعها العارف الأخلاقيّ المتعبّد المرحوم الشيخ حسن علي الإصفهانيّ «نُخُودَكي» مذيّلةً بالحرف «ن». وحافظ المعرّب على ما في داخل الأصل الفارسيّ من تعابير أوردها المرحوم البهاريّ باللغة العربية، فأتىٰ بها كما هي ـ إلّا موارد قليلة اقتضتها الضرورة ـ وميّزها بأن جعلها

بالحرف الأسود، كما ميّز تعريب الأشعار الفارسيّة بالحرف الأسود أيضاً، وأورد نصوصها الفارسيّة في الهامش.

ومجمع البحوث الإسلاميّة إذ يشكر الأستاذ إبراهيم رفاعة علىٰ مراجعته تعريب الكتاب، يسأل‌الله تعالىٰ أن‌ينفع به الجيل الجديد من أبناء الأمّة في حركتهم المتطلّعة الى الحياة الإسلاميّة الصادقة في المعتقَد و في الارتباط بالله سبحانه و تعالىٰ، و في السلوك اليوميّ بشكل عامّ.

مجمع البحوث الإسلاميّة

مقدّمة المعرّب

كتاب «تذكرة المتّقين» ذكره العلاّمة الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ في الذريعة فقال:

فارسيّ، فيه جملة من كلمات الأعاظم في الأخلاق ومكاتيبهم الصادرة في آداب السلوك. منه مكاتبة جمال السالكين الشيخ الفقيه الورع الزاهد المولى حسين قُلي الدرجزينيّ الهمدانيّ النجفيّ، المتوفّى زائراً في الحائر الشريف (١٣١١ هـ)، ومكاتبة تلميذه الأجلّ ووصيّه العالم السالك الشيخ محمّد ابن ميرزا محمّد البهاريّ الهمدانيّ النجفيّ، المتوفّىٰ في مسقط رأسه «بهار» في تاسع شهر رمضان (١٣٢٥ هـ)، وقيل في تاريخ وفاته «آه خزان شد گل وبهار محمّد»[١]، ومكاتبة تلميذه الآخر العالم الورع العامل السيّد أحمد بن إبراهيم الموسويّ الطهرانيّ المعروف بـ«كربلائيّ» لولادته في الحائر

١ـ وتعريبها: آه، جاء الخريف، فذبلت ورود محمّد وتصرّم ربيعُه.

الشريف، وتوفّي عصر يوم الجمعة السابع والعشرين من شوّال (١٣٣٢ هـ) ودُفن في وسط الصحن المرتضويّ في الجهة الشماليّة بين مسجد عمران وإيوان العلماء. وقد باشر جمعَ هذه المكاتيب وطبعها في (١٣٢٩هـ) الأديب الصالح ميرزا إسماعيل ابن الحاج حسين التبريزيّ الشهير بـ«مسأله گو» نزيل مشهد الرضا عليه السلام، والملقّب في شعره بـ«تائب»[١].

ويضمّ كتاب تذكرة المتّقين ـ الذي جمعه كما مرّ المرحوم إسماعيل تائب التبريزيّ ـ المطالب المدرجة أدناه:

١ـ رسالة آداب السلوك التي كتبها المرحوم البهاريّ لأحد تلاميذه الذي سأله كتابة منهج يتّبعه في سفره لأداء فريضة الحجّ، وتشتمل على سبعة فصول:

أ ـ آداب الحجّ، ذكر فيه الوظائف الظاهريّة والباطنيّة مع باقةٍ عطرة من أسرار الحجّ.

ب ـ آداب الزيارة

ت ـ آداب التوبة

ث ـ آداب المراقبة

ج ـ آداب الرَّفقة

ح ـ آداب السلوك مع الزوجة والأهل

١ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤/٤٦، الرقم ١٨٠.

خ ـ آداب تربية الأولاد

وكان ترتيب الكتاب على النهج الذي ذكرناه، ثمّ أُعيد ترتيب الفصول في الطبعات اللاحقة فأُخِّرت آداب الحجّ والزيارة لأنّها ليست مورد حاجة جميع القرّاء الكرام، فصار الكتاب يبدأ بآداب التوبة.

٢ـ مطالب من المرحوم البهاريّ تقع في قسمَين:

أ ـ في صفات العلماء الحقيقيّين وصفات علماء السوء.

ب ـ تعليمات كتبها المرحوم البهاريّ لتلامذته، وقد ضمّ هذا القسم ستّ عشرة رسالة، إلّا أنّ الغالب على هذه الرسائل أنّ المخاطب فيها كان غير مشخّص أو أنّه حمل عنواناً عامّاً كـ«سفير بغداد» أو «أحد علماء آذربيجان». وقد صرّح المرحوم تائب التبريزيّ في الرسالة الرابعة بأنّه كان المخاطَب بها.

٣ـ قسم وردت فيه كتابات للمرحوم الكربلائيّ ضمّت أربع رسائل حَوَت تعاليم عمليّة وجّهها الكربلائيّ إلى تلامذته؛ كما ضمّت جواباً للمرحوم الكربلائيّ عن سؤال طرحه المرحوم تائب حول بيت شعر للشيخ فريد الدين العطّار.

٤ـ قسم وردت فيه ستّ مقطوعات في الأخلاق والعرفان من إنشاء العارف الصمدانيّ الآخوند المولى حسين قُلي الهمدانيّ.

٥ـ رسالتان للمرحوم البيدآباديّ في السير والسلوك.

٦ـ تعليقات مختصرة ونافعة للمرحوم الشيخ حسن عليّ

النخودكيّ الإصبهانيّ.

ويلزمنا أن نذكر أنّ هذا الكتاب قد طبع حتى الآن عدّة طبعات، وقد راجعنا في الترجمة طبعة «انتشارات نهاوندي» ولعلّها أفضل طبعات الكتاب، حيث ضمّت تعليقات المرحوم صائب التبريزيّ. وقد أفدنا ممّا جاء في مقدّمتها في ترجمة المرحوم البهاريّ وسائر الأعلام الآخرين ـ وطبعة «انتشارات نور فاطمة»، والطبعة الحجريّة لـ«انتشارات مصطفوي».

ونذكر فيما يلي ترجمة مختصرة لهؤلاء الأعلام، وهم حسب ترتيب تقدّمهم الزمنيّ:

١ـ المولى محمّد البيدآباديّ

٢ـ الآخوند المولى حسين قُلي الهمدانيّ

٣ـ الحاج الشيخ محمّد البهاريّ

٤ـ السيّد أحمد الكربلائيّ الإصبهانيّ

٥ـ الشيخ إسماعيل تائب التبريزيّ

٦ـ الحاج الشيخ حسن عليّ النخودكيّ الإصبهانيّ

العارف العابد المولى محمّد البيدآباديّ (م ١١٩٨ هـ)

كان آيةً في الزهد والتقوى والمعرفة، وكان يقطن مازندران، ثمّ انتقل منها إلى إصبهان فحطّ رحاله في محلّة «بيدآباد»، ومن هنا نُسب إليها. عاصر مرحلة خطيرة من تاريخ إيران؛ فقد اقترن أوائلُ

عمره بسقوط الدولة الصفويّة ومجيء الأفاغنة (١١٣٥ هـ). وقد واجهت الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة في إيران أزمات وصراعات عديدة خلال حكم الأفاغنة والدولة الأفشاريّة. كما عاصر أواخر عمره حكومة كريم خان زَنْد (١١٦٣ هـ)، حيث انصرف في هذه الفترة إلى تربية تلامذته في العلم والأخلاق.

من تلامذته:

١ـ السيّد قطب الدين محمّد النَّيريزيّ الشيرازيّ (١١٠٠ ـ ١١٧٣ هـ) صاحب منظومة فصل الخطاب.

٢ـ الميرزا تقي الماسيّ (م ١١٥٩ هـ) من أحفاد العلّامة المجلسيّ.

٣ـ الآخوند المولى حسين الخواجويّ (م ١١٧٣ هـ). وقد تخرّج على يد المرحوم البيدآباديّ مشاهير وأعلام يضيق المجال عن حصرهم، نذكر منهم ـ على سبيل المثال ـ الحكيم المولى عليّ النوريّ المدرّس الكبير للحكمة المتعالية، وصدر الدين كاشف الدزفوليّ العارف المشهور. ولم يكن للمرحوم البيدآباديّ رغبة في التأليف، لذا كانت آثاره مبعثرة ومنحصرة غالباً في الرسائل التي كان يرسلها إلى تلامذته في السير والسلوك.

آثاره المعروفة

١ـ آداب السير والسلوك، رسالة بالعربيّة أرسلها إلى الميرزا

القمّيّ[١].

٢ـ التوحيد على نهج التجريد (المبدأ والمعاد).

٣ـ حُسن دل (= حُسن القلب).

٤ـ التفسير

٥ـ المكاتبات

قال عنه محمّد هاشم الملقّب بـ«رستم العلماء»:

لا يخفى على ذوي الألباب أنّ المشار اليه من ذوي الألقاب المقدّسة والآداب الكروبيّة، صاحب الإكسير الأعظم، وعالم الكيمياء المعظّم. كان يتردّد على حجرته الخاصّة تلامذةٌ كثيرون من أصحاب العلم والحكمة، وكانت حجرته مفروشة بالحصران التي وضع في حواشيها جلد الأغنام، وكان الأشراف والأعاظم يفتخرون بحضور مجلسه، ومن جملتهم الوكيل الثاني لدولة إيران: عليّ مراد خان، وكان يتردّد على مجلسه فيخالط الفقراء ويشاطرهم مجلسهم ومسلكهم. وقد حصل عليّ مراد خان مرّة على مبلغ كبير من عائدات الزراعة، فجاء إلى المرحوم البيدآباديّ وخاطبه: اقسِمْ هذه النقود على الفقراء والمستحقّين! فردّ المرحوم البيدآباديّ في إباء: لاأعرف مستحقّاً، فالعالِم هو الله تعالى، فأعطِ هذه النقود إلى الرعايا!

١ـ نُشر متنها العربيّ مع الترجمة الفارسيّة في مجلّة «پيام حوزه»، السنة الثانية (١٣٧٤هـ) العدد ٦، ص ٩٩ ـ ١١٨.

فقال له: لقد شاركتُهم في الزراعة، فأخـذوا حـصّتهم وأخـذتُ حصّتي، وهذا المال إنّما يتعلّق بي.

وردّ البيدآبادي: أيّها العبد الذي منحه الله سلطاناً! إن كان الأمر كما تذكر، فسأُرسل اليك المستحقّين بالتدريج، فأعطِهم من الأموال وفق الحوالات التي يحملونها، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أنّ إنفاقك ديناراً واحداً بيدك أفضل من إنـفاقي ألف ديـنار مـن مـالك بإذنك!

وكان المرحوم البيدآبادي يذهب بنفسه إلى دكّان الخبّاز والبقّال والقصّاب والعلّاف وبائع الخضر فيشتري لنفسه وعياله ما يلزمهم، ثمّ يحمل ذلك إليهم بنفسه دون أن يقبل مساعدة من أحد. وكان لباسه من الصوف والكتّان المنسوج باليد، وكان يشتغل في الزراعة وخياطة الأزرار، وكان له عدّة أنوال لنسج الشَّعر[١].

توفّي المرحوم البيدآباديّ في سنة ١١٩٧ هـ، ودُفن فـي مـقبرة «تخت فولاد» في مدينة إصبهان، فأضحى قبره مزاراً يرتاده محبّو العرفان والسلوك.

١ـ رستم التواريخ، احمد هاشم آصف، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٨.

العارف الكامل آية الله العظمى الآخوند
المولى حسين قُلي الهمدانيّ
(١٢٣٩ـ١٣١١ هـ)

هو الشيخ المولى حسين قلي بن رمضان الشونديّ الدرجزينيّ الهمدانيّ النجفيّ، من أعاظم العلماء وأكابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الأخلاق في عصره. ولد سنة (١٢٣٩ هـ) في قرية «شوند» التابعة لمدينة همدان، وكان أبوه راعياً للأغنام، ثمّ صار إسكافاً، بَيْد أنّه كان يمتلك رغبة متأجّجة في توجيه ولده إلى تحصيل العلم ليصبح في عداد العلماء، فأرسله لهذا السبب إلى طهران حيث التحق في مدرسة «مَرْوي» بحوزة الفقيه المشهور الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ المعروف بشيخ العراقَين. وخلال وجود الآخوند في طهران تردّدت في أرجاء إيران أصداء شهرة الحاج المولى هادي السبزواريّ في العلم والمعرفة، وكان يتّخذ من موطنه «سبزوار» مكاناً لتدريس الفلسفة، فشدّ الآخوند المتعطّش للعلم والمعرفة الرحال إلى سبزوار.

يقول الشهيد المطهّري في هذا المجال:

> «من أعظم حسنات الحكيم السبزواريّ تربيةُ المرحوم الحكيم الربّانيّ العارف الكامل المتألّه، الفقيه المشهور، الآخوند المولى حسين قلي الهمدانيّ الدرجزينيّ قدّس سرّه. وكان هذا الرجل

الجليل ابناً لراعي أغنام ذي فطرة سليمة، فأرسل ولده من همدان إلى طهران لتحصيل العلم...» إلى أن يقول: «وإذا كان لتلامذة حوزة الحكيم السبزواريّ الفخر في حضورهم في حوزته، فإنّ لحوزة الحكيم الفخر في حضور مثل هذا الرجل الجليل فيها»[١].

ثمّ شدّ الآخوند الرحال إلى النجف الأشرف، فالتحق بدرس خاتم الفقهاء وجمال الزاهدين: الشيخ مرتضى الأنصاريّ (م ١٢٨٣ هـ)، إلّا أنّ التدبير الإلهيّ اختار له طريقاً آخر، يقول الآخوند:

«كنت أحضر درس الشيخ الأنصاريّ في النجف الأشرف ردحاً من الزمن، فوجدتُ أنّ الشيخ الأنصاريّ كان يواظب في أيّام الأربعاء على الذهاب إلى منزل أحد تلامذته وهو السيّد عليّ التُّستريّ (الشوشتريّ)، فذهبتُ إلى هناك يوماً فشاهدتُ الشيخ جالساً على هيئة التلاميذ والسيّد عليّ جالساً على هيئة الأستاذ، وكان السيّد يذكر بعض المسائل، فنويتُ في قلبي أن أداوم على الحضور في درس السيّد مستقبلاً، وحين نهضتُ لأغادر التفتَ السيّد إليّ قائلاً: إن شئتَ فداوِم على الحضور، ومنذ ذلك اليوم التحقتُ بدرسه».[٢]

ولمّا توفّي أستاذه الأنصاريّ في سنة (١٢٨١ هـ) لم يتتلمذ على

١ـ خدمات متقابل اسلام وإيران ٢/٢١٨ـ٢١٩.

٢ـ انظر: نقباء البشر ٢/٦٧٦.

غيره، إذ كان في غنىً عن الدراسة، ولم يتصدَّ للفتوى ولم يتعرّض للرئاسة، إلّا أنّ الخواصّ من أهل العلم والفضل والتقى والدين لم يتركوه دون أن يستفيدوا منه ويغترفوا من مَعين فضله، فقد حفّ به من أولئك عدد كبير وألزموه بالتدريس فأجابهم، وقد هذّب منهم زمرة كانوا بعده نجوماً تزدان بها سماء العلم والفضيلة.

من تلامذته:

١ـ السيّد أحمد الكربلائيّ

٢ـ الميرزا جواد آقا التبريزيّ

٣ـ السيّد حسن الصدر

٤ـ الشيخ باقر القاموسيّ

٥ـ السيّد محمّد سعيد الحبوبيّ

٦ـ السيّد عليّ الهمدانيّ

٧ـ الشيخ محمّد البهاريّ، وهو أجلّهم وأعظمهم

وكثيرون غيرهم[١].

توفّي في كربلاء زائراً في ٢٨ شعبان سنة ١٣١١ هـ، ودُفن في الصحن الشريف في الحجرة الرابعة الواقعة على يسار الداخل إلى الصحن من الباب الزينبيّ.

وقد أورد العلّامة آقا بزرك الطهرانيّ أسماء آثار الآخوند في كتابه

١ـ انظر: ترجمته في كتاب التكملة للسيّد حسن الصدر.

الذريعة[١].

نُقل أنّ المرحوم الآخوند كان قد سافر مرّة إلى العتبات المقدّسة مع جمع من تلامذته، فمرّوا في الطريق بمقهى وشاهدوا جماعة من الأكراد منهمكين بالرقص والغناء، فقال المرحوم الآخوند لتلامذته: ليذهب أحدكم فينهى هؤلاء عن المنكر! فقال بعض التلاميذ: إنّ هؤلاء لا ينفع معهم النهي عن المنكر.

فردّ الآخوند: سأذهب إليهم بنفسي. ثمّ إنّه توجّه اليهم، فلمّا اقترب من رئيسهم قال له: أتسمحون لي أن أقرأ وأنتم تعزفون؟

فتساءل في دهشة: أتعرف شيئاً أنت أيضاً؟!

قال الآخوند: بلى.

قال: فلتبدأ!

فشرع المرحوم بقراءة الأشعار الناقوسيّة:

لا إلٰـــــــه إلّا اللهُ حقّاً حقّاً صدقاً صدقا
إنّ الدنيا قد غَرَّتنا وشَغَلَتنا واستَهْوتنا
يابنَ الدنيا مهلاً مهلا يابن الدنيا دقّاً دقّا
يابن الدنيا جمعاً جمعا تفنى الدنيا قَرناً قرنا
ما من يومٍ يمضي عنّا إلّا أوهىٰ رُكناً منّا
قد ضيّعنا داراً تبقىٰ واستَوطنّا داراً تفنىٰ

١ـ الذريعة ٤/٣٧٦.

لسنا ندري مـا فـرّطنا إلّا يوماً ما قـد مِـتنا[١]

وما إن سمع الأكراد تلك الأشعار حتّى انخرطوا في البكاء وتابوا على يديه.[٢]

الحكيم العارف الحاجّ الشيخ محمّد البهاريّ الهمدانيّ

(١٢٦٥ ـ ١٣٢٥ هـ)

العارف السالك الشيخ محمّد البهاريّ ابن الحاج الميرزا مـحمّد، من علماء وعرفاء الطراز الأوّل، وأحد النجوم الزاهرة في سماء العلم والفضيلة والعرفان. ولد المرحوم البهاريّ سنة ١٢٦٥ هـ، في مـدينة «بهار»، فدرس فيها بعد بلوغه سنّ الرشد، ثمّ انـتقل إلى بـروجرد فدرس في حلقة درس آية الله الحاج الميرزا محمود البروجرديّ والد المرحوم آية الله العظمى الحاج حسين البروجرديّ. وبعد نَيله درجة الاجتهاد في سنّ الثانية والثلاثين شدّ رحاله إلى النجف الأشرف في سنة ١٢٩٧هـ فلازم درس الآخوند المولى حسين قـلي الهـمدانـيّ ملازمةً جعلته يقول في حقّه: «إنّ الحـاج مـحمّد البـهاريّ حكـيمُ أصحابي».[٣]

١ـ أورد هذه الأشعار الشيخ الديلميّ ضمن حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إرشاد القلوب ص ٣٧٣.

٢ـ تذكرة المتّقين، بالفارسيّة، نشر «انتشارات نهاونديّ»، المقدّمة ص ٢٠ و ٢١.

٣ـ المصدر السابق، ص ٢٣، نقلاً عن جريدة «جمهوري اسلامي» العدد ٤٤٠٦، بتاريخ

ينقل العلّامة الطهرانيّ عن العلّامة الطباطبائيّ، وهو عن أستاذه السيّد عليّ القاضي أنّ المرحوم السيّد أحمد الكربلائيّ قال:

«لقد كنت أُواظب على الحضور في محضر آية الحقّ الآخوند المولى حسين قلي الهمدانيّ، وكان الآخوند لي خاصّة مائة في المائة، ولكن ما إن أضحى للحاج الشيخ محمّد البهاريّ معرفة ومودّة مع الآخوند، وصار يتردّد عليه باستمرار، حتّىٰ سرق الآخوند منّي»![1]

وهكذا لازم البهاريّ محضر الآخوند ما يقارب خمس عشرة سنة، لم يفارقه خلالها في السفر و لا في الحضر، إلى أن توفّي الآخوند سنة ١٣١١ هـ، فاستمرّ الشيخ البهاريّ على نهجه في التربية. وقد بقي الشيخ البهاريّ في النجف الأشرف إلى أن مرض، فأوصاه الطبيب بتغيير محلّ سكنه إلى مكان آخر يتلاءم مع وضعه الصحّيّ، فغادر النجف وتوجّه إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام للزيارة وتغييراً للجوّ، ثمّ أراد العودة إلى النجف فاشتدّ به الداء، فعاد إلى مسقط رأسه «بهار» ليلتحق بالرفيق الأعلى في التاسع من شهر رمضان ١٣٢٥ هـ، ودفن في مسقط رأسه.

أمّا آثاره العلميّة فتنحصر في المكاتبات التي كتبها لتلامذته

---

٢٧ / ٥ / ٧٣، ص ١٤.

١ـ توحيد علمي وعيني للعلّامة السيّد محمّد حسين الطهرانيّ، هامش ص ١٧.

كتعاليم في السير والسلوك. وقد جمع عدد من هذه المكاتبات في هذا الكتاب الذي يشكّل في الوقت الحاضر الأثر الوحيد للمرحوم البهاريّ.

نقل آية الله العظمى الآخوند المولى عليّ المعصوميّ عن أحد تلامذته أنّه قال:

«كنت أدرس علم الأخلاق عند المرحوم البهاريّ، وبعد انقضاء عدّة جلسات عدتُ إلى محلّ الدرس يوماً، فقال لي المرحوم البهاريّ: لا درسَ بعد اليوم! قلتُ: ولم؟ قال: هل شاهدتَ خلال هذه المدّة تغييراً في حالك؟ إن كان الجواب بالنفي فعليك بتغيير الطبيب!»[١].

العارف الصمدانيّ آية الله السيّد أحمد الكربلائيّ

(م ١٣٣٢ هـ)

يقول عنه العلّامة الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ في نقباء البشر:

«هو السيّد أحمد بن السيّد إبراهيم الموسويّ الطهرانيّ الأصل، الحائريّ المولد،النجفيّ المدفن. عالم جليل، وفقيه كبير، وأخلاقيّ معروف، وورع تقيّ، وزاهد عابد. كان من تلاميذ المجدّد الشيرازيّ والعلّامة الميرزا حبيب الله الرشتيّ وشيخنا

١ـ دايرة المعارف تشيع ٣/٥١٢.

العلّامة الميرزا حسين الخليليّ الطهرانيّ، وكان من خواصّ الأخلاقيّ الجليل العلّامة المولى حسين قلي الهمدانيّ، وله الرواية عنه».[١]

ويقول أيضاً:

«كان المترجَم له أوحديّ عصره في مراتب العلم والعمل والسلوك والزهد والورع والتقوى والمعرفة بالله والخوف والخشية منه. كان يصلّي في الخلوات ويحذر من اقتداء الناس به في الصلاة، وكان كثير البكاء حتّى إنّه كان لا يتمالك نفسه في صلاته، لا سيّما في النوافل الليليّة. وقد فُزتُ سنين بقرب داري من داره، وشاهدتُ منه في تلك المدّة أموراً يطول ذكرها. وكان خادماً لأمّه بارّاً بها، وتوفّي قبلها في آخر تشهّد صلاة العصر يوم الجمعة ٢٧ شوّال ١٣٣٢ هـ».[٢]

وقد نُقِلَت عن تقواه وخشيته من الله وانصرافه عن أمور الزعامة أمور كثيرة.[٣]

توفّي المرحوم الكربلائيّ سنة ١٣٣٢ هـ، في النجف الأشرف، فدفن جثمانه الطاهر قرب قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام. وقد طبعت رسائله المتبادَلة مع الحاج الشيخ محمّد حسين الإصبهانيّ في كتاب

١ـ نقباء البشر ١/٨٨، الرقم ٢٠٣.

٢ـ المصدر السابق.

٣ـ انظر: توحيد علمي وعيني ص ٢٢ـ٢٥.

مستقلّ، كما جُمعت بعض مكاتباته الأخرى في هذا الكتاب.

الأديب الأريب الشيخ إسماعيل تائب التبريزيّ

(١٢٨٦ ـ ١٣٧٤ هـ)

هو العالم الزاهد الشيخ إسماعيل بن الحسين الشريف التبريزيّ نزيل المشهد الرضويّ، أديب فاضل ومصنّف مُكثر. ولد في سنة ١٢٨٦ هـ، واكتسب العلم والأدب عن الأعلام والأفاضل، حتّى برع واشتغل بالتأليف في سائر الفنون. له تصانيف كثيرة بالفارسيّة نظماً ونثراً. تعلّم العلم والأدب في عُنفوان شبابه، ثمّ درس في النجف الأشرف على أساتذة عصره، من أمثال: الآخوند الخراسانيّ والشيخ محمّد حسين الغرويّ الإصبهانيّ في الفقه والأصول، والشيخ محمّد البهاريّ والسيّد أحمد الكربلائيّ في الأخلاق.

سكن في أواخر عمره مشهد الرضا عليه السلام، حتّى وافاه الأجل فيها في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٤ هـ، ودفن في «باغ رضوان».

آثاره

١ـ تذكرة المتّقين (الكتاب الحاضر)

٢ـ المكاتبات العرفانيّة والفلسفيّة بين السيّد أحمد الكربلائيّ والشيخ محمّد حسين الغرويّ الإصبهانيّ، وهي تشتمل على ١٤ رسالة، سبعة

منها من قِبل الشيخ وسبعة من قِبل السيّد. وقد تصدّى بعد ذلك الأعلام لمناقشة تلك الرسائل والحكم عليها، ومنهم العلّامة الطباطبائيّ.

٣ـ مرآة المتّقين، في الأخلاق والمعارف.

٤ـ رَوح وريحان، كشكول في ثلاثة مجلّدات في النظم والنثر يضمّ مطالب أخلاقيّة وعرفانيّة وتاريخيّة وقصصاً وحكايات.

٥ـ ديوان أشعار في مدائح ومراثي الأئمّة عليهم السلام، وغير ذلك من المؤلّفات.

الحاج الشيخ حسن عليّ النخودكيّ الإصبهانيّ

(١٢٧٩ ـ ١٣٦١ هـ)

الشيخ حسن عليّ الإصبهانيّ ابن المولى عليّ الأكبر. ولد في النصف من شهر ذي القعدة لسنة ١٢٧٩ هـ، في إصبهان، وبدأ تحصيل العلم والمعرفة فيها منذ أوائل شبابه، فدرس على أساتذة عصره المشهورين من أمثال الآخوند المولى محمّد الكاشيّ والمرحوم جهان‌گير القشقائيّ وغيرهما. ثمّ توجّه إلى النجف الأشرف لتكميل ملَكاته في العلم والمعرفة، فأفاد من محضر حجّة الإسلام السيّد محمّد الفشاركيّ والحاج السيّد مرتضى الكشميريّ والمولى إسماعيل قره باغيّ شرف‌أندوز. ثمّ غادر النجف الأشرف واختار مشهد الإمام

الرضاعليه السلام، فجاور تلك البقعة المقدّسة، وحضر درس المرحوم الحاج محمّد فاضل والمرحوم المير سيّد عليّ الحائريّ اليزديّ والحاج آقا حسين القمّيّ، فبلغ الذروة في العلم والمعرفة.

فارق الحياة في ١٣٦١ هـ، بعد أن قضى عمره في الاستقامة والثبات والزهد، فدفن حسب وصيّته عند عتبة باب صحن الإيوان العبّاسيّ لمشهد الرضاعليه السلام. وقد دوّن ولده سيرته وذكر مقاماته وكراماته في كتاب ألّفه بعد وفاة أبيه، أسماه «نشانى از بى نشانها» (=عَلامة ممّن لا عَلامة لهم)، جمع فيه أيضاً الآثار المكتوبة له في الموضوعات الأخلاقيّة والتربويّة، ومن بينها تعليقاته التي دوّنها على كتاب «تذكرة المتّقين».

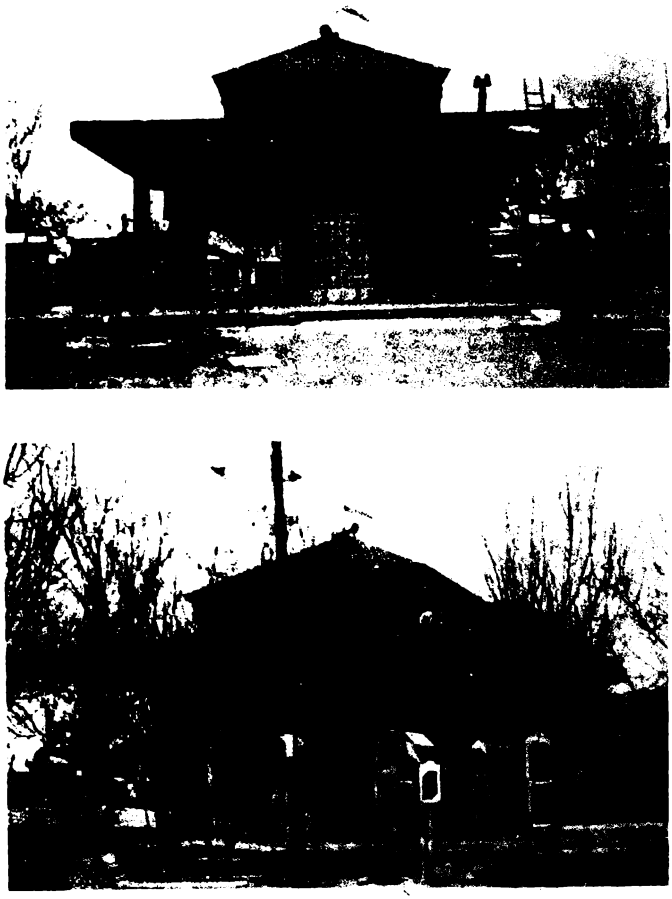

صورة مقبرة المرحوم الشيخ البهاريّ في «بهار» التابعة لمدينة همدان

آداب التّوبة

ذكرنا فيما مضىٰ[1] ضرورة التّوبة النصوح الصحيحة، ولا بأس أن نُشير بإجمال إلى قواعد التّوبة:

اعلم أيّها الأخ أنّ التّوبة من المعاصي هي القَدَم الأُولىٰ في طريق السّالكين إلى الله، ورأس مال الفائزين، ومفتاح ثبات المريدين، وأنّها أصل النجاة، والذائد عن الهَلَكات.

وقد وردت الآيات والأخبار الصحاح في فضلها، ويكفي في مدحها قولُ أصدق الصادقين جلّ شأنه: ﴿إنّ اللهَ يُحِبُّ التوّابين﴾[2]، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: (التائبُ مِن الذنب كمَن لا ذنبَ له)[3].

١ـ جاء بحث آداب التوبة في هذا الكتاب بعد آداب الحجّ وآداب الزيارة، ولكنّنا ارتأينا أن نقدّمه على سائر مطالب الكتاب لغرض منهجي؛ فقد ذكر المؤلّف ـ قدّس سرّه ـ في بحث آداب الزيارة «...وان استطاع فليأتِ بين يدي الإمام عليه السلام بتوبة صحيحة بجميع الشروط المقرّرة في محلّها» (الناشر).

٢ـ البقرة: ٢٢٢.

٣ـ المحجّة البيضاء ٧/٩؛ بحار الأنوار ٢١/٦، ح ١٦. وروي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً (بحار الأنوار ٤١/٦، ح ٧٥).

معنى التّوبة

للتّوبة عدّة معانٍ

المعنى الفقهيّ: هو تَرك المعاصي في الحال، والعزم على تـركها في الاستقبال، وتدارُك ما أمكن تداركه.

وقال البعض: إنّ معنى التّوبة هو: أن يخلع المرء لباس الجفاء، ويترك ما كان يرتكب، وينشر بساط الوفاء.

وأُطلقت التوبة على مطلق الندم أيضاً.

وعلىٰ أيِّ حال، فلا إشكالَ في وُجوبِها عَقلاً وشَرعاً بلا تأمُّل؛ وإذا عَلِمتَ انحصارَ السعادةِ الحقيقيّة الأبديّة في لِقاءِ الله تعالى في دارِ القَرار، علمتَ أنّ المحجوبَ عنه شَقيٌّ محترقٌ بنار الفِراق في دار البَوار. وأغلَظُ الحُـجُب هـو حجابُ اتّباعِ الشّهواتِ وارتكابِ السيّئات؛ لكَونها إعراضات عـن اللهِ تـعالى بمُتابعةِ عدوِّه: الشيطان والهَوى، بل بعبادتِهما في الواقع بمُفاد قَوله: (مَـن أصغىٰ إلى ناطقٍ فقد عَبَدَه).

وعلِمتَ أيضاً أنّ الانصرافَ عن طريق البُعد للوصول إلى القُرب واجب، ولا يتمّ الانصرافُ إلّا بالأمورِ الثلاثة المذكورةِ في معنى التوبة. وقد قُرّر في محلِّه أنّ مُقدّمة الواجب واجبةٌ عقلاً وشرعاً، نَظراً للمُلازمة، ووجوبه أيضاً فوريّ.

ذلك أنّ متناولَ السُّمّ إذا ابتغىٰ صحّة بدنه، وجب عليه المـبادرة الى البحث عن وسيلة لإخراج السمّ من بدنه، بالقيء أو بـغيره، ولو تهاون وتسامح لَهلك دفعةً. كذلك هي سُموم المعاصي، فلو تـهاون المرء في التوبة، فلعلّ الموتُ يفجأُه دفعةً، فيُختم له بـالشرّ وسـوء

العاقبة، نعوذ بالله. وسوءُ العاقبة أخوَفُ ما كان يخافه جميع الأنبياء والأولياء في دار الدنيا[١].

فالبِدارَ البِدارَ يا إخوانَ الحقيقة و خلّان الطريقة إلى التوبة الرقيقة الأنيقة، قبلَ أن تعملَ سمومُ الذنوب بروح الإيمان ما لا ينفع بعده الاحتماء، وتنقطع عنه تدابير الأطبّاء، ويعجز عن التأثير نُصحُ العلماء، فتكونوا من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَ جَعَلْنا مِن بَينِ أيديهِم سَدّاً ومِن خلفِهم سَـدّاً فأغشَـيناهُم فـهُم لا يُبصِرون * وسَواءٌ عليهم أأنذرتَهم أم لم تُنذِرهُم لا يُؤمِنون﴾[٢].

ثمّ اعلَم أيُّها الأخُ الأعزّ أنّك لا تخلو عن المعصيةِ في جَوارحك، من الغِيبة والأذيّة و البُهتانِ وخيانةِ البَصَر وغيرِها من صُنوف المعاصي وأنواعها، ولو

١ـ حذارِ أن يغرّه الشيطان فيوسوس له قائلاً: «لقد التهىٰ كثيرون من أمثال فُضيل بن عياض وبشرالحافي بالمعاصي سنين متمادية، ثمّ تابوا في نهاية المطاف، ودخلوا في سِلك الأولياء».
فاعلم أنّ عدم هلاك أولئكم إنّما كان لعدم تأثير السمّ في مزاجهم، وإلّا فالمثل المعروف يقول: «الربيع لا يأتي لمجرّد وجود وردة واحدة». وإذا قيل أنّ فلاناً سقط من فوق المنارة ولم يَمُت، فهذا لا يعني أنّ بقيّة الناس لا يلزمهم الاحتراز عن السقوط، بل عليهم الاحتياط؛ ذلك أنّ العقلاء يعدّون هذه الأمور في المصادفات. وعلى الإنسان أن يتذكّر دائماً معنى قوله تعالى ﴿ثمّ كانَ عاقبةَ الّذينَ أساءوا السُّوأىٰ أن كذّبوا بـآياتِ اللـه﴾، والحديث الشريف المرويّ في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام: ما من عبدٍ مؤمن إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فاذا أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، فإن تمادى زاد ذلك السواد حتّى يغطّي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبُه إلى خير أبداً. (ن)

٢ـ يس: ٩ و ١٠.

فُرض فإنّك لا تخلو عن الرذائلِ في نفسك و من الهمّ بها، وإن سَلِمتَ فلا أقلَّ من الخواطرِ المتفرّقة المُذهلة عن ذِكر الله، ولو سَلِمتَ فلا أقلَّ من غَفلةٍ و قُصور في معرفةِ الله وصِفات جمالِه وجَلالِه وعجائبِ صُنعِه وأفعالِه. ولا رَيبَ في أنّ كلَّ تلك مَنقَصةٌ فيك يجب الرُّجوعُ عنها، ولذا تجِب التوبةُ عليكَ في كلّ آنٍ من آناءِ دَهرِك.

قال أشرفُ المخلوقاتِ ﷺ: (إنّه لَيُغان علىٰ قلبي، حتّى أستغفر اللهَ في اليوم والليلة سبعين مرّة)[1].

فبِناءً على ما ذَكَرنا لو تأمّلتَ حقَّ التأمُّل في الجِنايات الواردةِ عَلَيك باختيارِك وإرادتِك، لشَحَب وجهُك، وطار النومُ من عَينِك و العقلُ من رأسِك، ولكن هَيهات!

أمَا وقد فهِمتَ معنى التوبة ولُزومها، وأنّ تركَها يُسمّى إصراراً، فاعلَم: أنّ الله جلّ وعلا يقبل التوبة الصحيحة، بشرط أن تغسل بدموع عيونك أدرانَ المعاصي من القلب بعد أن تُؤجِّج فيه نارَ النَّدم، وكلّما اشتدّ تأثّر القلب بنيران الندم كان ذلك من بواعث الرجاء بتكفير الذنوب و علامةً للصدق.

ولا بُدّ من استبدال مرارة الندم بلذّة المعاصي، ليكون ذلك آيةً على تبدُّل السيّئات حسنات.

ألم تسمع قصّة ذلك النبيّ من بني إسرائيل الذي سأل الباري

١ـ المحجّة البيضاء ٧/٧؛ بحار الأنوار ٦/ ٢٧، ح ٢٨.

جلّ شأنه قبولَ توبة عبدٍ من عبيده كان قد قضى عمراً في الجدّ والاجتهاد في العبادة، فجاءه الخطاب: وعزّتي، لو أنّ أهلَ السماوات والأرض تشفّعوا له، ما قبلتُ شفاعتهم. كَيف وما زال في قلبه حلاوة الذنب الذي تاب منه![1].

١ـ نجد في الأمراض الظاهريّة أنّ المصاب بالسوداء ـ مثلا ـ لو تناول شيئاً من الدواء، فإنّه سيستعيد صحّته نسبيّاً، ولكنّ بقايا المرض ستبقى كامنة في بدنه، فإن طرأ عليه عارض غير ملائم، عاوده المرض مجدّداً. ومثل هذا الإنسان لا يطمئنّ إلى صحّة مزاجه، وينبغي عليه أن يداوم على تناول المَعاجين والمسهلات والمنضجات حتّى يقضي على آثار المرض، ويستأصل آثاره من الباطن. والأمر كذلك بالنسبة إلى الأمراض القلبيّة والباطنيّة.

وما أجمل الدواء الذي وصفه أمير المؤمنين لعمّار بن ياسر في مسجد الكوفة:

ورد في البحار عن الرضا عليه السلام عن عمّار بن ياسر، قال: بينا أنا أمشي بأرض الكوفة، إذ رأيتُ أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام جالساً وعنده جماعة من الناس، وهو يصف لكلّ انسان ما يصلح له، فقلت: يا أميرالمؤمنين، أيوجد عندك دواء الذنوب؟ فقال عليه السلام: نعم اجلس، فجثوت على ركبتيّ حتى تفرّق عنه الناس، ثمّ أقبل عليّ وقال: خُذ دواءً أول لك. قال، قلت: قُل يا أمير المؤمنين. قال عليه السلام: عليك بوَرَق الفقر، وعُروق الصبر، وهَليلج الكِتمان، وبَليلج الرِّضا، وغاريقون الفِكر، وسُقمونيا الأحزان، واشرَبه بماء الأجفان، وأغلِه في طِنجير القَلق، ودَعه تحت نيران الفِراق، ثمّ صَفِّه بمنخل الأرَق، واشرَبه على الحَرَق، فذلك دواك وشفاك يا عَليل. (لم نجده في بحارالأنوار، و وجدناه في مستدرك الوسائل ١٢: ١٧١ / ١٣٨٠٣) المعرّب.

«شفة الحبيب الياقوتيّة دواء مفرّح وشفاء وخمرة، وهي دواء وصفه أفلاطون والمسيح».

ومن الجدير أن نورد هذه الثنائيّة للشيخ الأنصاريّ:

كلاب الدرب تمتلك الرخصة في المثول في بلاطك، والحجر يمتلك فرصة لقائك.

لذا قيل: عليك أن تُذيب اللحمَ الذي نَبَت من حرام، لأنّه فاسدٌ بنفسه، مُفسد للّحم السليم أيضاً، والله المستعان.

وكذايجب أن يقصد التائب تَرك جميع المحرّمات، وأن يُبادر إلى أداء كلّ الواجبات، في الحال وعلى الدوام في الاستقبال إلى حين الموت، وأن يتدارك ما فاته. ويجب عليه أن يُجيل الفِكر من حين البلوغ، بل من قبل البلوغ ويتذكّر أحواله في سالف الزمان، فينظر ماذا فعل؟ و مَن جالَس؟ وهل فرّط في مال أحد؟ سواء أكان ذلك عمداً أو خطأ؟ مكلّفاً كان حينذاك أم غير مكلّف؟

فإن وجد أصحابَ المال طلب منهم إبراء ذمّته، و إلّا طلب ذلك من وَرَثتهم، وإلّا دفعها عند القدرة و الاستطاعة بعنوان ردّ مظالم عنهم.

ثمّ ينظر إلى الطاعات فيَقضي ما ترك منها، وإلى الكفّارات فيأتي بما في ذمّته منها، وإلى باقي الوجوهات، من قَبيل الخُمس وسهم الإمام والزكاة، فيؤدّيها إلى أصحابها، ثمّ يتأمّل جيّداً لئلّا يفوته شيءٌ ممّا ينبغي تداركه، مخافة أن يخرج من الدنيا قبل تداركه، فيُبتلى بالعذاب الأبديّ.

وإلى جميع ما ذُكر يشير قولُ أمير المؤمنين عليه السلام:

الاستغفارُ اسمٌ واقعٌ على ستّة معانٍ:

ولستُ ـ أنا القلب الحجريّ والصفات الكَلبيّة ـ آيساً من رحمتك، إذ ما أكثر الكلاب والحجارة! (ن)

أوّلُها: النَّدَمُ على ما مَضىٰ.

والثاني: العَزمُ علىٰ تَركِ العَود إليه أبداً.

والثالث: أن تُؤدّي إلى المَخلوقين حُقوقَهم، حتّى تَلقَى اللهَ أمـلَس ليس عليك تَبِعة.

والرابع: أن تَعمِدَ إلىٰ كلِّ فريضةٍ عليكَ ضيّعتَها، فتُؤدّي حقَّها.

والخامس: أن تعمدَ إلى اللحمِ الذي نَبَتَ على السُّحتِ، فتُذِيبَه بالأحزان، حتّىٰ تُلصِقَ الجِلدَ بالعَظمِ وينشأ بينهما لَحمٌ جديد.

والسادس: أن تُذيق الجسمَ أَلَمَ الطاعةِ كما أذقتَه حَلاوةَ المعصية، فـعِند ذلك تقول: أستغفرُ الله [1].

أجل:

من المستحسن في التوبة أن يأتي المرء بطاعةٍ هي مـن جـنس المعصية، مثاله أنّ السفر للمعصية يُجبر بسَفر طاعة، ونحو ذلك مـمّا يطول ذِكره من الأمثلة.

بلى، إذا أتى بمقدّمات التوبة على النهج المذكور، فـالأفضل أن يَستشعر شيئاً من الحُزن، ثمّ بعد ذلك يتوب على النـحو الذي رواه السيّد ابن طاووس رضي الله عنه العزيز [2] عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه خـرج صلى الله عليه وآله يـوم الأحد في شهر ذي القعدة فقال:

١ـ نهج البلاغة: قصار الجـمل ٤١٧. وأوّله: قـال عليه السلام لقـائل قـال بـحضرته «استغفر الله»: ثكلتْك، أمُّك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفارُ درجة العِلِيّين، وهو اسمٌ واقع على ستّة معانٍ ....الحديث.

٢ـ نقل هذه الطريقة في التوبة المرحوم المحدّث القمّيّ (ره) أيضاً عن السيّد ابن طاووس (ره) في مفاتيح الجنان، في ضمن أعمال شهر ذي القعدة.

يا أيُّها الناس، مَن مِنكم يُريد التَّوبةَ؟

قُلنا: كلُّنا يُريد التوبة يا رسولَ الله.

فقال ﷺ: اغتسِلوا وتَوضّأوا وصلّوا أربع رَكعات، واقرأوا في كلِّ رَكعة فاتحةَ الكِتاب مرّةً و (قُل هو الله أحد) ثلاثَ مرّات والمُعوِّذتَين مرّة، ثمّ استغفِروا سَبعينَ مرّة، ثمّ اختِموا بـ«لا حَولَ ولا قُوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيم».

وفي بعض النسخ: ثمّ قولوا سبعَ مرّات: يا عَزيزُ يا غَفّارُ، اغفِرلي ذُنوبي وذُنوبَ جميعِ المؤمنينَ والمؤمناتِ، فإنَّه لا يَغفِرُ الذُّنوب إلّا أنت.

ثمّ قال ﷺ: ما مِن عبدٍ من أُمّتي فَعَلَ هذا إلّا نُودِي من السماء: يا عبدَالله، استأنِف العَمَلَ فإنّك مقبولُ التوبة، مغفورُ الذَّنب. وينادي مَلَكٌ من تحت العَرش: أيُّها العَبد، بُورِكَ عَلَيك وعلى أهلِك وذُرِيّتِك. وينادي مُنادٍ آخر: أيُّها العبد، ترضي خصماءك يومَ القيامة. وينادي ملَك آخر: أيّها العبد، تموتُ على الإيمان، ولا أسلب منك الدِّين، ويُفسح في قبرِك و يُنوَّر فيه. ويُنادي مُنادٍ آخر: أيُّها العبد، يرضى أبواك وإن كانا ساخِطَين، وغُفر لأبوَيك ذلك ولذريّتك، وأنتَ في سَعة من الرزق في الدُّنيا والآخرة. وينادي جبرائيل ﷺ: أنا الذي آتيك مع ملَك المَوت ﷺ، و آمره أن يرفِق بك ولا يخدشك أثر الموت، آمناً تخرج الروح من جسدك.

قلنا: يا رسول الله، لو أنّ عبداً يقول في غيرِ الشهر (أي في غير

شهر ذي القعدة)؟

فقال عليه السلام: مثل ما وصفتُ، وإنّما علّمني جبرائيلُ عليه السلام هذه الكلمات أيّامَ أُسري بي[١].

والأولى أن يتصدّق بصدقة ولو قليلة قبل هذا العمل، فإنّ صدقةَ السرّ تُطفئ غضبَ الربّ تعالى[٢]. ثمّ ليغتسل ويخرج إلى الصحراء أو إلى خلوة، ويجلس على التراب، ويتذكّر معاصيه واحدةً واحدة، ثمّ يذكرها بلسانه بأن يقول: إلٰهي عصيتُك في المكان الفلانيّ، عصيت في حضرتك المقدّسة، وأنتَ القادر على أخذي في تلك اللحظة، ولكنّك حَلمتَ ولم تُؤاخذني، وأنا الآن نادم أعترف بخطئي، وأبوء بذَنبي، فاعفُ عنّي واغفِر لي. ونِعمَ ما قيل:

«إن كنتُ سالكاً أمداً بين النجاة و بين الهلاك، فهاأنا ذا معترفٌ بخطئي، و نادمٌ على فِعلي»[٣]

وهكذا يذكر ما فعل، وينصّ على ما ارتكب واحداً واحداً على نحو التفصيل، حتّى يتعب ويكلّ لسانه. ولابدّ أن يشفع ذلك بالحزن والبكاء، ثمّ يشرع بالعمل الشريف المذكور.

١ـ إقبال الاعمال: ٦١٤ الباب الحادي عشر في أعمال شهر ذي القعدة. ورواه المرحوم المحدّث القمّيّ رحمه الله عن السيّد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه في مفاتيح الجنان في أعمال شهر ذي القعدة.

٢ـ المحجّة البيضاء: ٨٢/٢؛ بحار الأنوار ٨٨/٤٦، ح ٧٧.

٣ـ في المتن:

اگر چندی بدم سالك ميان ناجی وهالك غلط كرم نفهميدم ز فعل خود پشيمانم

ويحسن بعد ذلك أن يقرأ دعاء التوبة في الصحيفة السجادية وأوّله: «يا من لا يَصِفهُ نَعتُ الواصِفين...»[١]، بل ويقرأ المناجاة «الخمسة عشر»، ويقول بحرقة قلب:

«جئتُ إلى رحابك بألف صرخة وآه؛ شيمة العظيم العفو، ودَيدَنُ الهابطين الذنب»[٢].

ثمّ يقول متوسّلاً: إنّي لا أفي بشرائط التوبة، فأُقسم عليك بالمقرّبين عندك أن تقبل توبتي، وتُثبّتني على هذا العزم. وليظنّ عندها أنّ توبته مقبولة، ودعاءه مستجاب حتماً، لأنّ الله العالِم جلّ ذِكره عند حُسن ظنّ عبده، يُعامل عبدَه بمقدار حُسن ظنّه به، ويشهد لذلك جملةٌ من الأحاديث والأخبار[٣].

فاذا نَقضَ توبته ـ لا قدّر الله ـ وارتكب معصية جديدة، فليتُب مرّة أخرى ولا يضجر من التوبة، فإنّه أرحمُ من كلّ رحيم.

واعلم: أنّ للإنسان ثلاثة أحوال بالنسبة إلى المعصية:

حالٌ يكون عليها قبل ارتكاب المعصية.

وحال حين ارتكابه لها.

١ـ الصحيفة السجّاديّة: الدعاء ٣١.

٢ـ في المتن:

آمدم بر درگهت اينك به صد فرياد وآه از بزرگان عفو باشد وز فرودستان گناه

٣ـ بحار الأنوار ٩٣/٣٠٥، ح ١، وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ادعُوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابة؛ وقال الصادق عليه السلام: إذا دعوتَ فظُنَّ حاجتكَ بالباب.

وحال بعد المعصية.

ولكلّ واحد من هذه الأحوال الثلاثة أحكام خاصة تختلف عن بعضها:

أمّا قبل ارتكاب المعصية: فيجب عليه أن يُغلِّب أخبار الخوف على نفسه، بل عليه أن يردع نفسه قائلاً: لعلّك تستحقّ بارتكاب هذا العمل خطابَ: (إنّي لا أغفِرُ لك أبداً)؛ ذلك لأنّ بين العبد والمولى حدّاً للمخالفة، إذا تجاوزه العبد يفقد صلاحيّة العفو، ولم يعُد مستحقّاً للرحمة ـ والعياذ بالله ـ فيعدّه المولىٰ عاقّا غير لائق للرحمة، وتصبح الرحمة عندئذٍ مخالفة للحكمة. واحتمال تخطّي العبد لهذا الحدّ وارد في كلّ معصية، فلابدّ للإنسان أن يخوّف نفسه من ذلك لترجع وتنزجر.

أمّا حال ارتكاب المعصية: فعليه أن يخوّف نفسه أكثر وأكثر، لأنّ مَلِك الملوك جلّ شأنُه العظيم قائمٌ حاضر وناظر، وها هو العبد يهتك حرمته في محضره المقدّس، مع أنّ كلّ ما في العالم [تعالىٰ] صفّ مرصوص وجُندٌ له مُجنّدة، فإن هو أشار إشارةً إلى أيّة نقطة في سماء أو أرض أو هواء أو جوارح أو أجزاء للعبد نفسه، أو غير ذلك ممّا لا نهاية له، فإنّها ستُفني ذلك العبد العاصي فوراً، وتجعله في عداد المعدومين؛ ولابدّ للعبد ـ في مثل هذه الحال ـ أن يكون خائفاً وجلاً، وأن يرتدع عن ارتكاب الذنب في أيّ مرحلة من المراحل كان.

ولو غلبت عليه الشهوةُ ـ نستجيرُ بالله ـ فلم يرتدع، ثمّ ندم بعد

معصيته لربّه، فعليه أن يقرأ أخبار الرجاء، لئلّا يوقع الشيطانُ الملعون في نفسه اليأسَ من التوبة، فيقول له: إنّ عملك لا جدوى منه، لأنّك نقضتَ التوبة عن عمدٍ والتفات، فأيّ توبةٍ تريد أن تتوب؟! إنّ توبتك هذه لن تكون إلّا كسابقتها!

واعلَم يقيناً أنّ هذه الوسوسة من ذاك الشقيّ، بل إنّ أيّ خيال يستتبع انصرافك عن التوبة والإنابة إنّما هو خيالٌ من الشيطان.

ولابدّ للمذنب أن يقول: إنّ مولاي كريم، وهو القائل: (اليأس من رحمتي من الكبائر) فكيف لا أطرق بابه؟! فإن رَحِمني فهو راحمُ مَن لا راحمَ له، وهو الذي سمّى نفسه «الوهّاب» لكثرة جوده، وإنّه عند حُسن ظنّ عبده. ألم ترَ أنّه قَبِل قاتلَ حمزة سيّد الشهداء سلام الله عليه؟! ألم يطرق سمعَك كيف تحبّب للنبّاش؟[1]

١ـ حكاية الشابّ النبّاش وتوبته منقولة في كتب التفسير والحديث، وخلاصتها أنّ معاذ بن جبل دخل يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: انّ بالباب شاباً يبكي بكاء الثكلىٰ يريد الدخول عليك، فأذن النبيّ صلى الله عليه وآله له وسأله عن سبب بكائه فقال: ركبتُ ذنوباً عظيمة و أنا خائف من ذنوبي ومن غضب الله عليّ، فأمّله النبيّ صلى الله عليه وآله برحمة الله وعفوه وقال له: إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً، ثمّ سأله عن ذنبه فقال: كنتُ أنبش القبور سبع سنين وأسرق أكفان الموتى، فنبشتُ ليلةً قبر جارية ثمّ جامعتُها، فلمّا انصرفتُ سمعتُ من خلفي نداءً ينذرني من عذاب ربّي. فلمّا سمع النبيّ حكاية الشابّ طرده عنه، فأتى الشابّ بعض الجبال فبقي يبكي وينوح على حاله أربعين يوماً، فنزلت الآية ١٣٥ من آل عمران ﴿و الذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوبَ إلّا الله﴾، فذهب النبيّ صلى الله عليه وآله اليه وبشّره بقبول الله تعالى توبته. (تفسير الصافي ذيل الآية ١٣٥ من آل عمران).

ألم تسمعه يقول: يا موسى، إنّي غفّار أغفر لجميع الخلق إلّا قاتِلَ الحسين عليه السلام [1] ؟ فلم يستثنِ أحداً إلّا قاتل سيّد الشهداء عليه السلام.

وهذه الكلمات صريحة الدلالة علىٰ أنّ الرحمة تشمل العاصي، بشرط أن لا يكون متمرّداً، فيقبُح الترحّم عليه.

وفي الخبر النبويّ صلى الله عليه وآله: «إنّ مَن قتل سبعين نبيّاً ثمّ تاب قُبِلت توبتُه».

فينبغي ـ إذاً ـ عدم القنوط من الرحمة الإلهيّة الواسعة، وعدم التقاعس عن التوبة؛ لأنّ العمل إن استقام مجدّداً فانّه يستقيم بالتوجّه إلى الله، الإقبال عليه تعالى.

ألم تسمع قوله: «عُدْ إلَينا.. عُد مهما كنتَ؛ ولو كنت كافراً أو مشركاً أو عابدَ وَثَن» فعُد إلينا.

«فإنّ رحابنا رحاب لامكان فيها لليأس؛ عُد ولو نقضتَ التوبة ألف مرّة» [2]

ثمّ اعلَم أيّها الأخ الأعزّ: أنّك إذا أتَيت بالتوبة بهذا التفصيل دون زيادة ولا نقصان، فقد بلغتَ أوّل درجات التوبة، وأنّ توبتك ما زالت قشريّةً، لأنّ التوبة ليست مجرّد لفظ، بل إنّما تحتاج إلى

١ـ بحار الأنوار ٤٤/٣٠٨، ح ١٩.

٢ـ في المتن:

بازا، بازا، هر آنچه هستی بازا — گر كافر وگبر وبت پرستی بازا

كاين درگه ما درگه نوميدی نيست — صد بار اگر توبه شكستی بازا

(الحال)[١] وأنّها ذات درجات عديدة. واعلم أنّ جميع الأخلاق لها حقائق ينبغي للإنسان أن يتحسّسها[٢]، وأنّها مطالب لا يَمَسّها إلّا المطهَّرون[٣]. ولقد قال آدم عليه السلام كلمة واحدة: ﴿ربَّنا ظَلَمْنا أنفُسَنا﴾[٤]، وهي أُكرّرها لَيلَ نهار؛ وقال أيّوب كلمة واحدة: ﴿إنّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[٥]، وأنا أقولها أيضاً، ولكن كَم [من] فَرقٍ بَين الأمرَين! فأسرار الكلام وأسلوب مخاطبات أولئك وحقيقتها لا دخل لها بأسئلتنا وأجوبتنا أنا وأنتم. وهذه الرسالة لا تتّسع لتفصيل هذا المطلب.

اللهمّ اهدِنا فيمن هدَيت

فحاصل الكلام من البدء إلى الختام بتقرير آخر: أنّ السالك سبيل التقوىٰ يجب عليه مراعاة أمور.

١ـ يتكرّر استعمال كلمة (حال) في كتب الأخلاق والعرفان، وتعني حالة وجد معنويّة. (المعرّب)

٢ـ لكلّ مُلكٍ مَلكوت، ولكلّ رقيقةٍ حقيقة (ن).

٣ـ اقتباس من الآية (٧٩ الواقعة) في وصف القرآن الكريم.

٤ـ الأعراف: ٢٣.

٥ـ الأنبياء: ٨٣.

آداب المراقبة

الأوّل: تَركُ المعاصي، وهو الذي بُني عليه قِوامُ التقوى، وأُسّس عليه أساسُ الآخرة والأُولى؛ وما تقرّب المتقرّبون بشيءٍ أعلى وأفضل منه.

ومن هنا يسأل موسىعليه السلام الخضرَ: ماذا فعلتَ حتّى أُمرتُ أن أتعلّم منك؟ وكيف بلغتَ هذه المرتبة؟

قال: بتَرك المعصية.

فعلى الإنسان أن يعظّم هذا، ويعلم أنّ نتيجته عظيمة أيضاً.

وحقّاً! ما أقبح العبدَ الذليل المستغرق في النِّعم الإلهيّة آناً فآناً، الماثل في محضر الله بمفاد قولهعليه السلام: «مع كلِّ شيءٍ لا بمُقارَنة، وغيرَ كلِّ شيءٍ لا بمُزايلة»[1] وقوله تعالى: ﴿وهُوَ مَعَكُم أينَما كُنتم﴾[2]، وهو ـ مع هذا ـ يهتِك حِجاب الحياء، ويمتطي صَهوة الجرأة والصَّلَف، ويرتكب المناهي في حضرة ملك الملوك. ما أشنعه وما أجفاه!

١ـ نهج البلاغة الخطبة الأولى؛ بحارالأنوار ٢٤٧/٤، ح ٥.

٢ـ الحديد: ٤.

الحقّ أنّ شخصاً كهذا جدير، في حكومة جبّار السماوات والأرضين، أن يظلّ محبوساً الىٰ أبد الآبدين، إلّا أن يتوب وتشمله الرحمة الواسعة.

الثاني: الاشتغال بالطاعات، أيّاً كانت، بعد أداء الفرائض، بشرط الحضور والإقبال؛ لأنّ روحَ العبادة حضورُ القلب، فإن انتفى الإقبال كانت العبادة بلا روح.

بل قيل: إنّ العبادة بلا حضور قلب تورث قساوة القلب.

فإن كان من أهل الذِّكر فالأفضل أن يكون أوائل ذِكره الاستغفار، وأواسطه الذِكر اليونسيّ، يعني ﴿لا إله إلّا أنت سُبحانك إنّي كنتُ من الظالمين﴾[1]، وأواخره بالكلمة الطيّبة «لا إله إلّا الله»،

بشرط الاستمرار على الذِّكر، بالإضافة إلى حضور القلب.

الثالث: المُراقبة: أي عدم الغفلة عن حضور الحق جلّ شأنُه[2].

وهذا هو السَّنام الأعظم، والرافع إلى مقام المقرّبين. وعلى مَن كان طالباً للمحبّة والمعرفة أن يتمسّك بهذا الحبل المتين؛ وإلى هذا يُشير قولُه ﷺ: «اعبُدِ الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» فهو دائماً في حال باطنيّة كأنّه قائمٌ في خدمة مولاه، ومولاه تعالى يرىٰ قيامه.

وينطوي هذا الخبر الشريف على مسألة، أنّ خلاصة الفقرة كأنّها إشارة إلى أنّ الإنسان لا يحتاج في مقام العبادة إلى تصوّر إلٰهه، أو أن

١ـ الأنبياء: ٨٧.

٢ـ «لا تغفل عن ذلك البدر طرفةَ عين، فلربّما نظر اليك وأنت عنه غافل». (ن)

يعلم ما هو؟ ليستلزم ذلك توسّط المخلوقات، كما يدّعيه بعض جهّال الصوفيّة؛ بل يكفي أن يعلم العابدُ أنّه جلّ شأنُه حاضرٌ وناظر دائماً وأبداً، وبهذا يتوجّه إليه وإن لم يعلم أنّه ما هو؟ وكيف هو؟ فتأمّل فإنّه دقيقٌ نافع.

الرابع: الحزن الدائم: إمّا من خوف العذاب إن كان من الصالحين، وإمّا من شدّة الشوق إن كان من المحبّين؛ لأنّ الفيوضات المعنويّة تنقطع بمجرّد انقطاع سلسلة الحزن من القلب.

ومن هنا حُكيَ عن لسان حال التقوى أنّها قالت: إنّي لا أسكن إلّا في قلبٍ محزون. والشاهد على هذا المدّعى قولُه تعالى [في الحديث القدسيّ]: «أنا عند المُنكسرةِ قلوبُهم»[1].

واعلم أيُّها العزيز: أنّ كلّ ما يرِد على القلب من الأمور الحسنة، كالحزن والتفكّر والعِلم والحكمة وغيرها، إنّمايحلّ كالضيف؛ فإن قابله الشخص بالعناية التامّة وحُسن الضيافة والإكرام، وطهّر محلّ نزوله من لوث الأدران والأوساخ، وأبعد عنه ما يزعجه ويكدّره، فإنّ الضيف سيعاود دخول البيت لطِيب المقام. وإن هو عرّضه للأذى، أشكل الأمر حينئذ. فإن كان لك (حال)، فعليك أن تعرف قدرها ولا تضيّعها وإلّا زالت، وهيهات أن تجدها مرّة أخرى.

وبالجملة: إذا أردتَ أن تتنسّم رائحة الآدميّة، فعليك بالمجاهدة

١ـ بحار الأنوار ٧٣/١٥٧، ح ٣.

التي هي أصعب من جهاد الأعداء[١]، وقد سمّى العرفاء هذا الجهاد بالموت الأحمر.

ومعنى المجاهدة: هو أن تؤمن أوّلاً أنّ أعدى أعدائك نفسُك التي بين جنبَيك[٢]، وأنّها هي المتصرّفة برأس مالِك، والمُهيمنة على أرجاء وجودك، فهي تتصرّف بك مع أصدقائها وشُركائها من شياطين الخارج؛ وعليك أن تَحذَرها كلّ الحذر.

فإذا أصبحتَ لَزِمك عدّةُ أعمال:

الأوّل: المشارطة:

فكما أنّك تُشارط شريكك الماليّ قبل أن تبدأ بالتجارة، فعليك ـ كذلك ـ أن تشارط نفسك، بل أكثر من ذلك؛ لأنّك لم تعهد من شريكك الماليّ خيانةً قبل العمل، في حين اتّضحت لك خيانة النفس الشقيّة مراراً وكراراً.

الثاني: المراقبة:

وهي حراسة النفس، لئلّا تجرّ الأعضاء والجوارح إلى ارتكاب المخالفة، وإلى إهدار العمر العزيز الذي يعدل بكلّ آنٍ من آناته الدنيا وما فيها.

الثالث: المحاسبة:

١ـ قال الصادق (ع): ليس بين العبد وبين الله تعالى حجاب أظلَم وأوحَش من النفس والهوى، وليس لقطعها وقمعها سلاح مثل السهر بالليل والظمأ بالنهار. (ن)

٢ـ بحار الأنوار ٧٠/٣٦ح١؛ ٧٠/٦٤ح١.

على المرء أن يجلس للحساب إذا جَنّه الليل لينظر ماذا عـمل؟ وهل اكتسب منفعة أم أُصيب بضررٍ؟ والمهمّ أنّه إذا لم يربح فليحافظ على رأس المال في الأقلّ.

الرابع: المعاتبة إن لم يكن قد اكتسب منفعة.

أو المعاقبة إن كان قد أُصيب بضرر.

والعقاب: هو إجبار النـفس عـلى تـحمّل الريـاضات الشـرعيّة الشاقّة، كالصوم فى الصيف، والحجّ ماشياً إذا لم يـتسبّب ذلك فـي هلاكه، وما شابه ذلك ممّا يروّض النفس المتمرّدة في فترة وجيزة.

والحاصل: أنّه لو مَنَعتكَ القَساوةُ مِن التأثّرِ بالمَواعظِ الشّـافيةِ، ورأيتَ الخُسرانَ في نفسِك يَوماً بعدَ يَوم، فاستعِن عَلَيها بَدَوامِ التَّهجُّدِ والقِيامِ، وكَثرةِ الصّلاةِ والصيامِ، وقِلّةِ المُخالطةِ و الكلامِ؛ وبصِلةِ الأرحامِ، واللطفِ بالأيتامِ، وواظِب على النِّياحةِ و البُكاء، واقتدِ بأبيكَ آدمَ وأمِّكَ حوّاء، واستعِن بأرحـمِ الرّاحمين، و توسَّل بأكرمِ الأكرمين، فإنّ مُصيبتَك أعظمُ، و بَليَّتَك أجسمُ، و قد انقَطَعَت عَنك الحِيَلُ، وانزاحَت عَنك العِللُ، فلامَذهبَ ولا مَطلبَ و لا مُستغاثَ و لاملجأَ إلّا إلَيه تَعالى، فلعلّه يَرحم فَـقرَك ومَسكـنتَك، و يُـغيثك ويُـجيب دَعوتَك، إذ هو يُجيب دعوةَ المضطرِّ إذا دَعاه، و لايُخيّب رجاءَ مَن أمَّله إذا رجاه، ورحمتُه واسعةٌ، وأياديه مُتتابعة، و لُطفُه عَميمٌ، وإحسانُه قَديمٌ، وهو بـمَن رَجاه كريمٌ، اللّهمّ آمين.

آداب الرِّفقة

لمّا كانت تَمّة إشارة إلى كيفيّة الرفقة في السفر و غيره، فاعلَم أيّدك الله تعالى للعمل: أنّك إذا أردتَ مرافقة أحد، فلابدّ أن تخلو رِفقتُك له من الأغراض الدنيويّة، لأنّك حينذاك ستصاب باليأس. بل لِتَكُن مؤاخاتك للهِ وفي الله. وقد تواترت أخبارُ أهل البيت في المؤاخاة على هذا النحو تواتراً معنويّاً.

ولابدّ ـ بعد تحقّق هذا الغرض ـ من ملاحظة عدّة أمور في الطرف المقابل؛ فليس كلّ أحد مؤهّلاً للأخوّة في الله، وينبغي أن يكون مَن ترافقه جامعاً للصفات التالية بالقدر المتيقّن.

وقد قال رسول الله ﷺ: المرءُ على دِينِ خليلِه، فلينظُر أحدُكم مَن يُخالِل[1].

الأوّل: أن يكون عاقلاً، أي أن يعرف لكلّ شيء قدره، عَلى ما هُوَ

١ـ بحار الأنوار: ١٩٢/٧٤ وفي الأصل: يتخالل.

عَلَيه، ولو بالتعلّم من الآخرين. ذلك أنّه لا خَير في صُحبة الأحمق[١]. ومن أوضح البديهيّات أنّ الأحمق يُريد أن ينفعك فيضرّك[٢] في دِينك أو في دُنياك، وهو يظنّ أنّه يُحسن صُنعاً.

الثاني: أن يكون حَسَن الخُلق، فلا يكفي مُطلق كَونه عاقلاً، لأنّه قد يكون عاقلاً ولكنّه تَغلِب عليه إحدى القوّتين الشهويّة أو الغضبيّة، فيقع في مخالفة مُدركاته العقليّة مِن غَير شُعورٍ، ويتحمّل المفاسد العظيمة.

الثالث: أن يكون من أهل التقوى والصلاح، فالفاسق الذي لا يبالي بمخالفة ربّه جلّ وعلا لن يُبالي بمخالفتك، لأنّه يدور مع هواه حيثما دار، حسب اختلاف الأغراض، ويتلوّن كلّ ساعة بلون. والشاهد على أصل المدّعى الآية الشريفة ﴿فأعرِضْ عن مَن تَولّىٰ عن ذِكرِنا ولم يُرِدْ إلّا الحياةَ الدُّنيا﴾[٣]

وفي صحبة مثل هذا الشخص مفاسدُ أخرى، منها: أنّ معاشرة أهل الفسق تهوّن المعاصي في عين الشخص ـ نستجير بالله ـ واللهُ العالِم.

الرابع: أن لا يكون من أهل البِدعة، إذ علاوةً على خوف الإصابة

١ـ «لو دسّ الأحمق السُّكّر في فمي، لأصابتني الحمّى من حلوى ذلك الأحمق» (ن).

٢ـ في وصية الإمام عليّ عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: يابنيّ، إيّاك ومصادقةَ الأحمق؛ فإنّه يريد أن ينفعَك فيضرَّك (نهج البلاغة: الحكمة: ٣٨).

٣ـ النجم: ٢٩.

بالعدوى منه، أو شمول العذاب واللعنة لمن يُصاحب هذا الشخص، ورد في الحديث: (لا تُصاحِبوا أهلَ البِدَع ولا تُجالسوهم، فتصيروا عند اللهِ كواحدٍ منهم)[1]، وهذا خطرٌ عظيم.

الخامس: أن لا يكون حريصاً على الدنيا، فإنّ مجالستَه سُمٌّ قاتل قَهراً يسري إليك أيضاً، لأنّ الطبع سرّاق. ولعلّ إلىٰ جميع ما ذُكر يشير قول مولانا الصادق عليه السلام: احذَر أن تُؤاخي مَن أرادَك لَطمعٍ أو خَوف أو مَيل أو للأكل و الشرب، واطلُب مؤاخاةَ الأتقياء ولو في ظُلُمات الأرضِ وإن أفنَيتَ عُمرَكَ في طَلَبِهم، فإنّ اللهَ لم يَخلُق على وَجهِ الأرضِ أفضلَ مِنهم بَعدَ الأنبياء والأولياء وما أنعمَ اللهُ على العَبدِ بمِثلِ ما أنعمَ به مِن التوفيق بِصُحبتهم، قال اللهُ عزّوجلّ: ﴿الأخِلّاءُ يومَئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلّا المُتّقين﴾[2].

وعموماً فإنّ المطلب أوسع من هذا، وغَرَضُنا الاختصار.

رُوي عن المأمون أنّه قال: الإخوان ثلاثة:

أحدهم: مَثَلُه مَثَل الغذاء لا يستغني عنه الإنسان.

الآخر: مَثَلُه مَثَل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت.

والثالث: مَثَله مَثَل الدّاء، لا يحتاج إليه قطّ، ولكنّ العبد قد يُبتلى

١ـ ورد في أصل الحديث (عند الناس) بدلاً من (عند الله)، وفيه دلالة على الاحتراز عن مواطن الشُبَه والتهم؛ جاء في البحار ٢٠١/٧٤ عن أبي الإمام الصادق عليه السلام: لا تصاحبوا أهل البدع و لا تُجالسوهم، فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه.

٢ـ بحارالأنوار ٢٨٢/٧٤، ح ٣، و الآية في سورة الزخرف: ٦٧.

به، وهو الذي لا أُنس فيه ولا نَفع[١].

أجل، لو وجدتَ الرفيق المتّصف بالصفات الحميدة[٢]، فعليك أن تعرف قدره، ولا تفقده بسهولة، بل ارعَ حقوقه التي تلزمك:

الأوّل: الحقّ الماليّ: عليك أن تبذل له مالك؛ وللبذل مراتب، أدناها مرتبةً: أن تجعله بمنزلة خادمِك وعبدِك، فإن كانت له حاجة في مالك، قضيتَها قبل أن يسألك؛ فإن تركتَه حتّى سألك، فقد قصّرتَ في حقّه.

المرتبة الثانية: أن تجعله بمنزلة نفسِك، فيُشاركك في مالك بالسويّة.

١ـ المحجّة البيضاء ٣/٣١٨.

٢ـ هذا هو الكبريت الأحمر والناموس الأعظم، أي وجود الأتقياء، قال عليّ عليه السلام:

هموم رجال في أمور كثيرةٍ ... وهمّيَ في الدنيا صديقٌ مَوافقُ
شيئانِ لو بكت الدماءَ عليهما ... عيناىَ حتى تُؤذِنا بذَهابِ
لم يبلُغ المعشارَ من حقَّيهما: ... فَقدُ الشباب وفُرقةُ الأحبابِ

وربّما إلى هذا الحديث يشير المولى محمّد البلخيّ قدّس سرّه، المعروف بالعارف الروميّ حيث قال: لو شئتَ جذبة من الكبرياء، فاجلس إلى الدراويش والأولياء

وروي في مواعظ [كتاب] البحار عن الإمام الصادق عليه السلام:

الإخوان ثلاثة: فواحد كالغذاء الذي يحتاج اليه في كلّ وقت، وهو العاقل.

والثاني: في معنى الداء، وهو الأحمق.

والثالث: في معنى الدواء، وهو اللبيب.

ولمعرفة حقّ المؤمن على المؤمن انظر حديث المعلّى بن خُنيس في باب المؤاخاة، عن الصادق عليه السلام: «قلتُ له: ما حقّ المسلم على المسلم ....؟» (ن).

المرتبة الثالثة: أن تُؤثره بمالِك، ولو كان بك خَصاصة.

والمرتبة الأعلى: أن تُؤثره بنفسِك، أنّ عليّاً عليه السلام [آثَرَ بنفسه] في ليلةِ المَبيت[1].

وهذه المرتبة الرابعة لم يَنَلها أحد، ولكن لا ينبغي التقصير في بذل المال، لأنّه أمر ممدوح في الشرع المقدّس.

روي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «لَعشرون درهماً أُعطيها أخي في‌الله أحبُّ إليّ من مائة درهم أتصدّقُ بها على المساكين»[2].

الثاني: أنّ له حقّاً في بدنك، أي أنّ عليك السعيَ في حوائجه كما تسعى في حوائجك، بل أكثر من سعيِك لنفسك، وقبلَ أن يسألك ذلك. وعليك أن تقضي له حوائجه وأنت هاشّ باشّ شاكر، وأن تُقدّمه في قضاء حوائجه وإكرامه وزيارته على أقربائك وأولادك.

الثالث: أنّ له حقّاً في لِسانك، وهو على أقسام:

أوّلها: أن تَسكُت عن معايبه في حضوره وغَيبته، بل تتجاهلها؛

١ـ ليلة المبيت هي الليلة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وخلّف أميرَالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام نائماً في فراشه لئلّا يعلم المشركون بهجرته، فوقاه عليّ عليه السلام بنفسه، وعرّض نفسه للقتل مكانه، فنزل في حقّه عليه السلام: ﴿ومِن الناسِ مَن يَشري نفسَه آبتغاء مرضاة الله..﴾ الآية ٢٠٧ من سورة البقرة. وقد نقل هذه الواقعة الثعلبيّ في تفسيره، والحاكم في **المستدرك على الصحيحَين** ٣/ ١٣٢، و سبط ابن الجوزيّ في **تذكرة الخواصّ** ٣٥، والكنجيّ الشافعيّ في **كفاية الطالب** ٢٣٩، ب ٦٢، وأحمد في مسنده ١/٣٣١، والطبريّ في تفسيره ٩/١٤٠ وآخرون غيرهم.

٢ـ **المحجّة البيضاء** ٣/٣٢٠.

فإن أنت كرهتَ له الاتّصاف بتلك الصفات، فعليك أن تُنبّهه برفق، و تسلك معه سبيل الرأفة والعطف، فإنّها تفارقه قطعاً.

ومنها: أن تكتم سرّه وتتجنّب إفشاءه حتّى لأخصّ الأصدقاء، وأن تحفظ سرّه في قلبك، لأنّ إفشاء السرّ من لُؤم الطبع وخُبث الباطن، بل هو من الجهل والحُمق؛ قال عليّ عليه السلام: «قلبُ الأحمق في فِيه، و لسانُ العاقل في قلبِه»[1].

إنّ صَونَ الأسرار ـ إذاً ـ من أوجب الواجبات، سواءٌ كان السرّ له أو لغيره. وقد استُوفي بيانُ هذا الباب في كتب الأخلاق، وفيه حِكم ومصالح لا تسعها هذه الوُرَيقات.

ومنها: أن تتجنّب القَدْح في أهله وأولاده وأصدقائه، بل عليك أن تتحاشىٰ نقلَ قدح الآخرين فيه؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلى انزعاجه من المنقول عنه، خلافاً للمدح المنقول عن الغير.

وعليك ـ عموماً ـ أن تسكت عن كلّ ما تكرهه في طبعه، إلّا ما يأمر الشرع بإظهاره، فلا بأس لك من إظهاره حينئذٍ وإن ساءَه ذلك، لأنّه إحسانٌ اليه في الحقيقة.

وبالجملة: فإنّ على الشخص أن لا يكون عيّاباً لمّازاً يفتّش عن العيوب ويُفشيها[2]، لأنّ هذه الصفة ـ في نفسها ـ من الصفات المهلكة.

١ـ ورد الحديث في نهج البلاغة: الحكمة: ٤٠ بلفظ: لِسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.

٢ـ «كلّ فنّ وكمال لا يخلو من النقص، فلا تنظر إلى النقص حتّى تكتسب الكمال».

علىٰ أنّ ما يشغل الإنسان عن التفتيش عن عيوب الآخرين: أن ينتبه إلى عيوب نفسه، وينظر في صعوبة التخلّص منها، ثمّ ليتأمّل أنّ أخاه مبتلىً مثله أيضاً، فماالعمل؟ إذ النفس تقهر الانسان.

واعلم: أنّ المبرّأ من كلّ عيب ـ لو فُرض وجوده ـ هو جوهر محفوظ مصانٌ في خزائن السلطان لا تناله أيدينا، وأنّ خير رفيق لنا هو الذي غَلَبَت محاسنُه علىٰ مساوئه.

وعلى المرء أن ينظر إلى رفيقه أو إلى غير رفيقه؛ فإن وجد فيه محاسن يفتقر إلى مثلها تعلّمها منه بشوق، وليس له التفتيش في قبائح الغير وعيوبه كما هو من عادات المنافقين.

وعليه أن يحفظ لسانه وقلبه من سوء الظنّ برفيقه، فإن لم يجد لِفعله مَحمَلاً على الخير، فليَحمِلْه على السَّهو والنِّسيان.

ذلك أنّ حمل أفعال الغير على الفساد، وإفشاء الأسرار، وفضح العيوب هو الحركةُ الناشئةُ من الحِقد والحَسَد الباطنيّين؛ لامتلاء باطنه منهما، فإذا اغتنَما فرصةً رَشَح الباطلُ من باطنِه إلى ظاهرِه، لأنّ كلّ إناءٍ بالذي فيه يَنضحُ.

الثاني: أن لا يُجادله، لأنّ المجادلة الكلاميّة تُثير نار الفتنة، وفيها مفاسد تجد تفصيلها في آداب المتعلّمين للشهيد (رحمة الله عليه)

روي أنّ عيسى المسيح عليه السلام مرّ مع الحواريّين على مزبلة فيها ميتة متعفّنة، فتأذّى الحواريّون من الرائحة النتنة وأمسكوا أنوفهم، فقال عيسى عليه السلام: انظروا إلى بياض أسنانه! (ن)

وغيره.

الحقّ الثالث من حقوق اللسان، وفيه أقسام أيضاً:

أوّلاً: أن يُظهر له المحبّة مهما أمكن؛ لأنّ ذلك من أسباب توطيد عُرى الأخوّة وترسيخها.

وثانياً: أن يُفشي محامده في غيابه وحضوره، ومع أنّ المدح في حضور الشخصّ أمر منهيّ عنه في الأخبار، إلّا أنّه قد يدعو للأُلفة أحياناً، فلا بأس به حينئذ، وفي الروايات قرائن تفيد أنّ المنع ليس مطلقاً، واللهُ العالِم. وعليه أن يشكر نِعمه بلسانه، إن وجدَ له حقّاً يشكره عليه.

وثالثاً: أن يعلّمه إذا كان محتاجاً إلى تعليم ولا يتثاقل عن ذلك، مع ملاحظة آداب المعلّم، كأن يتجنّب تخطئة العلوم الأخرى إن كان صاحبه متخصّصاً في أحدها؛ فإن كان المعلّم فقيهاً، فلا يدّعينّ أنّ الحكمة مشحونة بالشبهات الباطلة وأنّها لغوٌ عقيم، وإن كان حكيماً فلا يقولنّ إنّ الفقه لغو لا طائل وراءه، وشتّان بين مطالب الدماء والحيض والنفاس وبين معرفة الله تعالى؛ فإنّ مثل هذا الذمّ لا منشأ له سوى الجهل بتلك العلوم، لأنّ لكلّ علم فائدة مقرّرة في محلّه، إلّا أن يكون هناك نهيٌ شرعيّ بخصوص علم من العلوم.

والغرض هو بيان هذا الأدب خاصّة، وإلّا فإنّ الآداب كثيرة ومسطورة في مواضعها، إذ الحاجة إلى العلم أشدّ منها إلى المال.

وعليه أن ينصح صاحبه ويُرشده في أموره الدينيّة إن وجد فيه

رغبةً للتعلّم، وأن يُزيّن له الأمور الحسنة، ويُقبّح له الرذائل، وليتحرَّ ـ ما أمكنه ـ تعليمه في الخَفاء، لئلّا يفطن الناس إلى جهله، فيكون ذلك باعثاً على تخجيله أو فضيحته، إذ الفرق بين النصيحة والفضيحة: الإعلانُ والإسرار.

وعليه أن يدُلّه على عيوبه بالرفق والمداراة؛ لأنّ الدلالة على العيوب كالدلالة على الأفعى المُهلِكة، فإنّك إن رأيتَ أفعى أو عقرباً تريد لدغه، فتلطّفتَ في إخباره، ودللتَه برفق، فإنّه سيشكرك كثيراً؛ وإن أنتَ دللتَه مُتحاشياً جانب الرفق، صَدَمه ذلك، فلم يشكر لك فِعلَك.

وإن أنت وجدتَ فيه عيباً يُخفيه عنك فلا تُظهره له، وإن وجدتَ الطبيعةَ غَلَبَته فصار عاجزاً عن تَرك ذلك العيب، كان السكوت عنه أولى أيضاً.

وإن رأيتَ منه تقصيراً في حقّك فاعفُ واصفَح وتَجاهَل، وإن رأيتَه بلغ حدّاً يدعو إلى القطيعة بينكما. فعتابُه في الخَفاء أولى من عتابه في العَلانية، والكِناية أبلغُ من التصريح، ولذا كان رسول الله ﷺ إذا رأى معصيةً من أحد قال: «ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا وكذا...؟!»[1].

والصبر والتحمّل أولى من كلّ شيء؛ لأنّي وجدتُ في الحديث القدسيّ «إنّي أخفَيتُ رِضاي في جَفاءِ المخلوقِ، فمَن طَلَب رِضاي

---

١ بحار الأنوار ٧٥/٢٢٤، ح ١.

عَليه أن يصبرَ على جَفاء الخلق».

وإن رأيتَ عيبه مِن قَبيل الإصرار على المعاصي ـ نعوذ بـالله ـ قيل: وجب انقطاعه، لأنّ الحبّ والبُغض بينكما كان حبّاً في الله. وقال بعض الأعاظم: عليك أن لا تقاطعه مع ذلك؛ لأنّ طبع الانسـان قـد يَعوَجّ أحياناً، وقد يستقيم أحياناً أخرى، فإن اعـوجّ كـان صـاحبه أحوجَ إليك لتأخذ بيده بـلُطف وإخـلاص، وتُـخرجـه مـن مـهاوي المعاصي، وتكسب أجر ﴿مَن أحيا نَفْساً﴾[1]، إذ أنّ الحياء من صُحبتك له أمر لا يُستهان به، إضافة إلى أنّ الآية الشريفة ﴿قُوا أنفسَكم وأهليكم ناراً﴾[2] جارية هنا أيضاً؛ لأنّه صار قـريباً مـنك، وأضـحت لُـحمته كلحمة النسب، بدليل قول الصادق عليه السلام في بعض الأخـبار، حـيث يـقول: «مَودّةُ يومٍ صلة، ومودّة شهر قرابة، ومودّة سنة رَحِم ماسّة، مَن قطعها قطعه الله»[3].

ويُفهم من مجموع ما ذُكر أنّ مؤاخاة الفاسق سـيّئة ابـتداءً، ولا بأس بها استمراراً[4]، وهي من قبيل الطلاق وترك النكاح.

١ـ المائدة: ٣٢ ﴿ومَن أحياها فكأنّما أحيا الناسَ جميعاً﴾.

٢ـ التحريم: ٦.

٣ـ المحجّة البيضاء ٣ / ٣٣٨.

٤ـ بمعنى أنّه إن ظنّ أنّ الفاسق سيرتدع عن فسقه ويعود الى جادّة الصواب بسبب علاقته به فلا بأس بها حينئذ، وإلّا فلا، حيث ورد النهي عن ذلك في الأخبار، تماماً كما هي الحال في الأمراض الظاهريّة، حيث يستمرّ في المعالجة والرفقة إن كان هناك أمل في الشفاء، وإلّا فلا فائدة من الاستمرار فيهما.

رُوي أنّه كان صديقان حميمان، فابتُلي أحدهما بمرض العشق، فقال المبتلىٰ للآخر: يا أخي، لقد كنتَ حتّى الآن صديقي وقد ابتُليتُ بهذه العلّة، فإن كنتَ لا تصبر على عَقد الأخوّة، فأنت وشأنُك.

فأجابه: إنّي لا أضيعك لأنّك ابتُليتَ بالخطيئة.

ثمّ عزم على أن لا يأكل ولا يشرب ولا يذوق طعم الراحة حتّى يُخلّص ربُّ العالمين صديقَه من هذه البليّة، ثمّ أنّه التزم عدّة أربعينات حتّى نجا صاحبه.

الرابع: أن لا يتثاقل من تقديم القربات والزيارة نيابةً عنه، والدعاء له في حياته وبعد مماته، لأنّ دعاءه لصديقه دعاءٌ لنفسه في الحقيقة؛ فقد ورد في حديث النبيّ ﷺ: إذا دَعَوتَ لأحدٍ، قال مَلَكُ: ولَكَ مِثْلُ ذلك[1]، فلا ينبغي له أن يُقصّر في ذلك.

الخامس: أن يكون وفيّاً، ومن علامات وفائه لصديقه أن يسعى بعد موته في حاجات أهله وعِياله وأولاده وأصدقائه، و أن يُكرم أحبّاءه، ولذا كان رسولُ الله ﷺ يُكرم عجوزاً كانت تأتيه أيّام خديجة.

ومن آثار الوفاء أيضاً: أن يتواضع لصديقه ولا يغيّر سجيّته معه إذا أقبلَت عليه الدنيا وارتفع شأنُه وعَظُم جاهُه.

ومِن كمالِ الوفاءِ أيضاً الجَزعُ على فِراقِه، ولهذا كان الإمام الحسن

ولكلمة الفاسق معنَيان: الأوّل الفاسق مقابل العادل، و ليس هو المراد هنا. والثاني أن يكون الشخص في سلك المتديّنين، إلّا أنّه قد يزلّ ويعثر وتصدر منه خطيئة، وهذا ما لا يُسمّى فاسقا بالاصطلاح. (ن)

١ـ بحار الأنوار ٦٠/٧٦؛ و ٣٨٦/٩٣ بلفظ «.. ولك مِثلاه».

المجتبى عليه السلام يبكي حين الشهادة عندما حضرته الوفاة، فسُئل عن ذلك فقال: مِن فُرقةِ الأحِبّةِ وهَولِ المُطَّلَعِ[١].

السادس: أن يُراعي حالَه، ويتساهل معه، ولا يُوقعه في التكلّف[٢] مهما أمكن، لأنّه إن أوقعه في التكلّف فقد يضطرّه إلى المخالفة، بَل يكون القَصدُ مِن محبَّتِه هو آلَةٌ بالتبرُّكُ بِدُعائه، والاستِئناسِ مِن لِقائه، والاستِعانةِ عَلى دِينِه، والتقرّب إلَيه تعالى بِتحمُّل أعبائه و قَضاءِ حَوائجه، وأمثال ذلك من الأمور المُستَحسَنة شَرعاً.

ومن هنا قيل: إذا وَقَعَتِ الكُلفَة بَطَلَتِ الأُلفَة.

ومحصّل ما ذُكر:

عليك أن تُصلح نفسك وتتّهمها وتنسِب العيبَ إليها ولا ترمي به آخر، وأن تظنّ به خَيراً، وتتوقّع منه خَيراً، وأن تنسىٰ نفسك، والرجُلُ كُلَّ الرجُلِ مَن يغلب حياؤه شهوتَه، ورأفتُه بالناس حسدَه، و عفوُه غيظَه و حِقدَه. والكلام كثير، وأخشى أن تزعجك الإطالة.

وإذا حالفني التوفيق فسأكتب عن كيفيّة السلوك مع الأهل والعيال والأولاد والخدم والعبيد إن شاء اللهُ، ولَو على سَبيل الاختِصار.

١ـ بحار الأنوار ٣٣٢/٤٣، ح ١، وفيه: أبكي لخصلتَين: هَول المطّلع وفِراق الأحبّة.

٢ـ قال عليّ لابنه الحسن عليه السلام: «وراعِ الإخوانَ في اللهِ».

على من يزعم الوفاء للحبيب أن يريد وجوده لحبيبه ولا يريد حبيبه من أجل نفسه اطلب ظلّ من يمتطي الشمس (ذوي الهمم العالية)، وابْغَ نَصَب النفس من أجل راحة الأحباب.

والحذار من أن تكون مصداقاً لشرّ الاخوان، قال عليّ عليه السلام: «شرّ الاخوان مَن تُكلّف له».

آداب السلوك مع الزوجة و العِيال

ينبغي أن تعلم أوّلاً أنّ هذه الطائفة[1] ناقصات العقول و أنت رجل، ولا ريب أنّ الرجل كامل العقل بالنسبة إلى المرأة، والله جلّ شأنه العظيم يُداقّ في الحساب مع الناس على قَدر عقولهم. ولمّا كان عقلك أتمّ كانت مُؤاخذتك أشدّ[2].

فعليك أن تصبِر على أذىٰ زوجتك، وتُقابل عصيانها بالعفو وكظم الغيظ، وجفاءها بالوفاء، وإساءتها بالرأفة والإحسان. فإن هي عاندت عن جهل فروِّضها بحُسن الخُلق.

١ـ عرّبنا ما جاء في المتن بتصرّف يسير. (المعرّب)

٢ـ هناك بطبيعة الحال مواضيع مطروحة للنقاش في هذا المجال، منها: هل المراد بذلك النقصان النقصان في العقل الفطريّ الموهوب من الله تعالى أم في العقل الاكتسابيّ؟ وهل يبعث التفاوت في نظام الخلقة بين الرجل والمرأة على التفاضل بينهما؟ وهل يصحّ القياس بين الرجل والمرأة أساساً باعتبار أنلكلّ منهما تكاليفه المميّزة و دوره الذي ينفرد به و لايمكن أن يتحمّل أعباءه الآخر؟ وهي أمور تحتاج الى بحوث جامعة ومستقلّة.

ولا تعتبر نفسَك ـ مع ذلك كلّه ـ خالياً من التقصير، وإن كان الحقّ معك واقعاً؛ لأنّك مسلّط عليها وهي أسيرة في يدك.

والأسير أولىٰ بالمُراعاة، وأحقُّ بالإحسان مِن الغَير، فيجبُ عليكَ إكرامُها وبَذلُ النَّفَقة والكِسوة لها عَلى ما بُيّن في الكُتبِ الفِقهيّة، و أن تُعَزِّزها عِندَ أقربائك وغيرهم.

ويجب أن لا تتعامل معها على نحوٍ تزولُ معه سيطرتُك عنها بالمرّة، فترى نفسها مختارة في تصرّفها فيالأمور. وامضها ـ مهما أمكن ـ من المجالس والمحافل، فإنّ الشارعُ المقدّسُ أيضاً قد نهاها عن الخروج إلى الحمّامات، فضلاً عن الأعراس وغيرها.

قال أميرُ المؤمنين صلوات الله عليه في وصاياه للإمام المجتبىعليه السلام: وإن استطعتَ أن لا يعرِفنَ غيرَكَ مِن الرِّجال فافعَلْ...إلى أن قال: فإنّ المرأةَ رَيحانة ولَيست بقَهرَمانة[1].

أجل؛ على المؤمن أن يكون غَيوراً[2]، قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: سعدٌ غيورٌ، وأنا أغيَرُ منه، واللهُ تعالى أغيرُ منّي، ومِن غيرتِه حَرَّمَ الفَواحِشَ ما ظَهَر منها وما بَطَن[3].

وعليه أن لا يحبِسها بالمَرّة، لاسيّما في الموارد التي لا محلّ للغيرة فيها، مثل مُجالسة المَحارِم ونحو ذلك.

١ـ نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

٢ـ لا تأمننّ على النساء أخاً أخاً ما في الرجال على النساء أمينُ

٣ـ مجمع الزوائد ٤/٣٢٩ و ٦/٢٥٨.

وأمّا كيفيّة مُعاشرتها، فخير الأمور أوسطها؛ وإن كانت مجالسة النساء مُطلقاً مذمومة في الأخبار، إلّا أنّ عِيال الرجل لهم شيءٌ من الحقّ.

الحاصل: أنّ عُمدة المطالب هي أن ينظر المرء في أمر الأولاد والزوجة والصديق وسائر المسلمين نظرَ الطبيب الشَّفيق، فيرى الأصلحَ للدِّين والدُّنيا، فيسلكه. وآداب المعاشرة مسطورة في كتب الأخلاق، فراجِع.

ومع أنّي قد حرّرتُ في هذه الأوراق تعليمات للعوامّ، ولكنّها لا تخلو من فائدة إذا راجعها الآخرون.

آداب تربية الأولاد

اعلَم ـ يامَن أنعم الله عزّ شأنُه وجلّ جلاله عليه بنعمة الأولاد ـ أنّهم أمانة أودعها اللهُ إيّاك، و أنّه جَعَلَك وليَّ نعمتهم، فلا تصدر منك خيانة في هذه الأمانة، ولا تُفرِّط فيها حتّى تضيع حقّها، فيؤاخذك صاحبُ الأمانة على ما فرّطت فيه مِن حفظها وصيانتها وفقاً لِما عَلَّمك وهَيّأ لك من أسباب تربيتها، مُنذ أن وهبك إيّاها وإلى أن يستعيدها منك، (وأنّه سيخاطبك قائلاً): لماذا لم تعمل بذلك لتنال أجرك عندي؟

أمّا كيفيّة تربية الأطفال فهي أنّك إذا وجدت في طفلك حَياء، فهو دليل عقله، فجدّ واجتهد في المحافظة عليه ولا تهمله، لأنّ نفس الطفل صافية بسيطة لم تنتقش فيها التعقيدات بعدُ، ولم يتكوّن له رأي وعزم من تلقاء نفسه، ولم يَغْدُ صاحب مشرب.

وعليك أوّلاً: أن تُرغّبه في الآداب الشرعيّة، وتعلّمه المواظبة عليها، وتُلزِمه بسُنن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: أن تمدح عنده الأخيار، وتُكثِر مدحه إذا عمِل خيراً، وتوبّخه بشدّة إذا ارتكب أدنى قبيح لكي لا يعود إليه، وتؤاخذه على التمادي في شهوة المأكل والمشرب والملبس، وتُظهر له الاحتراز عن الحرص في الأكل وفي مطلق اللذائذ، وتُحبِّب إليه الإيثار على النفس في المأكل، وتفهمه أنّ النساء هنّ أولى الناس بالثياب المنقوشة الملوّنة.

والحاصل: أنّ الطفل غالباً ما يكون في بداية أمره قبيح الأفعال، كذّاباً، سَارقاً، حسوداً، نمّاماً، لَجوجاً، عنيداً، صاحبَ مَلَكات رذيلة، أكولاً نؤوماً، ثَرثاراً... إلى سواها.

وعليك أوّلاً أن تنهاه عن معاشرة مَن يسمع منهم نقيضَ قولك.

وثانياً: أن تُراقبه حتّى ينتقل من حال إلى حال، لأنّه لم يكتسب الملَكة بعدُ.

وأفضل الأمور للأطفال تعليمُهم محاسن أخبار أهل البيت عليهم السلام، والأشعار التي تدعوهم الى الأدب. ولا تسمح للطفل بممارسة أشعار الهوى المتضمّنة للعشق المجازيّ والتشبيهات، فإنّها مفسدة للأحداث جدّاً.

يقول محرّر هذه الأوراق:

لمّا بلغتُ هنا اسم «العشق» المبارك توقّف القلم عن الحركة، ثمّ تحرّك ليسطّر هذه الكلمات:

قيل لأفلاطون الحكيم: إنّ ابنك قد عَشِق! قال: الآن تكامَل في الإنسانيّة.

«العشقُ ذنبٌ، مَن لم يرتكبه لفّه الخجلُ في أرض المحشر»[١]

نعود إلى الموضوع:

إذا أنت نهيتَه فخالفَك فلا تُوبِّخنّه كثيراً، لا سيّما إذا كان يُخفي عنك ذلك.

وعَلِّمه أنّ الغرض من الأكل والغذاء هو الصحّة لا اللّذة، فإنّ الأغذية ـ كالأدوية ـ خُلقت لتكون أدويةً للصحّة، ودافعةً ألمَ الجوع، ومانعةً من المرض، والغرض [هو] تحقير أمر الطعام عنده.

ولا بأس أن تعوّده على الاكتفاء بنوع واحد من الطعام، والأولى أن يكون ذلك النوع اللحم، لأنّ اللحم أنفعُ لحال الطفل؛ وأن تمنعه من الأطعمة المتنوّعة وتخيّر الألوان، وتُعلّمه تدريجاً آدابَ الطعام المذكورة في كتب الفقهاء رضوان الله عليهم، ليتعوّد منذ نُعومة أظفاره على الأكل وُفقاً للآداب الشرعيّة، بأن يتأنّى ولا يعجل في الأكل، ولا ينظر إلى غيره، وأن يأكل مِمّا يليه، وأن يُصغّر لُقمته، ويُجوّد المَضغ، إلى غير ذلك من الآداب الموظَّفة في محلّها.

ولا بأس أن تُعوّده ـ مهما أمكن ـ على الخُبز الخالي، وأن تُشبعه في الليل وتُجيعَه في النهار ما دام طفلاً، لئلّا يمتلئ فيكسل في النهار وينام ويُضحي بليد الفهم. وامنَعه من النوم بين الطُّلوعَين، ليكون نافعاً في لونه ومِزاجه وذكائه ورزقه.

١ـ في المتن: عشق گناهی بود که در صف محشر منفعل است هر که این گناه ندارد

وعلى أيّ حال، فلتمنعه من كثرة النوم، لأنّها تورثه قُبح المنظر والبلادة، والأفضل أن لا ينام في النهار. وينبغي أن لا يُعوّد على النُّعومة والتَّرف، حتّى يقوى عُودُه ويخشوشن بدنه؛ وأن لا يُعوَّد ـ ما أمكن ـ على تناول الحلويّات والفواكه الجيّدة إلّا قليلاً. قال بعض الأعاظم: إنّ هذه الأغذية تورث الجسم المرض.

ولا يُنشِّئنّه ناعماً مُترفاً، يمرض لأقلّ برد أو حرّ يُصيبه.

وخلاصة ما ذُكر: أن يُعوَّد الطفل إكرام الغير، شيخاً كان أو شابّاً، ويُعلّم آداب المجالسة، كأن يجلس مؤدّباً، ولا يبصق، ولا يتنخّم، ولا يتثاءب في وجه أحد، ولا يضحك، ولا يتربّع في جلسته بأن يضع رِجلاً على رِجل، ولا يتكلّم ما لم يُسأل، وأن يتكلّم بقَدر الحاجة، ويُحسن الاستماع الى الجميع، إلى غير ذلك.

وعليه أيضاً أن يُعوّده الصِّدق وعدم خُلف الوعد، وتَرك اليمين صادقاً أو كاذباً، ويُعوّده الصمت حتّى يصبح ملَكة له، فلا يتكلّم في المجالس وغيرها إلّا حين يُجيب، وأن يُطيع الأكبر منه، وأن يمنعه من بذيء الكلام والسبّ واللعن واللغو والغناء، بل يعلّمه حُسن الكلام وجميلَه.

ويعلّمه خدمة نفسه وخدمة معلّمه وخدمة الأكبر منه ما لم يكن الطفل مشغولاً بأمرٍ أهمّ، ويمنعه من إيذاء الأطفال الآخرين، ويحذّره من ذلك، بل عليه أن يُلجئه إلىٰ معاملتهم بالرِّفق بهم والمداراة، ويعلّمه البذل لأترابه، ويمنعه من قبول شيء من الأصدقاء؛ لئلّا يشبّ

طمّاعاً، ويمنعه من مرافقة الأطفال غير المؤدّبين والمنحرفين، لأنّ العِشرة مؤثّرة، ويحذّره حبّ الدراهم والدنانير أكثر من تحذيره السِّباعَ والحيّات والعقارب، لضرورة أنّ حبّ الذهب والفضّة من السُّموم المُهلكة.

وينبغي أن يخلّي بينه وبين اللعب غير المضرّ أحياناً، ليستريح قليلاً من معاناة التأديب، ويعوّده احترام الأب والأمّ والمعلّم وطاعتهم.

وعليه أن لا يتوقّع من الطفل أنيكون له مثل عقله هو الذي اكتسبه بتجارب خمسين سنة، ولا يؤذيه ولا يُزعجه كثيراً، بل يسلك معه طريق المحبّة والمداراة.

هذا عدا ما ذُكر في كُتب الفقه، كأن يُحسن تَسمِيته، ويَختنه، ويَعِقّ عنه، ويُعلّمه القراءة والكتابة، ويوسّع عليه في النفقة، إلى غير ذلك من الآداب الشرعيّة.

أجل، إنّ ما ذكرناه، وإن كان عنوانه تربية الأولاد، إلّا أنّ العاقل يفهم أنّ أكثره يَصدُق في حقّه وحقّ سائر عياله، ولا سيّما النساء، والله العالم.

آداب الزيارة

إذا قصدتَ زيارة الأولياء الحقيقيّين سلام الله عليهم، فعليك أوّلاً أن تعلَم أنّ النفوس المقدّسة الطيّبة الطاهرة لمّا فارقت الأبدان الجسمانيّة، واتّصلت بعالم القدس والمجرّدات، غدت أقوىٰ إحاطةً بهذا العالَم، وأكثر تصرّفاً في هذه النشأة من السابق، وصار اطّلاعها على الزائر أتمّ وأكمل[1]، فهم ﴿أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقون فَرِحِينَ بِما آتٰهُمُ اللهُ مِن فَضلِه﴾[2].

من هنا يبلغ نسيمُ ألطافهم ورشحات أنوارهم زوّارَهم، وخصوصاً للخُلّص مِن قاصديهم.

إنّ من الخير لزائري هؤلاء العظام أن يتوجّهوا إليهم بنيّةِ تجديد العهد معهم، وإعلاءِ كلمتهم رغماً لأنوف أعدائهم، قاصداً زيارة مؤمنين مَحضوا الإيمان محضاً، استشفاعاً بهم لغفران الذنوب،

١ـ «كلّ مَن طفحت كأسُه مات، أمّا نحن فحين امتلأت كأسُنا بُعثت فينا الروح!» (ن).

٢ـ آل عمران: ١٦٩ و ١٧٠.

ورجاءً للوصول إلى الفيوضات العظيمة، مع مراعاة الآداب المذكورة في كتب المزار.

وليعلَم أنّهم مطّلعون على حركاته وسكناته، بل إنّهم مطّلعون على خَطَرات قلبِه، ولذا ينبغي له الإكثار من التضرّع والتذلّل والانكسار، خصوصاً عند الدخول إلى مراقدهم الشريفة، والتوجّه إليهم بكُلّه، لأنّ تشتّت الأفكار الباطلة بمنزلة الإعراض عن الإمام والإدبار عنه[1]. وحَذارِ أن يتحدّث الزائر مع أحد بحديثٍ آخر، كأن يجلس فى الحرم المطهّر ـ نستجير بالله ـ فيغتاب، أو يستمع إلى الغيبة، أو يكذب، أو يرتكب المعاصي الأخرى، بل ينبغي أن لا يرفع صوته ﴿لا تَرفَعوا أصواتَكُم فَوقَ صَوتِ النَّبيّ﴾[2]، إذ الآية جارية هنا أيضاً، خصوصاً في حرم أمير المؤمنين سلام الله عليه؛ لأنّه بمنزلة نفس رسول الله ﷺ.

وعليه أن يُقبّل أركان الضريح الأربعة، ويَعرض حاله بلِسانه، ويطلب حاجاته من ذلك العظيم، ويقول:

«إمّا أن تطلبني ـ أنا المسكين ـ لجوارك، وإمّا أن تسأل اللهَ ـ وأنت الطاهر

١ـ استحضروا قلوبكم أيّها اللاهون في حضور أصحاب القلوب، فالأدب عند أصحاب الأبدان ظاهريّ، أمّا عند أصحاب القلوب فباطنيّ، فاحذروهم فهم جواسيس القلوب (ن).

٢ـ الحجرات: ٢.

ـ لي الموت»[١]

ومن المناسب أن يقرأ عند تقبيل الأعتاب:[٢]

«إنّي وإن لم أكُ شيئاً مذكوراً، فأنا بكُلّي مِلكك، فلا تَطردني لأنّي كلبٌ لائذٌ بحضرتك»[٣]

ثمّ يَعرض إيمانه عليهم، ويُودعه إيّاهم أمانةً يستردّها عند الحاجة إليها، فلا يتمكّن الشيطان عند الاحتضار أن يسلبه إيّاها، وأن يتذكّر ما حلّ بهم من المصائب، وبخاصّة حين يكون في الحرم المطهّر لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، فيتذكّر مصائبه واحدة واحدة بالتفصيل، ويذرف من أجلها الدموعَ السِّخان.

وإن استطاع فليتُب توبةً نصوحاً ـ بجميع شروطها المعلومة ـ عند الإمام عليه السلام، ويجعله شاهداً وشفيعاً، ويعزم ـ عند الرجوع ـ أن لا يُلوّث بالمعاصي مرّةً ثانية تلك الشفاهَ التي قبّلت الأعتاب الشريفة، والأعضاءَ التي تقلّبت على المشاهد المقدّسة، واكتسبت النور من بركاتها؛ بل يعزم على اجتناب اللغو الذي لا طائل وراءه،

١ـ في المتن:

يا من بازمانده را نزد خود از وفا طلب يا تو كه پاكدامنى مرگ من از خدا طلب

٢ـ من الأفضل أن يستحضر في قلبه (أو يقرأ) عند الدخول البيتَ الذي أنشدته:

لقد حططنا الآمال عند أعتابك، فإن نحن نِلنا القبول، فبخٍ لنا ثمّ بخٍ!

وليقرأ بيت المرحوم الشيخ البهاريّ عند الخروج (ن).

٣ـ في المتن:

من ار چه نيم هر چه هستم آن توأم مرا مران كه سگى سر بر آستان توأم

ولابدّ من حصول تفاوت في حاله قبل التشرّف بالزيارة وبعده.

وعليه أن يبذل ما أمكن للخدّام والمجاورين، وأن يُكرمهم ويُحسن إليهم[١]، وأن يُبجّلهم وإن جَفَوه، ويصبر عليهم صبراً جميلاً[٢]. وليعلَم أنّه في سبيلِ مَن تحمّل وصبر، فلا يمنعهم العطاء، ولا يتثاقل من بذل المال. وعليه أن يوقّر مشايخهم وأهل العلم منهم، فيُكرمهم أكثر من غيرهم.

ولا يضجر ولا يندم إذا تعرّض للشدائد والمحن في سفره إليهم، خصوصاً عند الخوف من الأعداء، لأنّهم قالوا: «ألا تحبّون أن تخافوا فينا»، ولا يتعجّل الرجوع من المشاهد المشرّفة، وليُقم فيها ما أمكن، ولا يجعل للوساوس عليه سبيلاً، كأن يقول، إنّ شغلي معطّل، وإنّ بَيتي عَورة، وإنّ أهلي وحدهم بلا راعٍ، وكأن يتعلّل بنفاد مؤونته ورحيل رفقائه، وغير ذلك من الأفكار التي لو تأمّلها، عَلِم أنّها من إغواء الشيطان لصرفه عن الزيارة، خصوصاً إذا صادفت يوم الجمعة، أو كانت إحدى الزيارات المخصوصة القريبة، فقد يكون قد انقضى من عمره أربعون أو خمسون سنة أو أكثر قبل أن يُوفّق الى الزيارة مرّة واحدة، وهيهات أن يُحالفه التوفيق لزيارة أخرى. فقد يظنّ ـ

١ـ أُحبّ لحبّها تَلَعات نجدٍ ..... أحبُّ لحُبّها السُّودانَ، حتّى أحبّ لحبّها سُودَ الكلابِ (ن)

٢ـ لو سار الرجل في طريق التوكّل، لاستحالت أشواك شجرة أمّ غيلان التي تعترضه أزهاراً.

مادام زائراً ـ أنّ العودة والزيارة في كلّ عام أمر يسير، لكنّ التجارب أثبتت بُطلان هذا الظنّ والوهم.

نعم، يبقى الكلام في كثرة تكرار الزيارة ما دام في المشاهد المشرفة، فهل يُكثر الدخول على الإمام، أم أنّ الأفضل أن يتشرّف بالزيارة كلّ صباح ومساء؟ قال العظماء: كلّما كان التشرّف أكثر كان أفضل.

والحقّ أنّ في المسألة تفصيلاً، وأنّ الإطلاق غير صحيح. والخلاصة: أنّ الإكثار مطلوب جدّاً وفق الشرائط المقرّرة المزبورة، أمّا في الأحوال الأخرى فيوجد تفصيل آخر لا تَسَعه هذه الورقة، والله العالِم بالصواب.

آداب الحجّ

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصّلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد، فاعلَم أيّها الطالب للوصول إلى بيت الله الحرام، أنّ للحضرة الأحديّة بُيوتات مختلفة، أحدها يُدعى الكعبة الظاهريّة، وهي التي قصدتَها، والآخر بيت المُقدِس والبيت المعمور والعرش: وهكذا، حتّى تصل إلى البيت الحقيقيّ الذي يُدعى القلب، وهو أعظم جميع تلك البيوت، ولا شكّ ولا ريب في أنّ لكلّ بيتٍ من البيوت لطالبه رسوماً وآداباً.

أمّا معنى «بيته»، فهل هذه الإضافة للتشريف أو لشيءٍ آخر؟ إنّ بيان ذلك غير مقصود في هذه الرسالة، لأنّها مخصّصة لآداب الكعبة الظاهريّة سوى الآداب المسطورة في كتب المناسك. وقد نتعرّض إجمالاً لبيان بعض الآداب المتعلّقة بالكعبة الحقيقيّة:

أوّلاً: اعلَم أنّ الغرض من تشريع هذا العمل الشريف لعلّه لبيان أنّ

الهدف الأساس من خلق الإنسان إنّما هو معرفة الله والوصول إلى درجةِ حبّه والأُنس به، ولايُمكن حُصولُ هذين الأمرين إلّا بتصفية القلب.

وهو أمر عسير يتمثّل في كَفّ النفس عن الشَّهوات، والانقطاع عن الدُّنيا الدنيّة، وايقاعِها على المشاقّ من العبادات ظاهريّةً وباطنيّة.

ومن هنا لم يجعل الشارع المقدّس العبادات على نَسَق واحد، بل جعلها مختلفة، لأنّ كلّ واحد منها يُطهّر رذيلة معيّنة من الرذائل؛ فإذا زاوَلَها المكلّف بأجمعها طهّرَتهُ تطهيراً كاملاً؛ فصدقات الحقوق الماليّة وأداؤها يقطع رغبة الإنسان في حُطام الدنيا، والصيام يقطع رغبة الإنسان في مشتهياته النفسانيّة، والصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر، وهكذا شأن سائر العبادات.

والحجّ مجمع العناوين وزيادة، لأنّه يشتمل على جملة من الأعمال الشاقّة التي يُعدّ كلٌّ منها بذاته صالحاً لتصفية النفس وتطهيرها، مثل إنفاق المال الكثير، والانقطاع عن الأهل والأولاد والوطن، و الحشر مع النفوس الشرّيرة، وطيّ المنازل البعيدة، مع الابتلاء بالعطش في الحرّ الشديد في بعض الأوان، والوقوع على أعمال غير مأنوسة لا تقبلها الطباع، من الرَّمي والطَّواف والسَّعي والإحرام وغير ذلك.

وللحجّ فضائل كثيرة أيضاً، من قبيل تذكّر أحوال الآخرة برؤية أصناف الخلق، والتجمّع الكبير، والزحام في صُقعٍ واحد على نَهج واحد،

لا سيّما في الإحرام والوقوفَين[١]، وزيارة مهبط الوحي ومختلف الملائكة ونزولها على الأنبياء، من لَدُن آدمَ إلى الخاتم صلوات الله عليهم أجمعين، والتشرّف بمواطن أقدام أولئك العظماء، إضافة إلى التشرّف بحرم الله وبيته؛ ناهيك عن حصول الرقّة المورثة لصفاء القلب نتيجة مشاهدة هذه الأماكن الشريفة وغيرها من البقاع الشريفة التي لا يتّسع المجال إلى تفصيلها في هذه الرسالة.

والحاصل: أنّ في الحجّ مشاقّ وفضائل كثيرة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رَهبانيّةُ أُمّتي الجهادُ والحجّ»[٢].

و لا يصل الانسان إلى هذه الكرامة العظمى إلّا بملاحظة الآداب الحقيقيّة، وهي جملة أمور:

الأوّل: أنّ أيّ عبادة يجب أن تقترن بنيّة صادقة وبقصد امتثال أمر الشارع، وإلّا لم تكن عبادة.

فعلى مَن أراد الحجّ أن يتأمّل في نيّته ويطرح أهواءه، ليتبيّن له هل إنّ غرضه من هذا السفر امتثال الأمر الإلهيّ ونَيل ثواب الله والفرار من عقابه أم لا؟

لا يكوننّ غرضه ـ نستجير بالله ـ اكتساب الجاه، أو الخوف من مذمّة الناس أو تفسيقهم له، أو الخوف من الفَقر بناءً على ما اشتُهر من أنّ تارك الحجّ يُبتلى بالفقر، أو لأغراض أخرى من قبيل التجارة

١ـ أي الوقوف في عرفات والمَشعر الحرام.

٢ـ بحار الأنوار ٧٠/١١٤، ح١.

والنزهة والسياحة في البلاد وغير ذلك.

ولو تأمّل جيّداً لعرف نيّته ولو بالآثار، فإن لم يكن المقصود هو الله اجتهد في تصحيح نيّته وقصده، ولا أقلّ من التفاتة منه إلى قبح هذا العمل، حيث إنّه توجّه إلى حرم مَلك الملوك لنَيل هذه المقاصد العقيمة، فليدخل على الأقلّ وهو خَجِل، ولايدخل وبين جنبَيه غرور وعُجب.

الثاني: أن يتهيّأ لحضور مجلس الرُّوحانيّين، بأن يتوب توبةً نصوحاً بكامل مُقدّماتها[1]، ومنها: رَدُّ الحقوق، ماليّةً كانت مثل الخُمس وردّ المظالم والكفّارات وغيرها، أو غير ماليّة مثل الغِيبة والأذى وهتك الأعراض وسائر الجنايات التي يجب الاستحلال من أصحابها على التفصيل المذكور في محلّه.

ولا بأس أن يأتي بعد هذه المقدّمات بالتوبة في يوم الأحد، حسب ما ورد في (منهاج العارفين).

وإن كان له أبٌ أو أمّ، فليسعَ في إرضائهما ما أمكن، ليخرج من بيته طاهراً منزّهاً، بل عليه أن يستجمع تمام علائقه، ويقطع كلّ ما يشغل قلبه من خلفه، من أجل أن يتوجّه إلى الله بكلّ قلبه، وكأنّه لن يعود مرّة ثانية.

وينبغي عليه ـ بناء على هذا ـ أن يوصي وصيّته كاملة، بإشهاد

١ـ اغتسلْ ثمّ يمّم صوب تكية العرفاء، كي لا يتدنّس بك هذا الدَّير الخرب!

أشخاص أخيار متفقّهين، ليُبيّنوا كيفيّة تنفيذها، وأن لا يُضيّق على الوصيّ، بل يوسّع في وصيّته في أمر الثُّلث، لئلّا يوقع مُسلماً في الحرج بعد موته. وعليه ـ مع ذلك ـ أن يُوكِل أهله وعياله إلى الكفيل الحقيقيّ، فإنّه تعالى خير معين ونِعم الوكيل.

الحاصل: أن يعمل بحيث إنّه إذا لم يرجع لم يتعوّق أيّ شيء، ولم يتعثّر أيّ جزء من أجزاء العمل، بل هكذا يجب أن يكون كلّ مَن لا يعرف أجَلَه.

الثالث: أن يتفادى الأسباب التي تشغل قلبه في السفر[1]، لئلّا تصدّه عن محبوبه الذي ينبغي أن يذكره في كلّ حركاته وسَكَناته، سواءً كانت تلك الأسباب عيالاً، أو أولاداً، أو صديقاً لا يلائم الطبع، أو مالاً، أو تجارة أو غيرها.

المقصود: أن لا يُوجِد بنفسه أسباباً تنصرف إليها هِمّته في سفره، فإن استطاع فليُصاحب في سفره مَن يغلب عليهم ذِكرُ الله، أو مَن يُذكِّرونه بالله كلّما أصابته غَفلة، وقصّة السيّد ابن طاووس رحمه الله مع رفقاء السفر معروفة.

الرابع: أن تكون مؤونته ـ مهما أمكن ـ مِن حلال[2]، وأن يحمل معه مؤونة كثيرة، وأن لا يتحرّز في الإنفاق، فهو في الحجّ إنفاق في

١ـ أفرِغ القلب من الأغيار حين تتوجّه الينا، ولا تنظر إلى سوانا إن عشقتَ طلعتنا.

٢ـ احفظ هذا السرّ، فإنّ غزال التبت ما لم يتناول السنبل لا يصير دمُه مسكاً.

سبيل الله[١] فلماذا يغتمّ الإنسان إذاً من البذل وكثرة الصرف ؟!

وعليه أن يحمل معه أفضل الزاد، وأن يتوسّع في البَذل، لأنّ الدرهم منه في أحاديث أهل البيت ـ عليهم السلام أجمعين ـ بسبعين درهماً.

ولقد كان أزهد الزُّهّاد ـ أعني السيّد السجّاد سلام الله عليه ـ إذا أراد الحجّ حمل معه اللَّوز والسُّكّر والحلوىٰ والسَّويق.

أجل، إنّ مِن سعادة المرء أن يتلف له في هذا السفر شيء، أو يُكسر أو يضيع أو يُسرق منه شيء، أو تزداد نفقته؛ بل عليه أن يُسرّ بذلك ويكون ممتنّاً، لأنّ ذلك كلّه محسوب على المضيّف ومُسجّل في الديوان الأعلى، وسيُعوَّض بدله أضعافاً مضاعفة.

ألا ترى أنّه إذا دعاك أحدٌ إلى بيته، ثمّ أصابك شيء في طريقك إليه، فإنّه سيسعى إلى تعويضك مهما أمكن؛ لأنّه هو الذي دعاك، هذا مع أنّه لئيم عاجز فما ظنّك بأقدر القادرين وأكرم الأكرمين؟!

حاشا وكلّا لكرمه أن يكون أقلّ من عَرَب البوادي، نعوذ بالله مِن سُوء الظنّ بالخالق. وصدقُ ما ادّعينا واضح لمَن عايش أعراب البادية وشاهدهم.

الخامس: أن يكون حَسَن الخلق[٢]، يتواضع للرفيق والمُكاري وغيرهما، وأن يحذر اللغو والفحش والكلام الخشن. ولا يعني

١ـ لو وهبتَ كلّ ما لديك للعشق، فأنا كافرٌ إنْ أُنتَ أُصبتَ بسوء.

٢ـ قال لي إنّ رقيبي سيّء الخُلق فدارِه قلتُ: دَعني، وجهُكَ الجنّةُ حُفّت بالمكاره

حُسن الخلق أن لا تؤذي أحداً بل أن تتحمّل أذاه، بل أكثر من ذلك أن تخفض له جَناحك. وإلى هذا يُشير قوله في مضمون الحديث القدسيّ: «أخفيتُ رضاي في جَفاء المَخلوق، فمَن أراد رضاي فليَصبِر على أذى الغَير».

السادس: أن لا يقصد الحجَّ وحده، بل ينوي ـ ضِمناً ـ عباداتٍ أخرى يكون الحجّ أحدُها، مِن قبيل زيارة القبور المطهّرة للشهداء والأولياء، والسَّعي في حوائج المؤمنين، وتعلّم أحكام الدِّين وتعليمها، وترويج المذهب الاثني عشريّ، وتعظيم شعائر الله، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر، وغير ذلك.

السابع: أن يُجانب وسائل التجمّل والتكبّر في هذا السفر، بل عليه أن يتوجّه إلى الحرم الإلهيّ أغبرَ مُنكسرَ القلب، كما وردت الإشارة إليه في المناسك في باب الإحرام.

الثامن: أن لا يخرج من بيته إلّا بعد أن يُودِع نفسَه وكلَّ ما حمله ورفقاءه وأهلَه وما يتعلّق به عند خالقه جلّ شأنُه، ويخرج من البيت مطمئنّ القلب، فإنّه جلّت عظمتُه نِعم الحفيظ، ونِعم الوكيل، ونِعم المَولىٰ، ونِعم النَّصير.

بلى، ينبغي أن يهتمّ اهتماماً بالغاً بالصَّدَقة، بمعنى أن يشتري سلامته من خالقه بدفع هذه الصدقة، وهناك آداب أخرى مدوّنة في كتب المناسك.

التاسع: أن لا يعتمد على ثروته وعُنفوان شبابه[١]، بل عليه أن يعتمد في كلّ شيء على ربّ البيت.

والمقدّمات تفوق هذا القدر، لكنّنا لا نبتغي التطويل في هذه الرسالة، إذ:

«إن كان في البيت أحد، فسيكفيه حرفٌ واحد»[٢]

وينبغي أن يتأمّل أنّ هذا السفر سفر جسمانيّ إلى الله تعالى، وأنّ عليه أيضاً أن يُسافر إليه تعالى سفراً روحانيّاً آخر.

ذلك أنّ الإنسان لم يأتِ إلى الدنيا للأكل والشُرب[٣]، وإنّما خُلق للمعرفة وتكميل النفس، وهو سفر آخر. وكما أنّ الإنسان يحتاج في سفر الحجّ إلى الزاد والراحلة وأمير الحاجّ والدليل والخادم وغير ذلك، فإن هو فَقَدَ أيَّ واحد منها تأخّر وهلك ولم يبلغ مقصده؛ فكذلك السفر الآخر يحتاج إلى هذه الأمور بعينها، وإلّا ما نقَل قَدَماً عن قدم؛ ولو ظن أنّه يمشي بدونها فإنّ وجهتَه لن تكون إلى الكعبة الحقيقيّة جزماً، بل إلى تُركستان!

أمّا راحلته في هذا السفر فبدنه، وعليه أن يخدمه على نحو الاعتدال، فلا يُشبعه فيتمرّد ويطغى ويعجز عن السيطرة عليه، ولا

١ـ الاعتماد على العلم والتقوى كُفرٌ في الطريقة، لأنّ على السالك التوكّل مهما تحلّى بألف كمال.

٢ـ ويقابله في العربيّة: الحرُّ تكفيه الإشارة.

٣ـ استفرِغ الوسع في العلم والعمل والمعرفة يا بن آدم، وإلّا كنتَ حماراً في صورة إنسان!

يُذيقه الجوع فيستولي عليه الضعف ويُعيقه عن العبادة، وخير الأمور أوسطها، والإفراط والتفريط في ذلك مذمومان.

وأمّا زاده فهو أعماله الخارجيّة التي يُعبَّر عنها بالتّقوى، مِن فِعل الواجبات، وتَرك المحرّمات والمكروهات، والإتيان بالمستحبّات[١].

وأصل معنى التّقوى: الحُمية، وأوّل درجاتها: الحُمية من المحرّمات، وآخرُها الحُمية عمّا سوى الله جلّ جلالُه، وبينهما متوسّطات.

وحاصل الكلام: أنّ كلّ واحد مِن تَرك المحرّمات و الإتيان بالواجبات بمنزلة الزاد الذي يحتاج إليه في كلّ منزل من المنازل الأخرويّة، فإن لم يحمل معه قَدْر حاجته فسوف يُبتلىٰ، نستجير باللهِ من هذه البلوى العظيمة.

وأما رفقاء السفر فالمؤمنون الذين يشدّ بعضُهم أزرَ بعض، والذين تتوحّد قلوبُهم وتتعاضد هِممُهم فتطوي المنازل البعيدة طيّاً[٢]. وإليه يشير قولُه عزّ مِن قائل: ﴿تَعاوَنُوا علَى البِرِّ والتّقوىٰ﴾[٣]، فقد يتعذّر العمل إلّا بالاجتماع، ولربّما نُهي عن الرهبانيّة في هذه الأمّة لذلك السبب.

كان أستاذنا ـ رضوان الله عليه ـ يقول: يتأتّى باتّحادِ القلوبِ

١ـ لا زاد في هذا الدرب الّا التقوى، فدعْ عنك الخُبز والحلوى! (ن)

٢ـ إنّ أرواح الذئاب والكلاب مختلفة، أمّا أرواح الأُسود الإلهيّة فمتّحدة. (ن)

٣ـ المائدة: ٢.

الكثيرُ مِن الأعمالِ التي لا تتأتّى بالتفرّد. وكان يهتمّ بهذا الأمر اهتماماً بالغاً.

وفي اختلاف القلوب كلُّ المفاسد، وقد يطول علينا بيان ذلك. وأمّا أمير الحاجّ في هذا السفر، فهم الأئمّة الطاهرون سلام الله عليهم أجمعين، حيث يجب عليك أن تكون في ظلالهم الوارفة، متمسّكاً بحبل ولائهم المتين، ملتجئاً كمال الالتجاء إلى أهل بيت العصمة والطهارة، كي تستطيع أن تخطو عدّة خطوات، وإلّا اختطفتك شياطينُ الجنّ والإنس في أوّل خطوة، تماماً كما يقطع البدوُ الطريقَ على الحجّاج الذين ليس لهم «أمير للحاجّ» كما هو واضح. وتزداد الحاجة كلّما اقترب من الحَرَم. نعم، إن استطاع الوصول إلى الحرم فهو آمِن حينئذ من كلّ خوف، ﴿ومَنْ دَخَلَه كانَ آمِناً﴾[1]، ولكن هيهات أن يصل إلى هناك وحده، فذلك أمر لا يتحقّق، والله العالِم.

وأمّا دليل هذا السبيل فهم عُلماء الآخرة وأهل التقوى، ومع أنّ الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين أدلّاءُ على الله، وأنّهم الدليل حقيقةً، الّا أنّنا ـ لتدنّي تربيتنا ومنزلتنا ـ لا نقوى على اقتباس الفيوضات منهم بلا واسطة، بل نحتاج في الدلالات الجزئيّة والتفصيليّة إلى العلماء، لنُدرك الفيوضات بيُمن قدومهم وتعليمهم. أمّا إدراك الفيض بدون توسّطهم ففي غاية العُسر والتعذّر، ومن ثمّ صِرنا

١ـ آل عمران: ٩٧.

نحتاج إلى العلماء ولا نستطيع الاستغناء عنهم.[١]

أجل، إذا وصل الحاجّ إلى الميقات، خلع ثيابه وارتدى لباس الإحرام في الظاهر، وقَصَد خلعَ لِباس المعصية والكفر والرِّياء

١ـ ذلك أنّ المرء لا يتمكّن من العمل بالأخبار في فقه الظاهر على الرغم من فهمه لعبارات الخبر، ويحتاج في ذلك الى امتلاك شرائط الاجتهاد. والأمر كذلك في فقه الباطن بطريق أولى، لأنّ الأحكام في فقه الظاهر عامّة، أمّا في فقه الباطن فخاصّة. ولا مفرّ من لجوء المرء في تعلّم مطالب فقه الباطن الى مَن سبق له تعلّمها على يد أستاذ، حتّى ينتهي الأمر الى الأئمّة. ونحن نجد في معالجة الأمراض الجسمانيّة أنّ المرء لا يمكنه بمجرّد حصوله على كتاب ينقل معالجات سقراط وجالينوس أن يشرع بالمعالجة، بل يحتاج الى التدرّب على يد أستاذ يتعلّم منه دقائق المعالجة. والأمر كذلك في معالجة الأمراض الباطنيّة، إذ أنّ محض معرفة الأخبار لا يجعل العلاج ميسوراً، بل الأمر أصعب بمراتب من طبّ الظاهر ومعالجة الأمراض الظاهريّة. والمراد بفهم الأخبار في هذا المقام ليس فهم ظواهر الألفاظ، بل المراد به الفهم والإدراك الحاصلين من نفسٍ قدسيّة، نظراً الى الحديث الشريف «إنّ حديثنا صعبٌ مُستصعَب لا يحتمله الّا مَلَكٌ مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان»، وفي بعض الأخبار تعبير «أو مدينةٌ محصورة». حيث إنّ المطالب التي تدركها الحواسّ الباطنة تعجز عن إدراكها الحواسّ الظاهرة، إذ يدرك البصر ما تعجز الأُذن عن إدراكه. وعلى العكس فإنّ من المحال على المرء ـ ما لم يكن صاحب نفس قدسيّة أن يدرك الأمور القدسيّة. ويشير إليه الحديث الشريف المنقول في **الكافي** عن الإمام الصادق عليه السلام: «حرامٌ على قلوبكم أن تعرفوا حلاوة الإيمان حتّى تزهدوا في الدنيا»، والحديث الوارد عن عنوان [البصري] «ليس العلم بالتعلّم، انّما هو نورٌ يقع في قلب من يريد الله أن يهديه». ولنعم ما قيل:

أَنّىٰ لك أن تداوي الجهل الباطنيّ بالعلم الظاهريّ، وأنّى للكافور لو أشعلتَه بالنار أن يُضحي «سقمونيا»* !

* «السقمونيا دواء نادر، ولو أُشعل الكافور بطريقة معيّنة لأشبه السقمونيا في صورتها، لكنّه لا يمتلك أيّاً من في آثارها.(ن)

والنِّفاق، ولُبسَ ثوبِ الطاعة والعبوديّة في الباطن.

وليفهم أنّه يلقى ربّه في الدنيا بغير لباسه المألوف، أغبرَ حاسرَ الرأس، حافي القدمَين؛ وأنّه كذلك سيلقى مأموري ربّه بعد الموت عُريانَ في غاية الذلّ والانكسار.

وعليه عند التنظيف أن يقصد تنظيف الروح من شِرك المعاصي، ويعقد التوبة الصحيحة بعقد الإحرام، أي أن يُحرّم على نفسه ـ بعزم وإرادة صادقَين ـ كلَّ ما حرّمه رب العالمين، فلا يحوم حول المعاصي بعد رجوعه من مكّة المعظمة.

فإن هو لبّىٰ فليلتفت إلى أنّه يُلبّي النداء الموجّه إليه، ويقصد بالتلبية أوّلاً: قبول كلّ طاعة لله المتعال.

وثانياً: أن يكون على وَجَل، لأنّه لا يدري هل ستُقبل تلبيتُه أم لا؟! وليتذكّر قصّة سيّد الساجدين سلام الله عليه، فإنّه لمّا أحرم كان كلّما أراد التلبية أُغمي عليه وسقط من راحلته، فسئل عن ذلك فأجاب: أخاف أن يقول لي ربّي «لا لبّيك»[1]!

وليتذكّر يومَ المحشر، حين يخرج الناس من قبورهم في مثل هذه الصورة، عُراة حاسري الرؤوس يزدحمون، بعضهم في زُمرة المقبولين، وبعضهم في عداد الخاسرين؛ بعضهم مُنعَّم وبعضهم معذَّب، وبعضهم متحيّر في أمره، بعد أن تحيّروا بأجمعهم في الورطة الأولى.

١ـ بحار الأنوار ٦٧/٣٣٧، ح ٥٠؛ وقد نقلت هذه القصّة عن الإمام الصادق أيضاً. بحار الأنوار ٤٧/١٦، ح ١.

فإذا دخل الحَرمَ فليكن حاله حال الرجاء والأمن من سخطالله و غضبه، ولتكن حاله حال مَن يصل إلى محلّ الالتجاء، بمفاد الآية الشريفة ﴿ومَن دَخَلَهُ كانَ آمِناً﴾[1]، وهاهو ذا موضع الرجاء والأمل الواسع، فشرف البيت عظيم، وصاحبه بمَن رجاه كريم، وأنت محلّ للرحمة الواسعة، لأنّك ضيف خاصّ عند أكرم الأكرمين الذي كان يبحث لك عن ذريعة يدعوك بها إلى بيته ـ ولو في العمر مرّة ـ وإن كنتَ ضيفه دائماً. حاشا لكرمه أن تدعوه ـ وهو القادر ـ فلا يجيبك، ما هكذا الظنُّ به جلّت عظمتُه، لايُظَنّ ذلك ببعض أسخياء العرب، فَضلاً عن الجَواد المُطلَق.

فإن أنت عجزتَ عن الاكتساب، أو عن الاحتفاظ بما اكتسبت، أو لم تعلم أصلاً ماذا ينبغي أن تطلب، أو فعلت بنفسك شيئاً لا ينبغي لك فعله، فليس ذلك من تقصير أحد، إذ الاستجداء لا ينسجم مع الكسل.

أجل: من المخجل أنّ أغلب الناس الذين يقصدون مكة إنّما يجعلون أكبر همّهم في أداء الأعمال على سبيل الاستعجال، من أجل أن يعجلوا إلى السوق بفراغ بال، بَيد أنّهم لا يتفكّرون ـ ولو بقدر ذرّة ـ في معنى هذه الأعمال، مع أنّ المفترض أن يكون الضيف متطلّعاً بكلّ وجوده إلى يد المضيّف، وأن يجعل حركاته وسكناته وفق ما يحبّه

١ـ آل عمران: ٩٧.

المضيّف، حتّى أنّ الصوم المندوب يغدو مذموماً بدون إذنه، فكيف إذا هتكتَ عِرضه في بيته، وهَتكُ عرض سلطان السلاطين هو الاشتغال بما نهى عنه، فأيّ حاجّ من الحجّاج العاديّين يدخل الحرم الإلهيّ ولا تصدر منه ـ على الأقلّ ـ مائة معصية، من كذب وغيبة وأذى الغير ونميمة ومصادرة حقوق الآخرين، ومن شتم الجمّال ومسؤول القافلة وغير ذلك ممّا لاتتّسع الورقة لتفصيله[1]، والله أعلم.

فإذا شرع الحاجّ في الطواف فينبغي أن يمتلئ وجوده بالهيبة والعظمة والخوف والخشية ورجاء العفو والرحمة، فإن لم ترتعش جوارحه الخارجيّة، فليرتعش قلبه على الأقلّ.

هكذا تطوف الملائكة حول العرش بلا انقطاع كما في الأخبار، فليتشبّه بهم إن شاء.

وليتفطّن إلى أنّ الطواف لاينحصر بالطواف الجسمانيّ، بل هناك طواف آخر هو الطواف الحقيقيّ، وهو طواف قلبه حول ذِكر ربّ البيت، وهذا هو الأساس، لأنّ الأعمال الجسمانيّة جُعلت مثالاً يكشف الإنسان بواسطته عن تلك الأعمال الحقيقيّة كما هو مضمون الرواية.

وليعلم أيضاً أنّ المجيء إلى هذا البيت لم يتيسّر له إلّا بعد قطع

١ـ لعلّ بعض هذه الأمور هي من لوازم البشريّة، إلّا أنّ عليه أن يتذكّر الحديث الشريف الذي مضمونه: لو صام شخصٌ فشتمه آخر فقال في جوابه «انّي صائم» (ولهذا لا يمكنني الردّ عليك) لجاء الخطاب: «استجار عبدي بي». والأمر كذلك في طريق الحجّ من باب أولى (ن).

علائقه بالشواغل الدنيويّة والزوجة والأولاد، فكذلك الوصول إلى الكعبة الحقيقيّة يستلزم إزالة الحُجب التي أهمّها هذه العلائق.

وليُقبّل الحَجَر [الأسود] ويلتصق بالمُستجار[١] ويستلم الحَطيم[٢] وأستار الكعبة كمقصّر فارٍّ من ظلم وقتل، ملتجئ إلى ذلك العظيم ليعفو عنه ويصفح عن تقصيره.

إنّه لو التجأ إلى عظيم من عُظَماء الدنيا فراراً من جُرمه فلربّما قبّل يده ورجله، وربّما تعلّق بأذياله، وربّما ألصق نفسه به، فهو يُبَصبص مثل الكلب حيناً، ويبكي حيناً آخر، ويقسم عليه بأعزّ الناس لديه مرّةً، ويتضرّع له لعلّه يُنجيه من هذه المهلكة. خصوصاً إذا علم أن لا ملجأ منه إلّا اليه، فهل تراه سيرجع عن ذلك العظيم قبل أن يستخلص منه صكّاً بخلاصه والعفو عنه؟ لا وربِّ الكعبة. وهكذا حال الانسان في أموره الدنيويّة؛ لكنه ليس كذلك بالقياس إلى العذاب الأخرويّ، لأنّه عذاب مؤجّل!![٣]

١ـ المستجار في اللغة موضع الاستغاثة والالتجاء، وهو اسم موضع يقع في أحد أركان الكعبة المعظّمة. (المعرّب)

٢ـ الحطيم هو جدار الكعبة ما بين الركن والمقام سُمّي كذلك لأنّ الناس عنده يحطم بعضهم بعضاً أو لأن الذنوب تتحطّم عنده. (المعرّب)

٣ـ بيتُك مليء بالحنطة، لكنّك لم ترسل إلى قبرك حبّة شعير واحدة، إنّ موتك لن يُحزن أحداً بالقدر الذي يسبّبه سقوط ورقة في فصل الشتاء.
حيث لا يهتمّ الإنسان العذاب الروحانيّ المخلّد أو شبه المخلّد قدر اهتمامه بالعذاب الجسمانيّ الواقع في زمن قليل.(ن)

هكذا يهرول الحجّاج المزوّرون حول الكعبة قليلاً، ثمّ ينصرفون إلى مشاهدة الأحجار والتفرّج على الأسواق والجدران!

أجل إذا حلّ وقت السعي، فليجعل سعيَه تردّداً على باب السلطان رجاء نواله وعطائه وعفوه.

أمّا في عرفات، فليتذكر حكاية المحشر حينما يرى ازدحام الخلق وارتفاع أصواتهم بألوان التضرّع والبكاء والدعاء على اختلاف الألسن، ومتابعة كلّ أناس لإمامهم طمعاً في شفاعته.

وعليه أن يتضرّع غاية التضرّع، ويلحّ غاية الإلحاح لئلّا يُبتلى في المحشر، وليظنّ ظنّاً قويّاً بحصول مراده لأنّه في يوم شريف، هو يوم الموقف العظيم، والنفوس مجتمعة والقلوب عن سوى الله منقطعة، وأيدي الأولياء وغيرهم إليه ـ جلّ شأنه ـ مرتفعة، والأعناق إليه خاضعة، والعيون من خشيته باكية دامعة، والعبيد من خوفه مرتجفة، واليوم يوم الإحسان والصِّلة، والأبدال والأوتاد حُضور في المحضر، وقد عزم السلطان على التفضّل بالعفو والمغفرة، وهو يوم ارتداء الصدر الأعظم لخلعة الدولة العليّة، عجّل الله فَرَجه، وسهّل مخرجه.

فلا يستبعد، في مثل هذا اليوم، حصول الفيض في أعلى درجاته لكافّة الناس والخلائق.

أوَ تظنّ أنّ خالقك سيُضيع سعيك، و أنت منقطع عن الأهل و الولد والوطن؟

ألا يرحم غربتك؟ ما هكذا الظنّ به ولا المعروف من فضله، و إليه

يشير قوله في الحديث «مِن أعظَم الذنوب أن يحضر عرفات ويظنّ أنّه لا يُغفر له»[١] اللهمّ ارزقنا.

فإذا أفاض من عرفات إلى الحَرَم[٢]، فليتفأل ـ بسبب الإذن ثانيةً بدخول الحرم ـ بقبول حجّه وقُرباته لله، وأمنه من العذاب الإلٰهيّ.

فإذا وصل إلى مِنىٰ ورمى الجِمار[٣]، فليفهم إلى أنّ روح هذا العمل في الباطن هو طرد الشيطان وإبعاده، فإن كان كالخليل فكالخليل، وإلّا فلا[٤].

فإذا ودّع الحرم فليتضرّع غاية التضرّع، ولتضطرب حاله حتّى يخاله الرائي أنّه قد ترك عزيزاً في هذه البقاع كما ترك ابراهيم

١ـ ورد هذا الحديث في المحجّة البيضاء (١٤٨/٢) بهذا اللفظ «وأعظم الناس جُرماً من أهل عرفات الذي ينصرف من عرفات وهو يظنّ أنّه لم يُغفَر له».

٢ـ يجدر أن نذكّر بأن أعمال الحجّاج بعد وقوفهم في عرفات تتلخّص فيما يلي: أ ـ الوقوف في المشعر الحرام. ب ـ الورود إلى مِنى (رمي الجمرات، التضحية، الحَلْق أو التقصير). ج ـ العودة إلى مكّة (الطواف، صلاة الطواف، السعي بين الصفا والمروة، طواف النساء، وصلاة طواف النساء).

٣ـ الجمرات هي أسطوانات ثلاث معروفة في منىٰ، وهي المواضع التي اعترض فيها الشيطان إبراهيم عليه السلام فوسوس له ليصرفه عن ذبح ولده، فرماه إبراهيم عليه السلام بحَصَيات في كلّ مرّة، وينبغي رمي الجمرات في اليوم العاشر والحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجّة.

٤ـ يمكن أن يكون معنى العبارة: فإن طرد الحاجُّ الشيطانَ كما فعل إبراهيم عليه السلام تابعه في عمله وإلّا فلا. كما يمكن أن يكون معناها: فإن عمل الحاجّ ذلك فقد فعل الأولى، وإلّا فلا. وأصل هذه العبارة مقتبسة من جملة للشيخ البهائيّ (ره) أوردها في بحث توابع المنادى في كتابه النحويّ الصمديّة، ويبدو أنّها ـ لشهرتها ـ قد أصبحت في حكم المَثَل.

إسماعيل عليه السلام وهاجر، وليعزم على العود إلى هذا المكان الشريف في أوّل وقت التمكّن. وليتّجه إلى مضيّفه لئلّا يسيء الأدب في توديعه، فلا يرضى أن يضع الضيفُ قدمه بعدئذ في بيته أبد الآبدين، ومع أنّ المضيّف جلّ جلالُه سريع الرضا، ولكن لابدّ من رعاية الآداب مهما أمكن.

وإذا استطاع أن يحضر في البقاع التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبّد فيها ـ مثل جبال مكّة المكرّمة، بقصد التبرّك بمواطئ الأقدام المباركة، لا بقصد التفرّج والمشاهدة بل فليصلِّ هناك ركعتَين بقصد القُربة المطلقة[1]، بل إن استطاع توقَّفَ هناك أكثر من المتعارَف، وإذا كان حجّه هو الأوّل فلا يترك ـ بطبيعة الحال ـ دخول الكعبة حسب الآداب المأثورة في الشرع المطهّر، المسطورة في الكتب.

١ـ أُقبِّل أرضاً سار فيها جمالُها فكَيف بدار دارَ فيها جَمالُها؟! (ن)

في صفات العلماء الحقيقيّين

نذكر في هذا المجال لمحة من صفات علماء الآخرة الذين يقفون في الصفّ المقابل لعلماء السوء وأهل الدنيا، لئلّا يظنّ كلّ ظانّ أنّه من المربّين ومن أهل علم الآخرة.

وهي عدّة أمور:

الأوّل: أن يزهد في الدنيا؛ ومعنى الزهد هو إزالة العُلقة القلبيّة، ويستلزم رفع العلاقة الظاهريّة، لأنّ أدنى مراتب العلم: العِلم بحقارة الدنيا وكدورتها وفنائها، والعلم بجلال الآخرة وعظمتها وصفائها وبقائها.

وأن يعلم كذلك أنّ الدنيا والآخرة ضرّتان[1] لا تجتمعان، فإن هو لم

١ـ مقتبسة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

إنّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمن أحبّ الدنيا وتولّاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماشٍ بينهما، كلّما قَرُب من واحدٍ بَعُد من الآخر، وهما بعدُ ضرّتان. (نهج البلاغة، الحكمة ١٠٠).

يُدرك المطلب الأوّل، فواحُمقاه، أيّ عالِم هذا؟! وإن لم يُدرك عظمة الآخرة ولم يعتقد بها، فواكُفراه! وإن لم يُدرك أنّهما لايجتمعان، فوازَندَقَتاه! وإن أدرك الجميع واعتقد به، ثمّ لم يقوَ على نفسه فهو أسير الشهوة؛ ومثل هذه النفوس غير قابلة أن تُعَدّ في درجة العلماء.

يقول الشاعر العربيّ:

وراعي الشاةِ يَحمي الذئبَ عنها فكيف إذا الرعاةُ لها ذِئابُ؟!

وأوّل علامة لوجود هذه الملَكة الشريفة في القلب، اجتنابُ العلوم الدنيويّة إلّا بمقدار توقّف العِلم الأُخرويّ عليها.

الثاني: الفرار من الأُمراء والحُكّام، لا سيّما السلاطين؛ فلا يخالطنّهم ولا يُجالسنّهم رجاءَ المال والجاه.

بلى: إن كان قد أوجد هذه المُخالَطة بَينه وبَين ربِّه مِن دُون اشتباه[1] إقامةً لنظام النوع، وإعلاءً لكلمة الشرع المُبين، و من أجل القضاء على المُبدِعين وقَمعهم، وفي سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر ـ كما كان يصنع بعضُ أصحاب أئمّة الهُدى سلام الله عليهم ـ فهو أفضل الأعمال، ولكن شريطة أن يُحرز عدم تأثير تصرّفات أولئكم فيه، والأخبار تشهد على ذلك بأعلىٰ صَوتها، وعلى ذلك سِيرة العلماء العظماء.

الثالث: أن يوافق فعلُه قولَه، لِما رُوي عن صادق آل محمّد سلام

١ـ أي وجود شبهة.

الله عليه في تفسير الآية الشريفة ﴿إنّما يَخشَى اللهَ....﴾[١]: يعني بالعلماء مَن صدّق فِعلُه قولَه، ومَن لم يُصدّق فعلُه قولَه فليس بعالِم[٢].

الرابع: أن يفرّ من الفتوى فراره من الأسد؛ روي أنّه كان يدخل الرجل مسجدَ النبيّ صلى الله عليه وآله ويسأل الصحابة، فيمسك الجميعُ عن الجواب، ويعوّل كلٌّ منهم على الآخر في الإجابة خوفاً مِن الوقوع في الخِلاف؛ وفيه وجه للتأمّل كبير.

أجل، وعليه اجتناب المُجادَلة والمُناظَرة في المجالس والمحافل، لأنّها مصدر الفتنة والخبائث، والشواهد على ذلك في الأخبار كثيرة.

الخامس: أن يكون متواضعاً حزيناً صامتاً مطأطئ الرأس، تظهر عليه آثار الخوف والخشية والخضوع والخشوع، إذا رآه الرائي تذكّر الله تعالى، تدلّ سيماؤه على عِلمه، ويشهد على ذلك ما رُوي عن أمير المؤمنين سلام الله عليه في العِلم: إنّ العلم ذو فضائل كثيرة...[٣]. الخ، والحديث طويل. فعلَيك بالتأمُّل فيه لينفعك إن شاء الله تعالى، وكذلك أخبار أخرىٰ كثيرة.

السادس: أن يهتمّ بالعِلم الباطن ومُراقبة القلب ومعرفة طريق السلوك الأخرويّ أكثر من أيّ علم آخر، إذ العلوم على قِسمَين:

١ـ فاطر: ٢٨.

٢ـ مجمع البيان ٨/٤٠٧.

٣ـ بحار الأنوار ١/١٧٥، ح٤١.

قسم منها مكتوب مسطور في الكتب، وقسم آخر غير مكتوب، قد كَتَب في شأنه الكثيرون، لكنّهم لم يمسّوا أصله، إذ كانت معرفتهم به ـ إن كان لهم معرفة حقّاً ـ من قبيل التشريف، فكانوا يُشيرون إليه عُموماً وإلّا فإنّ تلك المطالب ـ عَلى ما هي عَليه ـ ليس لها بيان لفظيّ.

ومن الواضح الجليّ أنّ الفيوضات الغيبيّة هي من النوع الثاني، وأنّ معارف الحقّ تنكشف عن طريقها، وبها يحصل أصل الإنسانيّة وتتكامل شخصيّة الإنسان، اللهمّ ارزُقنا.

السابع: أن يكون قد اكتسب قدرةً علىٰ فهم الأخبار، ليكون اعتماده في المطالب التي بينه وبين الله تعالى على فهمه للآيات والأخبار، ولا يعتمد على السماع والقراءة على الغير تقليداً، ولا حُجّيّة لكلام الغير ولا لفعله، ضرورةَ أنّه لا عِبرة بكلام غَير مَن عَصَمه اللهُ عن الزَّلل.

ولعلّ إلى جملة ما ذُكر أشار النبيُّ ﷺ بعد تلاوة قوله تعالى ﴿فمَن يُرِدِ اللهُ أن يَهديَهُ يَشرَحْ صَدرَهُ للإسلامِ﴾[1]، وبعد ما سُئل عن هذا الشرح قال: التجافي عن دار الغُرور، والإنابة الى دار الخُلود، والاستعداد للمَوت قبل نُزولِه[2].

فإن قلتَ: إنّك تكتُب هذا ولا تعمل به قلتُ: نعم، ذلك حقٌّ وصدق.

١ـ الأنعام: ١٢٥.

٢ـ المحجّة البيضاء: ٨/٢٥١؛ بحار الأنوار ٦٨/٢٣٦.

«لقد عرفتُ نهجَ التقوى، ولكن ما العمل مع الحظّ العاثر»؟![1]

أعاذنا الله من شرّ النفس وجِماحِها، ووفّقنا لِما فيه خيرُها و صلاحُها، فالحقّ مُرّ، والثبات عليه أمرّ، وطريق تحصيله وفهمه أصعب، والطبيعة تميل للأسهل، ولما يلائمها ولراحة البدن.

«إنّ المنعّم المترف لا يصل إلى الحبيب، فالعشق مِن شِيَم الرجال الذين يتحمّلون البلاء»[2]

أجل، إنّه قد اتّضح وصفُ عُلماء السوء باتّضاح المقابل، واتّضح كذلك ـ في الجملة ـ حال مَن يُسمّي نفسه مُرشداً ومربّياً .ونزيد حال الطائفة الأخيرة توضيحاً ، لينفع عند الحاجة إن شاء الله تعالى.

١ـ في المتن:

آئين تقوى دانسته‌ام من　　اما چه چاره با بخت گمراه؟!

٢ـ في المتن:

نازپرورده تنعّم نبرد راه به دوست　　عاشقی شیوهٔ مردان بلاکش باشد

في أصناف المغرورين

نقول: اعلَم أنّ فِرَق المُغترّين كلّها غير محصورة، وأنّ مظاهر الغرور مختلفة. ومعنى الغرور: خطأ النفس في تصوّر الشرِّ خيراً، أمّا الداعي إلى ذلك فهو الهوى.

وهم أصناف:

فبعض المغرورين كفّار لا يبيعون نَقدَ الدنيا بنسيئة الأخرى؛ لقلّة اعتمادهم على الله ورسوله. ولو كان لديهم إيمان بالله ما فعلوا ذلك، بدليل أنّ قول صاحب الخبرة في أيّ موضوع مسموع عند الجاهل بها عقلاً، في حين أنّ هولاء المغرورين لم يعملوا بأقوال الأنبياء حقيقةً. يُضاف إلى ذلك أنّ لديهم بعض التعابير الكاذبة الوهميّة، لأنّهم يَرَون حُسن حالهم دنيويّاً، ويَرَون ـ في المقابل ـ ابتلاء المؤمنين في الأمور الدنيويّة تارةً بالفقر، وتارة بجهة أخرى، فيغترّون قائلين إنّ المؤمن لو كان ذا حظّ ـ ولو قليلاً ـ عند ربّ العالمين لما كان على هذه الحال! ويقولون: لو لم يُحبَّنا لم يُيسّر لنا كلّ هذه النعم وكلّ هذا الإحسان،

فنحن ـ إذاً ـ في الآخرة كذلك! وذلك كذبٌ واللهِ العظيم. فليست النعمة الدنيويّة دليلاً على القُرب منه تعالى، فقد عُلم ذلك حسّاً من الفراعنة السابقين، بل النعمة الدنيويّة مُهلكة ومُبعدة عن الله جلّ جلالُه.

ولهذا حذّر أطبّاء النفوس أولياءهم من الملاذّ الدنيويّة كما يحذّر الأب الحنون طفله العزيز المريض من الأطعمة اللذيذة من أجل حفظ صحّته حُبّاً للولد.

ولو كان لرجل غلامان، فأهمل أحدهما وتركه وشأنه، وتعرّض للآخر بأنواع الرياضات والأمور الشاقّة لتحصيل الوقاية من الأمراض، واجتهاداً منه في رفع معايبه، لعُدّ هذا دليلاً على محبّة المولى للأخير فقط، دون العكس.

وقد كان السَّلَف يَحزَنون مِن إقبال الدُّنيا ويقولون: ذَنبٌ عُجِّلت عُقوبتُه، ويَفرحون بإدبارِها ويقولون: مَرحباً بشِعارِ الصّالحين[1]. والمغرور على العكس يظنّ الأوّلَ كرامةً، والثاني إهانةً؛ وإليه يُشير قولُه عزّ مِن قائل: ﴿أَيَحسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُم بِه مِن مالٍ وبَنينَ * نُسارِعُ لَهُم في الخَيراتِ بَل لا يَشعُرُونَ﴾[2]. ﴿سَنَستَدرِجُهُم مِن حَيثُ لا يَعلَمونَ﴾[3]، ﴿فَتَحنا عَلَيهِم أبوابَ كُلِّ شَيءٍ حَتّىٰ إذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذناهُم بَغتةً فإذا هُم مُبلِسُون﴾[4].

١ـ بحار الأنوار ١٣/٣٣٦، ح١٣.

٢ـ المؤمنون: ٥٥ و٥٦.

٣ـ الأعراف: ١٨٢؛ القلم: ٤٤.

٤ـ الأنعام: ٤٤.

وبعض المغرورين الفسقة من أهل الحقّ يغترّون تارةً بالحِلم والعفو والفضل الإلٰهيّ، وأخرى بالمدح الوارد في الرجاء. ومنهم مَن يغترّ بالنَّسَب، كالذّريّة العلويّة سلام الله على مؤسّسها، فيغترّ هذا المسكين بالسِّيادة لمجرّد كونه من السادة.

أمّا الرجاء فالتعلّق به من دون عمل خطأ محض، ولو كفى الرجاء بمُفرده لما أنصَبَ الائمّةُ عليهم السلام أبدانهم المقدّسة كلّ ذلك النَّصَب والتعب، ولما أذاقوها كلّ تلك المشقّة، ولما جدّوا واجتهدوا في العمل، وحرموا أنفسهم الراحة، ولما تضرّعوا ليلَ نهار باكين مُبتهلين.

(قُل بربّك ما شِبهُك بالنبيّ؟ إنّه كشبه الطفل للحليب الذي يرضعه)[1]

ولا يخفى أنّ أقوال الأنبياء وأئمّة الهدى عليهم السلام قابلة للتأويل، أمّا أفعالهم فلا تقبل التأويل بحال، فافهَم واغتنِم.

اجل، إن كان باعث الغرور صِرف النَّسب فإنّ الله تعالى يقول: ﴿فلا أنسابَ بَينهُم يَومَئِذٍ ولا يَتَساءَلون﴾[2]. ويقول أيضاً: ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أخرىٰ﴾[3]

أمّا البعض الآخر من المغرورين فمنهم مَن يظنّ أنّ خلاصه بخلاص أبيه، وهو ـ في ذلك ـ أشبه بمن يظنّ أن شبعه شبع أبيه أو ابنه، أو أنّه سيكون عالماً بدراسةِ أبيه؛ هيهات، هيهات بل التقوى

١ـ في المتن: تو به پیغمبر چه می‌مانی بگو شیر را بچه همی ماند بدو

٢ـ المؤمنون: ١٠١.

٣ـ الزمر: ٧.

واجبٌ عينيّ على كلّ مكلّف في نفسه ﴿لا يَجْزي والِدٌ عَن وَلَدِه﴾[١]. بل ﴿يَفِرُّ المَرءُ مِن أخيهِ وأُمِّهِ وأبيه﴾[٢]، ولا تحصل الشفاعة إلّا بشروطها ﴿ولا يَشفَعونَ إلاّ لِمَنِ ارتَضىٰ﴾[٣].

ومن المغرورين: بعض العلماء الأعلام.

وغرورهم تارةً من حيث العِلم، وأخرى من حيث العَمَل.

أمّا المغترّون من الجهة الأولىٰ ففِرَق:

فرقة اكتَفَت بكلماتٍ معدودات تنفعها في الجدال في المجالس والمحافل، دون أن يكون لها حظٌّ من العقائد الحقّة أو المطالب المرتبطة بالفقه والعمل. ومَثَلُهم كمثل خَيط معلّق في الهواء، يَميل مع كلّ ريح، وحالُهم معلومة.

وفرقة اكتَفَت ببعض العلوم الأدبيّة، بتوهّم أنّها مقدّمات للعلوم الشرعيّة، فأضحى أحدهم يُفني عمره في تلك العلوم دون أن يكتسب حظّاً فيما خُلق له من المعارف وغيرها.

وفرقة أخرى أهدرت الأعمار في الفقه وحده، أو في مقدّماته، كأصول الفقه مثلاً. وغفل هؤلاء عن أنّ الفقه إنّما هو مقدّمة للعمل، وأنّ العمل مقدّمة لتهذيب الأخلاق، وأنّ الأخلاق مقدّمة للتوحيد. وأمثال هؤلاء المساكين يقضون أعمارهم محصورين في المقدّمة

١ـ لقمان: ٣٣.

٢ـ عبس: ٣٤ و ٣٥.

٣ـ الأنبياء: ٢٨.

الأُولى، مع أنّه لا زالت أمامهم عدّة مقدّمات سيتوجّب عليهم أن يطووها في عالَم البرزخ ليبلغوا النتيجة المتوخّاة إن شاء الله، وإلّا فليس أمامهم ثمّة مجال آخر.

وطائفة منهم تعمّقت في جميع العلوم، إلّا أنّها أهملت القوّة العمليّة، وأعرضت عن تزكية النفس من الرذائل الخلقيّة.

وبعض آخر عمل بواضحات الأخلاق والسمعيّات، ولكنّه لم يتفحّص عن المكنونات القلبيّة والأمور الغامضة الخفيّة، فأضحى أحدهم يتكبّر ويُسمّي تكبّره إعزازاً للدين، وصار يُرائي ويُسمّي عمله إرشاداً للجاهلين، وهكذا. كلّ هذا تعزيزاً لنفسِه، واللهُ تعالى مُطّلع على سَرِيرته، لاسيّما بعضهم: فإنّه يَخوض في أموالِ اليتامى والفقراء والمساكين، ويَصرفُها في شَهواتِه وفيمن يختلف إليه من الأنصار والمُريدين، ظَنّاً منه أنّه يستحقّ بذلك جزيلَ الأجرِ والمثوبةِ بإعانة الفقراءِ وتخليصِ الأغنياءِ عن اشتغال الذِّمّةِ بالحُقوق الواجبة، و ترويج العلم بإعانة الطلبة، واللهُ العالِم بالضمائر.

وفرقة أخرى هم الوعّاظ المتكلّمون في شرائف المَلَكات، المُرغّبون الناسَ في فضائل الصفات، المُحذِّرون من الأمور الذميمة والآفات، والحال أنّ أحدهم مملوء بذاته من الرذائل، خالٍ من الفضائل، يظنّ أنّ محض القول ومعرفة الاصطلاحات وفهم معاني الألفاظ والعبارات يُدخله في السالكين إلى الله تعالى، و أنّ الخوض في إصلاح الخَلق وهِدايتهم الى الحقّ يجعله مستحقّاً لجزاء ربّ

العالَمين، غير عالم بحسرته وندمه يوم القيامة، كأنّه لم يقرأ الآية الشريفة: ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنوا لِمَ تَقولونَ ما لا تَفعلون * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أن تَقولوا ما لا تَفعلون﴾[١]، ولم يطرق سَمعَه المبارك الخطابُ الإلهيّ: عِظ نفسَك ثمّ عِظِ الناسَ، وإلّا فاستَحِ منّي[٢]، أو خطابه (الذي مضمونه): قُل لفُلان إنّك كتبتَ الكتاب الكذائيّ ولم تعمل به، قد مَلأتَ الخافقَين كُفراً ونِفاقاً[٣].

أجل، ليس هذا إلّا جهلاً وغروراً، لاسيّما أنّ بعض المتمرّسين في صناعة تركيب الكلمات وتزيين الألفاظ والتشبيهات والاستعارات استهدفوا استمالة الناس إليهم، وجمع المريدين من العوامّ كالأنعام، فغَدَوا يضربون الأخبار والآيات بعضها ببعض، ويُقحمون الكلمات الخارجة عن قوانين الشرع والعقل، ولا يتحرّجون من نقل الكذب والحكايات العجيبة والغريبة، حِرصاً منهم على حصول وَقع لكلماتهم ومقالاتهم في الصّدور. وصاروا ينقلون الشبهات التي لا يجوز نقلها، وتتعذّر إزالتها من الأذهان بسهولة، ويزيدون غرور العوامّ بحَثّهم على الرجاء، ويتسبّبون في تجرّؤهم على المعاصي! كلّا وربِّ الكعبة ليس أمثال هؤلاء من سالكي سبيل الهداية والإيقاظ من الجهالة والغواية، لأنّ ضررهم أبقى وأدوم

١ـ الصفّ: ٢ و٣.

٢ـ حديث قدسيّ.

٣ـ أو (نفاقاً) فقط.

وفسادهم أكثرُ وأعظم، بل هم شرُّ الناس وأخزاهم من الخنّاس.

وفرقة أخرى هذّب أحدُهم الأخلاق، وصفّى النفس من لَوث الكدورات، واستخلصها من الشواغل والعلائق الدنيويّة، وحوّل طمعه من الخلق إلى الحقّ، ودفعته رحمتُه وشفقتُه على العباد إلى هدايتهم وإرشادهم، إلّا أنّه ـ بعد ذلك كلّه ـ وجد الشيطان إليه سبيلاً، فدعاه دعوةً خفيّة، و أخذ ذلك يقوىٰ لديه بالتدريج، فصار متصنّعاً لهم في الألفاظ والعبارات والحركات، وتلقّاه عوامّ الناس بالقبول، حتّى خوّلوه أموالهَم وأنفسهم، وصيّروا أنفسهم في جُملة خدمه وعبيده، فغلبته في تلك الحال لذّةُ الشهوات، فشرع في التلذّذ بالملاذّ التي كان قد هجرها، متوهّماً أنّه لا سبيل للشيطان إليه بعد الآن. هيهات هيهات، لو كان سالكاً مسلك النجاة لما أمِن كيدَ الشيطان في حالٍ من الحالات، بل كان مُواظباً على التضرّع و الابتهال، ومستعيناً في دفعه بالكريمِ المُتعال، وخائفاً على نفسِه من سُقم عقيدته و من خطرِ سُوء الخاتمة، نعوذ بالله منه.

قيل إنّ الشيطان عرض لأحد الكبراء في آخر لحظة من عمره، فقال: لقد نجوتَ من كيدي. فأجاب: كلّا لم أنجُ بعدُ!

والخلاصة أنّ غرضنا كان بيان حال بعض مدّعي المقالات وبيان أخطائهم.

ومن المغرورين الطائفة القَلَندريّة التي تَخيّل أفرادُها أنّهم هجروا الدنيا و تركوا اللذّات. والحال أنّهم لو أقبل عليهم شيءٌ من الدنيا بَغتةً لماتوا من الفرح، فأنّىٰ لهم ترك الدنيا!!

سلّمنا[١]، ولكنّ هذا المقدار لا يكفي في التقرّب الى الله جلّ شأنه العظيم، بل لابدّ من تحصيل عقيدة أهل الإيمان، وعدم هجر شِعار الإسلام، وتجنّب الجهل بالحلال والحرام، وتجنّب التسوّل وإيذاء المسلمين، والاحتراز من أن يكون المرءُ كَلّاً على الآخرين.

ومنهم طائفة يدّعي أفرادها العرفان، ويكتفون من العرفان بالمظهر في الباس، وخفض الصوت، وطأطأة الرأس، والتأوّه، والتَّباكي، لاسيّما إذا سمع أحدهم كلاماً في العشق والمحبّة والتوحيد والفقر، مع عدم معرفةِ معناه. بل تجاوز بعضهم ذلك إلى الشَّهيق والنَّهيق واختراع بعض الأذكار، والتغنّي بالأشعار وسائر الحركات الشنيعة، يخيّل إليه أنّ هذه الأطوار تبلغ بالمرء إلى مقامٍ ما، كلّا ليس الأمر كذلك، بل ذلك ممّا يستتبع السخط والغضب الإلٰهيّ.

وبعض تعدّى هذه المقامات فطوى بساط الشرع وسُنّة النبيّ ﷺ ورَكَنهما جانباً، فتخبّط ـ غالباً ـ في الشبهات والمحرّمات، وتَرَك المستحبّات والواجبات بدعوى أنّ الله تبارك و تعالى غَنيٌّ عن الطّاعات، وأنّه لا اعتماد على عمل الجوارح، بل المناط القلب. وتخيّل أنّه واصل إلى المطلوب، ووالِه عند مشاهدة المحبوب، فصار عند ذلك يخوض في الشهوات الدنيويّة زعماً أنّها لا تصدّ عن المعارف الحقيقيّة مع قوّة النفوس و ثبات الأقدام. وزعماً أنّ المحتاج إلى الرياضة إنّما هو البدن،

١ـ أي لو سلّمنا أنّهم تركوا الدنيا.

فخَفِي على ضعفاء النفوس من العوامّ «وبتعبيرهم: السُّلّاك المبتدئين» أنّ الأمر لو كان على هذه الشاكلة فلماذا كان الأنبياء والمُرسَلون والأئمّة الطاهرون وسائر الأولياء المتّقون الذين خُلقت السماوات والأرض لأجلهم ـ مع كَونهم معصومين طيّبين مطهّرين من رِجس المعاصي ـ يُدمنون البكاء على مرّ السنين على اشتغالهم بالمباحات، من قبيل الأكل والشرب والنكاح.

فقد كانوا يبكون خوفاً من أن يكون اشتغالهم بالمباح مانعاً من الوصول إلى الدرجات العالية فى جوار ربّ العالمين، ومُسقطاً لهم عن رُتبة المقرّبين. فهذه الطائفة ـ إذاً ـ أضعف الناس عقلاً، وهم من الجهلاء الحمقىٰ.

وبعضهم ـ أيضاً ـ توهّم وهماً كبيراً، فظنّ أنّه أدرك غاية المعرفة واليقين، وجازَ درجات مراتب المقرّبين، والآن هو في مُشاهدةِ ومُجاوَرةِ المحمود، والمُلازَمة في عَين الشُّهود، مُلفِّقاً من الطامّات والكلمات المزخرفة، بتوهّم أنّه الآن مطّلع على المُلك والمَلَكوت، وأنّه يخطو في ساحة القدس والجبروت، فاستلزم هذا التوهّم أنّه أضحى ينظر بعين الاحتقار والاستصغار إلى الصُّلَحاء والفُقَهاء والمُحدِّثين وسائر العُلماء مُدَّعياً لنفسِه مِن خَوارِق العادات ما لَم يَدَّعِ لنفسِه أحدٌ مِن الأنبياء والأولياء، ظانّاً أنّ الخوارق مختصّة بأنبياء السلف، غير عالم بأنّ جميع أنواع التصرّف أمر ميسور لكلّ أحد، ولا يُستفاد من الأخبار أكثر من ذلك، ومع هذا فإنّك تجد هذا الشخص ما اجتاز بَعدُ قِشراً من

قُشور نفسه. ولا منشأ لهذا الادّعاء سوى الجهل، والدليل على ذلك ارتكابه بعض قبائح الأعمال وشنائع الأفعال بذريعة كسر صَولة النفس، وإزالة الملَكات الرذيلة، وهو لا يعلم أنّها بنفسها من ذَمائم الصِّفات، وهل تُدفع الرذيلة بالرذيلة، والذميمة بالذميمة ؟!

وهل عُدِمَت الرياضات الشرعيّة لترويض النفس، كالسّهر بالليل، ومقاساة الجوع في النهار، والمشي في الأسفار العباديّة، وغير ذلك ؟

هل امتنع كلّ ذلك، فلم يبقَ أمامه سوى الرياضات المخالفة للشرع ؟!

أجل: هناك فرقة ممّن كابدوا الرياضة حقيقة، وارتاضوا بالرياضات الشرعيّة، وطوَوا بعض المراحل والمقامات، وظهرت عليهم واقعاً علامة وحقيقة، إلّا أنّهم واجهوا أمراً عظيماً، فتوقّفوا في ذلك المقام، ظنّاً منهم الوصولَ إلى الله جلّ جلاله. والسرّ في ذلك الاشتباه أنّ لله تعالى سبعينَ حِجاباً من نور، ولا يصل السالكُ إلى واحدٍ منها إلّا و هو يظنّ أنّه لا مجال للتعدّي عنها، ولعلّ إلى ذلك الإشارة في قضيّة رؤية إبراهيم عليه السلام الكوكبَ والقمرَ والشمس، وأُفول كلّ واحد منها.

وإلّا فإنّ أولئك العظماء أجلّ من أن تعرض لهم شُبهة التجسيم في حقّ الباري جلّت عظمته.

ومن جُملة الحُجب: تنوّر القلب بعد أن كان صاحبه محجوباً مدّة مديدة. أما قرأتَ في الدعاء «قَلبي مَحجوبٌ وعَقلي مَعيوبٌ»؟

وبعد التنوّر يحصل الاشتباه، حيث إنّه بعد مارأى أنّه أشرَقَ و صار جميلاً فائقاً، فحينئذ يُدهَش، وربّما يسبق إلى لسانه كلمة «أنا الحقّ»، أو «ليس

في جُبّتي سوى الله»، أو «إنّي كعبة، ألا طُوفوا حولي»، ونحو هذه الخرافات.

وإذا لم تتّضح لهذا الشخص مسألة الحجاب، فسيبقى في الضلالة أبد الآبدين، وإليه يشير قول الشاعر:

رَقَّ الزُّجاجُ ورَقَّتِ الخمرُ فتشابَها وتَشاكَلَ الأمرُ

فكأنّما خَمرٌ ولا قَدَحٌ وكأنّما قَدَحٌ ولا خَمرُ

وبهذا الرأي اشتبه بعض النصارى في أمر المسيح، فغلطوا فيه وقالوا ما قالوا. وكيف كان، فالمقام يحتاج إلى بيان أكثر من هذا، لأنّه مِن مَزالّ أقدام السالكين. وأغلب مفاسد الردّ والاعتراض والتكفيرات وغيرها ناشئة من هذه المرحلة.

بَيد أنّ أكثر من هذا ليس من واجب المؤلف لوجوهٍ عديدة، أمّا أستاذي رضوان الله عليه فكان يقول لأصحابه دائماً: «ينبغي أن لا يُخطئ أحد في هذا الأمر مطلقاً، فالممكن لا يصبح واجباً، لأنّ ذلك محال، والله الهادي».

وقد اتّضح ممّا ذُكر معنى «المُخلصون في خَطَر عظيم»، فاعلَم يا أخي أنّك لن تخرج من ظُلُماتِ الغُرور والتمنّي إلّا بالتضرّع التامّ، وبصِدق الإنابةِ إلى الله والإخباتِ له، ومعرفةِ عُيوبِ نفسِك، من حيثُ (إنّ الغرور) لا يوافق العِلمَ والعقلَ، ولا يَحمِلُهُ الدِّينُ والشريعةُ وسُننُ القُدوَةِ أئمّةِ الهُدى سلامُاللهِ عليهم أجمعين.

محمّد البهاريّ الهمدانيّ

التعليمات العمليّة

على جناب الشيخ أحمد أن يتأمّل جيّداً ليرى هل هو عـبد أم حرّ ؟! فإن كان حرّاً فهو نفسه يعلم أنّه يفعل ما يريد، وإن عَلِم أنّـه عبدٌ له مولى، فليس له أن يفعل ما يشاء، بل سيُسأل عن كلّ شيء، حتّى عن تحريكه يده، وعليه أن يُعِدّ جواباً سديداً.

و علىٰ هذا ينبغي له السعي إذاً في تحصيل رضا مولاه ولو أسخط بذلك غيره، ولا يمكن تحصيل رضا المولى الحقيقي جلّ شأنـه إلّا بتحصيل التقوى، ولا يتحقق الهدف الأساس من الخلقة إلّا بالمعرفة وإرساء المحبّة بين العبد و المولى.

ويتوقّف تحصيل التقوى على أمور لابدّ منها:

الاوّل: اجتناب المعاصي، وعليه أن يعرف المعاصي تفصيلاً، و أن يترك كلّاً منها. ومن جُملة المـعاصي تَـركُ الواجـبات. ولابـدّ له ـ للعمل بالواجبات ـ من التعرّف عليها، وعلى مواضع الابـتلاء بـها بمقدار وُسعه.

وواضح أنّ العصيان لا يحقّق أسباب المحبّة والمعرفة، إن لم يكن سبباً للعداء.

فإن قال الشيخ أحمد: إنّي لا أستطيع تَرك المعصية بالمرّة، ولابدّ من وقوعها.

أجبناه بأنّه يمكنك التوبة بعد المعصية، فالتائب من الذنب كمَن لاذنب له، فلا ينبغي اليأس من طَرق هذا الباب. ولو قتل المرءُ سبعين نبيّاً ثمّ تاب لرُجيَ له قبول توبته، لأنّ مولاه ـ جلّت قدرته ـ قادر أن يُرضي خُصماءه عنه من معدِن جوده وكرمه.

الثاني: اجتناب المكروهات ما أمكن، والعمل بالمستحبّات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[1]، فلا يحقِرنّ مُستحبّاً، ولا يُهونّ مَكروهاً بحُجّة أنّ كلّ مكروهٍ جائز، فقد يكون ترك مكروه مُقرّباً عند المولى أكثر من أيّ شيء آخر ويظهر ذلك عند التأمّل في العرفيّات.

الثالث: تَركُ المباحات في غير مقدار الضرورة واللزوم، فمع أنّ الشارع المقدّس أباح كثيراً من الأشياء للأغنياء، إلّا أنّه في الباطن لا يحبّ لعبده أن ينشغل عنه بأمور الدنيا، أو أن ينشغل عنه بسواه؛ لذا

١ـ في الحديث: يا داوود! قطّع شهوتك لي، فانّما أبحثُ الشهوات لضَعفَة خلقي، ما أُبالي الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانّها تنقص حلاوة مناجاتي، فانّها عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول ما تصل اليهم أن تحجب عقولهم عنّي، فانّي لم أرضَ الدنيا لحبيبي و نزّهتُه عنها.

قال عليّ عليه السلام:

وإيّاكَ وفضلاتِ الأمور فإنّها حرامٌ على نفسِ التقيّ ارتكابُها

فالأفضل للعبد ـ نظراً لما يحبّه مولاه ـ أن يترك هذه الزخارف كلّاً أو بعضاً، وإن لم يكن ارتكابها محرّماً، اقتداءً بالنبيّين عليهم السلام، وتأسّياً بالأئمّة الطيّبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

الرابع: تَركُ ما سوى الله تعالى، فلا يَدَع في قلبه سبيلاً الىٰ غيره، كما قال حافظ:

«ليس في لوح قلبي سوى ألفِ قامةِ الحبيب، وماذا أفعل فإنّ أستاذي لم يعلّمني حرفاً آخر»[١]!

فإن قال جناب الشيخ أحمد: إنّ ترك ما سوى الله، وتخلية القلب من كلّ شيء إلّا من ذِكره تعالى أمرٌ بعيد أو محال ـ حسب المتعارف ـ بسبب الابتلاء بالمعاش والزوجة والولد والرفيق والصديق.

نقول: إنّ القدر الذي يتوجّب عليك تَركُه هو كلّ من يصدّك عن ذِكر الله جلّ شأنه، فلا تعاشره إلّا بمقدار الضرورة وأداء الواجب[٢]، أمّا مَن يذكّرك الله فلا يصحّ تَرك مجالسته[٣]. قال عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: جالِسوا مَن يُذكّركم اللهَ رؤيتُه[٤].

١ـ في المتن:

نيست در لوح دلم جز الف قامت يار چكنم حرف دگر ياد نداد استادم

٢ـ إن جلستَ مع أحد فافتقدتَ حضور القلب ولم يفرّ منك حديث الماء والطين اللذين جُبلتَ منهما (أي الأمور الماديّة)، فاحذر مصاحبته و فُرّ منه، وإلّا اعتَذَرت منك أرواح الأعزّة (وفارقتك). (ن)

٣ـ إنّما الخلوة عن الأغيار لا عن الحبيب، فالفروة إنّما تُرتدىٰ للشتاء لا للربيع. (ن)

٤ـ مضمون حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله نقل فيه حديث عيسى بن مريم عليه السلام مع الحواريّين،

والحاصل: أنّ طالب الله تعالى إذا كان صادقاً في طلبه، فعليه أن يذكر الله دائماً، ويقطع بالتدريج أُنسه بكلّ شيء، اللهمّ إلّا بمن كانت مصاحبته ضروريّة ومنصبّة في هذا المجال، فعليه أن يصحبه بمقدار الضرورة، ولا منافاة حينئذ بين ذلك وذكر الله، لأنّ محبّة هؤلاء من فروع المحبّة الإلهيّة ـ جلّ شأنه ـ وغير متنافية معها.

فإن قال الشيخ أحمد: هذا حقّ، ولكنّي مع هذا لا أستطيع أن أقوم بذلك؛ لأنّ شياطين الإنس والجنّ تحيط بنا وتوسوس لنا وتصدّنا، وأنّنا عاجزون الاعتزال بالمرّة لأنّه يخلّ بأمر المعاش، ولعجزِنا عن مواجهة أنفسنا فضلاً عن مواجهة الغير، فأين نحن من هذا الكلام؟!

فنجيب: إذا كان الأمر آنيّاً ينبغي إنجازه دفعةً واحدة فهو كما تقول، بل إنّه أكبر من ذلك، إذ يبدو من النظرة الأُولى للانسان أنّه كالجبل العظيم، وليس هيّناً.

ولكن الإشكال في أنّ الأمر تدريجيّ وليس تكليفاً بالشاقّ وبما لا يُطاق، فإن هو تحقّق تدريجاً استقام معه الأمر؛ ولقد روّض الناسُ الصقرَ والشاهين وسائر طيور الصيد، وأمسكوها بأيديهم بالتدريج.

وملخّص الكلام: أنّك لو استطعتَ ـ في أيّ مرتبة كنت ـ أن تُفيد من الرمقَ القليل لديك فتعمل ما أمكنك دون تساهل لازدادت قوّتك،

وجاء فيه: ... قال الحواريّون: يا روح الله، فمَن نجالس إذن؟ قال: مَن يُذكّركم الله رؤيتُه، ويزيد في عملكم منطقُه، ويرغّبكم في الآخرة عملُه. (تحف العقول، مواعظ النبيّ القصار رقم ٦٠).

بل الأمر فوق ذلك، لقوله: «أُدنُ شِبراً أَدنُ ذِراعاً»، وإن أنت تهاونتَ وتساهلت، عرّضت ذلكالمقدار من القوّة للزوال أيضاً.

لو كنت مثلاً تنوي قيام الليل، فنمت حتّى الصباح، ثمّ استيقظتَ أوّل الصبح، فقم فَورَ انتباهك، إذ أنّ هجر النوم بين الطلوعَين هو فيض قائم بذاته، وتوفيق من حضرة الإلٰه جلّ جلاله، فلا تفوّته على نفسك بالتساهل والتهاون، ولا تُصغِ إلى الشيطان حين يهمس لك: نَم قليلاً فثمّ وقت كثير لصلاة الصبح! وغرضه معلوم.

ولو جلستَ مجلساً لغوتَ فيه كثيراً فاسودّ قلبُك، ثمّ أمكنك أن تنهض قبل نصف ساعة لتدارُك أمرك والبحث عن وسيلة، فلا تُضِع الفرصة؛ قُم وانصرف ولا تقُل: ما نفعُ نصف ساعة؟! فلقد انشغلت بالإفساد منذ الصباح. كلا، يمكنك أن تفعل الكثير بهذا الجزء اليسير إن شاء الله تعالى.

وإذاً فقد لزم الشيخ أحمد العمل بالترتيب التالي:

أوّلاً: أن لا يضيع وقته ولا يهدر عمره، ولابدّ له من تقسيم الأوقات وتعيين وقت لكلّ شيء: وقت للعبادة لا يشتغل فيه بغيرها، ووقت للكسب وطلب المعاش، ووقت لمتابعة أمور الأهل والعِيال، ووقت للأكل والنوم. وعليه أن لا يخلط هذه الأوقات ويُربِك ترتيبها، فتضيع أوقاته برمّتها.

وعليه أن يجعل أوّل الليل وقتَ نومه ما أمكنه ذلك، فلا يسهر بلافائدة فيفوته آخر الليل ويستولي عليه النوم عن عَمد وعِلم، وأن

ينام على طهارة، وأن يقرأ الأدعية المأثورة، وخصوصاً تسبيح الصدّيقة الطاهرة سلام الله عليها، وينبغي أن لا يُجنب أبداً وهو شبعان ممتلئ البطن، وأن يستيقظ قبل الصبح ويسجد سجدة الشكر فوراً، فإن لم يعتَد على الاستيقاظ فليستعدّ لذلك ويهيّئ الأسباب التي تُوقظه.

فإن استيقظ فلينظر إلى أطراف السماء ويقرأ ـ بتأمّل ـ عدّة آيات مباركات أوّلها: ﴿إنّ في خَلقِ السَّمٰواتِ والأرضِ (إلى قوله تعالى) إنَّكَ لا تُخلِفُ المِيعادَ﴾[١].

ثمّ يتطهّر ويتوضّأ ويستاك ويتعطّر ويجلس في مصلّاه، ويقرأ دعاء «إلٰهي، غارَت نُجومُ سَمائك»[٢]. ثمّ يشرع في صلاة الليل[٣] على الترتيب المذكور عند الفقهاء،مثل الشيخ بهاء الدين عليه الرحمة في مفتاح الفلاح و غيره في المصابيح[٤]، فيختصر أو يفصّل حسب سعة الوقت. وليجعل وقتَ عِبادته إلى طلوع الشمس، فلا يأتينّ بأيّ عمل في هذا الوقت سوى العبادة، ولا يؤجّل شغلاً إلى هذا الوقت[٥]، بل

١ـ آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٤.

٢ـ مفتاح الفلاح ص ٢٣٥ منشورات الرضيّ.

٣ـ فإن قام لصلاة الليل هوى للسجود وقال: الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني و إليه البعث والنشور. الحمد لله الذي ردّ إليّ روحي لأحمده وأشكره، سُبّوح قُدّوس ربّنا وربّ الملائكة والروح، سَبَقت مغفرتُك غضبَك، و لا إله غيرك، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب الّا أنت. (ن)

٤ـ الظاهر انّه يقصد مصباحَي الشيخ الطوسيّ الكبير والصغير ومصباح الكفعميّ (المعرّب).

٥ـ فِكرُ قلبي ونظر عيني ووِرد لساني: حبيبي، حبيبي، حبيبي، ولا أحد سواه. (ن)

يشتغل بالأوراد والأذكار المشروعة إن هو لم يصبح ـ بعدُ ـ من أهل التفكّر. أمّا إذا مرّ على ساحة الفكر فليتفكّر بأيّ سلسلة فكريّة التزمها، فإن هو وجد الفكر جارياً بسهولة فليتابع التفكّر بدلاً عن الأوراد والتعقيبات، وإن وجد الفكر جامداً تركه وتابع الذِّكر. ولينظر أيّ الأعمال أكثر تأثيراً فيه، فليقدّمه على سائر الأوراد، سواءً كان قراءةَ قرآن أو مناجاة أو دعاء أو ذِكراً أو صلاة أو سجدة.

ثمّ لينصرف إلى تدبير شؤون البيت، فيُصدِر تعليماته في ذلك الشان، وليخالط أهل بيته بمقدار الضرورة، ثمّ لينصرف إلى السوق، فلا يكلمنّ أحداً بشيء إلّا السلام، وليشتغل بذِكره، فإن هو دخل السوق فليقرأ الذِّكر الخاصّ بدخوله، ثمّ لينشر بِساطه ويبدأ شغله متذكّراً؛ فللذِّكر في السوق أجر عظيم، والذِّكر في السوق كالسِّراج في البيت المظلم، وعليه أن لا يتدخّل في أمور الناس الدنيويّة، ولا يجمعهم حوله حتّى للموعظة.

أجل، لو رأى منكراً فليغيّره بالّتي هي أحسن، فإن رأى أنّه لا يؤثّر أو أنّه سيؤثّر سلباً فليُعرِض ولا يتدخّل. وليُراعِ الأوقات الخاصّة بالصلوات. وليكن على طهارة مهما أمكن[1]؛ ولا يترك ـ بعد صلاة الصبح ـ الاستغفار مائة مرّة، وقراءة كلمة التوحيد مائة مرّة،

١ـ قال عليّ عليه السلام في حديث الأربعمائة: ولا ينام إلّا وهو على طُهر، فإن لم يجد الماء فليتيمّم بالصّعيد، فإنّ روح المؤمن تُرفع إلى الله تبارك وتعالى. (الخصال، حديث الأربعمائة) (ن)

وقراءة سورة التوحيد إحدى عشرة مرّة، وتكرار «اللهُمَّ صَلِّ علىٰ محمّدٍ وآلِ محمّد وعَجِّل فَرَجَهُم» مائة مرة. وعليه أن يواظب على الاستغفار الخاصّ بعد صلاة العصر مع قراءة سورة القدر عشر مرّات. ولا يترك الصيام مهما أمكن، خصوصاً ثلاثة أيّام في الشهر، وهي: الخميسان الأوّل والأخير والأربعاء الأوسط من كلّ شهر[1] إن ساعَدَته حالتُه،

١ـ وخصوصاً في أيّام البيض، نظراً للحديث الشريف الوارد في كتاب الدروع لابن طاووس: «قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل وقال: قُل لعليّ عليه السلام: صُم من كلّ شهر ثلاثة أيّام يُكتب لك بأوّل يومٍ تصومه صيام عشرة آلاف سنة، وبالثاني ثلاثين ألف سنة، وبالثالث مائة ألف سنة. قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، لي ذلك خاصّة أم للناس عامّة؟ فقال صلى الله عليه وآله: يعطيك الله ذلك ولمن عمل مثل عملك. قلتُ: فما هي يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: أيّام البيض من كلّ شهر».

ويتّضح من هذا الحديث الشريف عدّة قضايا:

الأوّل: أنّ شرف هذا العمل من العِظَم بحيث إنّ المخاطَب بهذا الخطاب ينبغي أن يكون إمام الأئمّة.

الثاني: أنّ ثواب هذا العمل يُعطىٰ لمن يريد بهذا الصوم أن يقتدي بالإمام عليه السلام. أمّا من نوى مجرّد القيام بالعمل فإنّه لا يحظى بالثواب، بقرينة عبارة «ولمن عمل مثل عملك».

الثالث: أنّ شيعة ومحبّي هذا الإمام الهُمام يمكنهم بمتابعته والاقتداء به أن يُدركوا درجةً لا ينالوها بالذات ولا يمتلكون اللياقة لها قبل المتابعة. ويمكن بهذا الحديث حلّ إشكال الحديث الشريف «علماء أمّتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل».

أشمّ رائحة الحبيب من حافّة القدح المنعشة، فتنسّم أيّها السيّد إن كانت لك مشامّ!

ولو نظرتم في أحوال المرتاضين القدماء لعلمتم أنّ من جملة رياضاتهم اللازمة التي لا يتركونها بحالٍ صيامَ أيّام البيض. ولو أُكمل صوم أيّام البيض بعمل «أمّ داود» في اليوم الثالث لكان نوراً على نور، ولو بقراءة سورة الحمد مائة مرة، وسورة القدر عشر مرّات، وسورة الإخلاص مائة مرّة، إذ ورد في كتاب **الإقبال** روايتان نصّت إحداهما على ألف

وإلّا فالأولى مراعاة الحالة، لأنّ البدن مَطيّة الإنسان؛ فإذا تضرّر سقط وعجز. وعليه ـ في الوقت نفسه ـ أن لا يدور مع بدنه مدار أهوائه، فيطغىٰ بدنُه ويتمرّد. ومقولة «خَيرُ الأمور أوسطُها» جارية في كلّ شيء، والإفراط و التفريط كلاهما مُجانب للصواب في أيّ مرتبة كانت، ولذا قيل «عليكم بالحَسَنةِ بين السيّئتَين»[١].

ويَحسُن أن يسجد سجدةً طويلة في أيّ وقت من الليل شاء حتّى يَكِلّ بدنه، ويكرّر فيها الذِّكر المبارك «سُبحانَ رَبّيَ الأعلىٰ وبِحَمدِه». وليكن ذِكره ـ ما أمكن ـ بحضور قلب، وفِكر غير مشتّت، وأن يداوم على العمل حتّى يُضحي مَلَكةً وعادة لا يتركها.

والمجال لا يتّسع لأكثر من هذا، وقد دوّنتُ هذه الكلمات على سبيل الاختصار، وإذا استلزم الأمر ذِكر مطلب آخر فلربّما ذكرتُه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

حرّره محمّد البهاريّ الهمدانيّ

«قل هو الله أحد» والأخرى على مائة مرّة «قل هو الله أحد». ويتّضح من هذَين الحديثَين الشريفين ـ بالنظر الى الأهميّة الكبيرة لهذا العمل ـ أنّ القيام به قد سُهّل إلى درجة كبيرة جعلته ممكناً في الغالب. وقد نُقل عن بعض المرتاضين أنّ السابقين كانوا يداومون على هذا العمل في جميع الأشهر. ومن الأفضل كذلك أن يدعو الصائم في هذه الأيّام الثلاثة عند افطاره بالدعاء الذي نقله السيّد ابن طاووس في الدروع عقيب هذا الخبر: «قال عليّ عليه السلام: مَن قرأه كان إمام المتّقين يوم القيامة». وقد ورد هذا الدعاء أيضاً في مصباح الكفعميّ والبلد الأمين نقلاً عن الدروع. (ن)

١ـ بحار الأنوار ٢١٦/٧١، ح١٩؛ و٧٢/٨٥ ح٢.

المراسلات

المراسلة الأولى

تعليقة سطرها للحاجّ سيّد آقا سلّمه الله تعالى عند سفره إلى بَمبي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

«يا قَمَري القادم من كنعان[1]، أضحى مِلكُ مِصر في يدك، و آن لك أن تودّع السجن»[2]

وذلك مشروط بجملة أمور:

الأوّل: أن تستأصل من نفسك الطمع في كلّ شيء لا سيّما راحة النفس، وأن لا يكون لك مِن هدف سوى السعي في إصلاح العباد، وحبّ الخير للمسلمين، وتحمّل جَفاء المخلوقين. أمّا لو كان المال

١ـ يخاطب حبيبه بأنّه ـ كيوسف الصدّيق ـ القمر القادم من أرض كنعان إلى مصر، وأنّ سنين سجنه قد تصرّمت وآن له أن يصبح حاكم مصر المُطاع. (المعرّب)

٢ـ في المتن:

ماه كنعانى من مسند مصر آن تو شد وقت آنست كه بدرود كنى زندان را

والجاه والعزّة غايتك فلن يتحقّق مقصودك، ولن تبلُغ ما تريد.

ويمكن أن تتحقّق هذه الملَكة لدَيك إذا جسّمت الموت في نظرك دائماً، ولم تغفل عنه لحظة، ثمّ قُلتَ للقلب:

«قُل لِمَن مرقدُه الأخير قَبضَتا تراب: ماذا سينفعك لو نصبتَ سُرادقَك على الأفلاك ؟!»[١]

الثاني: أن تعمل بالتأمّل والمشورة[٢]، لا بالعجلة والارتجال، فإنّ العَجول المُستبدّ برأيه كثيراً ما يقع على الهَلَكة مِن حيث لا يَشعُر، وهي مَهلَكة لو اجتمع كلّ العقلاء لما خلّصوه منها، وهو واضح.

الثالث: أن يُخضِعَ القوّة الغضبيّة للقوّة العاقلة، كي لا يصدر منه غضب في غير محلّه ضرورةَ أنّ غُبارَ الغَضَب يَستُر وَجهَ العقل و يُعميه بتحجُّبٍ عن الحقّ بمراحلَ شتّى. وعليه ـ لذلك ـ أن لا يتعرّض لأحد في تلك الحال، حتّى بالموعظة وقَول الحقّ، حتّى تسكن سَورةُ الغضب لديه.

١ـ في المتن:

هركرا خوابگه آخر ز دو مشتی‌خاکست گو چه حاصل كه بر افلاك كشی ايوان را

٢ـ في الحديث: «إنّ آدم عليه السلام قال في وعظه لأولاده: كلُّ عملٍ تريدون أن تعملوه قِفوا له ساعة، فإنّي لو وقفتُ ساعةً لَما أصابني ما أصابني»

لا تـعجلنّ لأمـرٍ أنتَ فـاعلُهُ فقلّما يُدركُ المطلوبَ ذو العَجَلِ

فذو التأنّي مصيبٌ في مقاصدِه وذو التعجّل لا يخلو مـن الزللِ

وفي المثل المشهور: أنّ الحجر الذي يقذف به مجنون إلى قعر البئر يعجز عن إخراجه عدد من العقلاء. (ن)

الرابع: أن يكون كَتوماً للأسرار، صائناً لسرّه. والمراد بالسرّ: الأمر الذي لا يعلمه البعض، فإن أنت ألقيتَه إليهم كان إمّا لغواً أو باعثاً على فَساد عقيدتهم ولو بالمآل، وهذا يختلف بحسب الأشخاص والبلاد.

الخامس: أن لا يعتقد ـ ولو لحظةً واحدة ـ بأنّ نفسه شفيقة ناصحة، بل عليه أن يتّهمها دائماً، وينظر إليها نظره الى الخائن، لاسيّما إذا وجدها تُلحّ على مطلبٍ ما إلحاحاً شديداً، وليعلم أنّ لها غرضاً في هذه النقطة، فلا يغفل.

السادس: أن تكون أعماله منظّمة مرتّبة، فيجعل لكلّ شيء وقتاً، من أجل أن لا يخسر الخلوة بالنفس ومراجعتها ومتابعتها، خوفاً من ارتكابها معصيةً ما. وعليه أن يضع كلّ شيء في موضعه، وأن لا يفعل ما بدا له متى شاء، ففي ذلك مفسدة كبيرة.

السابع: أن لا يتّكل على حَوله وقوّته في أيّ أمر، بل يكون في جميع الأحوالِ مُتّكلاً على صانعه وخالقه جلّ شأنُه[1]

والمجال لا يتّسع لأكثر من هذا.

حرّره محمّد البهاريّ

الساعة الثانية ليلاً ـ ليلة الحادي عشر من المحرّم الحرام ١٤١٩هـ.

١ـ إنّ الاعتماد على التقوى والعلم كفرٌ في الطريقة، وعلى السالك أن يتوكّل ولو امتلك ألف كمال وكمال.

المراسلة الثانية

شيخَنا، جعلك اللهُ جلّ جلالُه ممَّن تناله الرّحمةُ مِن فَرقِه إلى قَدَمه.

وَصَلني كتابُك، وكشف عن صِحّةِ مزاجِك خِطابُك، وقد اشتكيتَ مِن سوء حالِك، وتفرُّق إخوانِك، وقِلّة أعوانِك.

لا تَخَف ولا تَحزَن؛ إنّ اللهَ تبارك وتعالى نِعم الربّ، وإنّ محمّداً ﷺ نِعم الرسولُ، وإنّ عليّاً والأحدَ عشرَ من ولده نِعم الأئمّة.

ولو تعلّق أيُّ ضعيف بذَيل جلالتهم متوسّلاً، لجرّوه غصباً عليه إلى حظيرة القُدس؛ فإنّهم ـ وحالهم هذه ـ لم يتركوا صغيراً في مرتبته دون أن يجرّوه من الحضيض إلى الأوج، لا سيّما الصغير الذي استعان بالتوكُّل لدُنياه، و بالتّقوى لأُخراه، واستصحب الوَقار والعِفّة، واتخّذ القَناعةَ هي الحِرفة، وزيّن فَقرَه بصَبرِه، وغِناهُ بشُكرِه، وأوجَز في كَلامِه وطعامِه و مَنامِه، لا في سَلامِه وابتسامه، ونَسِي حظَّ نفسِه وحَفِظ سيّئةَ أمسِه، وشاورَ إخوانَه، وداری أعوانَه، وكان في حوائجِهم مِن السّاعِين، ولهم بأجمعِهم من الدّاعِين، ووَظّف أوقاتِه، ولا يضيّع بالملاهي والتأخيرِ صلواتِه، خُصوصاً صلاة الليل، وأَمَر نفسَه بالمَعروفِ بعد ما نَهَاها عن المُنكَر، **ولم يعتدّ بنفسه مهما رأى فيها صفات حسنة كثيرة، لأنّها من غيره وليست من كَسبِه،** وهو جلّ شأنه وَلِيُّ التَّوفيق والنِّعم، وأرجو أن يجعل لك اليُسر بعدَ العُسرِ، والعِزَّ بعد الذُّلّ، والغِنى بعد الفاقةِ، فلعلَّك تكون من المُفلِحين إن شاء اللهُ تعالى.

ولا أعلم سبب تشتُّت مشاعرِك، فهل اغتسلتَ فلم يُدخِلوك الخرابات؟! و هل دخلتَ من باب الصدق فأخرجوك منه؟! لماذا التَّواني ولماذا التحيّر؟ أليس بابُه للداخِلين مفتوحاً، وخيرُه للطالِبين مبذولاً؟! ألم يُقُل: «مَن تَقدَّمَ إليَّ شِبراً أتقدّمْ إلَيه ذِراعاً»؟[١]

أو ليس هذا كلامه؟:«لو عَلِم المُدبِرونَ كيفَ اشتياقي لَهُم لَماتوا شَوقاً».

ألم تسمع قوله: إنّ الراحلَ إلَيه قريبُ المَسافة؟[٢]

«عُد من جديد، مهما كنتَ عُد إلَينا، ولو كنتَ كافراً أو مشركاً أو عابدَ وثن، فهذه رحابُنا لا يأسَ فيها، عُد ولو كسرتَ التوبة مِن قبلُ ألف مرّة»[٣]

١ـ بحار الأنوار ٣١٣/٣، ح٦.

٢ـ ألا لا تيأسَنْ إن أبعَدَك الحبيب، فلو طردك اليوم فعساه يدعوك غداً.
ولو أوصد في وجهك كلّ الأبواب والمعابر، فسيَفتح لك باباً لا يعلم به أحد.
ولو صفق الباب في وجهك فلا تغادره واصطبر، فسيجعلك بعد صبرك تتصدّر المجلس.
وحين يحزّ القصّاب بخنجره رأس الكبش، فإنّه يسقي ضحيّته ويجرّها إليه!
وحين ينقطع نَفَس الكبش فإنّ القصّاب سينفخ فيه من نَفَسه هو، فانظُر أين سيوصلك نَفَسُ الرحمن؟!
ولقد أخطأتُ في مقولتي هذه، فليس في الحقيقة مِن قتيل تخلّص من القتل!
وهو الذي يمنح كلّ مُلك سليمان لنملة واحدة، وهو الذي يهب كلا العالمَين ولا يبالي.
لقد طاف قلبي حول العالَم فلم يعثر له على مثيل، فأين مثيلُه، أين مثيله، أين مثيله؟!
فاصمُت، فإنّ «شمس تبريز»* شمس الحقّ قد قدّم للجميع رشفة من هذه الخمر!
* اشارة الى الشاعر شمس التبريزيّ.

٣ـ في المتن:

بازآ بازآ هر آنچه هستی بازآ ‌ ‌ ‌ گر کافر وگبر وبت پرستی بازآ
این درگه ما درگه نومیدی نیست ‌ ‌ ‌ صد بار اگر توبه شکستی بازآ

و﴿هُوَ يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبادِه﴾[١].

فلماذا اليأس ؟! ولماذا الضّعف ؟! ما معنى التحيُّر ؟!

«الأعرجُ والبائسُ المكدودُ والمحدَودِبُ المشوَّهُ الوَقِحُ يزحف باتّجاهه ويطلبه»[٢]

هل كلَّفَك تكليفاً شاقّاً ؟! هل طلب منك العِبادةَ بما لا يُطاق ؟! هل آخَذَك على رؤوسِ الأشهاد ؟! هل قَتَّر عليك الإنعام والإحسان ؟! لماذا تُدِلُّ عليه ؟!

«الغَنَج والدّلال يليقان بذَوي الطَّلَعات الورديّة، ولستَ كذلك، فلا تكن سيّء الخُلق. فالعينُ العمياءُ المفتوحة قَبيحةٌ، والوَجهُ الدَّميمُ الغَنِج ذَميم»[٣]

فتَبَصبَص إلَيه ـ جَلَّ جلالُه ـ تَبَصبُصَ الكلبِ الجائع، فلعلّه ينظُرُ إلَيك نظرةَ الرَّحمة والرِّضوان إن شاء الله.

ولا أدري ماذا أكتب أكثر ممّا فعلتُ.

«إن كنتَ عطشاناً كفاكَ قليل من الماء !!»

١ـ التوبة: ١٠٤.

٢ـ في المتن:

لنگ ولوك وخفته شكل وبى ادب سوى او ميغيژ واو را مى طلب

٣ـ في المتن:

ناز را روئى بايد همچو وَرد تو نداری گِردِ بد خوئی مگرد

عيب باشد چشم نابينا وباز زشت باشد روی نازيبا وناز

«إن كان في البيت أحد، فسيكفيه حرفٌ واحد»[١]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمّد البهاريّ

١ـ في المتن:

در خانه اگر كس است يك حـــرف بس است

ويُقابله في العربيّة قولُنا: الحرُّ تكفيه الإشارة.

المراسلة الثالثة

تعليقة سطرها لسفير بغداد

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

يا مَحمود الخِصال وحَسَن الفِعال، أرى بين الحِين و الحين في مراسلاتك للآخرين ذِكراً لهذا العبد الضَّئيل، فإن لم يكن عندك ورق فاقتَرِض من جيرانِك!

«إمّا أن تترك المسابقةَ مع أصحاب الحَمير، وإمّا أن تملأَ بَيتَك بالطعام والطمع والجَشَع»[1]

ومع أنّي لا أملك منذ مدّة اطّلاعاً على وضعك وأحوالك الشّريفة، إلّا أني أسمع بين الحِين والحين أنّك تميل الى العرفان،

١ـ في المتن:

يا مكن با خرسواران تاخت وتاز يا كه پر كن خانه را از لوت وآز

و هو أشبه: أشبه بالمقولة المشهورة: لا تصاحب أصحاب الفيلة، و إلّا فاتّخذ بيتاً يتّسع للفيل.

وتُحشَر في زُمرَة العارفين والدراويش.

فاعلَم أوّلاً:

«إنّ نَقدَ الصُّوفيّ ليس كلّه صَحيحاً لا زَيفَ فيه، فلرُبّ خِرقةٍ[١] جَـرَّت إلى النار»[٢]

وثانياً: أنّ لطالب المعرفة شُروطاً لابُدّ من مُراعاتها، [منها:]

أن يكون صحيح المزاج، فإن كان عليلاً وجب عليه المُبادرة إلى معالجة ذلك، إذ لو غلبت عـليه السـوداء تـصوّر بـعض الحـركات السوداويّة من انفعالات العِشق، فينتابه الغُرور.

وإن غلبته الصفراء والحرارة حصل له يُبوسة في الدماغ وخَفَقان في القلب، وكثير من سوء الخُلق.

وإذا كثُر البلغم سبّب قُصوراً في الفَهم الدَّقيق، فلابُدّ مـن اعـتدال المزاج، وأن يكون متأدِّباً بآداب الشَّرع، ومتألِّماً للمعاصي وتارِكاً لهـا، وأن يكون عَفيفاً صَدوقاً، مُعرِضاً عن الفِسقِ والفُجور والغَـدر والخِـيانة والمَكـر والحِيلة؛ لأنّ في كمال الأخلاق مقدّمة للمعارف. وينبغي أن لا يترك ـ بعد علم الفقه ـ أيّ ركن من أركان الشريعة، ولا يُؤوّل ظواهـرها، وأن يأتي بوظائفها بتكاليفها كلّاً في محلّه. ومن الغلط المـحض أن يدّعي العرفانَ تاركُ الصلاة، بل تاركُ النوافل أيضاً.

١ـ الخِرقة: القطعة من خِرَق الثَّوب. وتُطلق عادة على ملابس الصوفيّة. (المعرّب)

٢ـ في المتن:

نقد صوفى نه همه صافى‌وبى غش باشد اى بسا خرقه كه مستوجب آتش باشد

وأن يكون فارِغَ البالِ مِن أمرِ المعاش، إمّا بالتَّمَوُّل أو بالقَناعَةِ و التّوكُّل، فمَن كان يحلم بالخُبز المُحمَّص فعليه أن يفكّر بالخبز، أمّا بطّيخه فسيكون الماء القراح. ولا ينبغي [لمثل هذا] أن يدخل من باب المعارِف، فَضلاً عن أن يجعلَها آلَةً لتحصيل مَعاشِه.

وإنّ امرءً كهذا لن يتنوّر أبداً؛ [إذ] الحِرفةُ غيرُ المعْرفة، والمَيل إلى الشَّهوة والطّبيعة غَيرُ الرَّغبة إلى الآخِرةِ، وهما ضَرَّتان مُتباينَتان ولا تَجتمعان.

و[علَيه] أن يكون معظِّماً للعِلمِ والعُلَماء، وأن لا يُهوِّنَنّ أمرَ عِبادِ الله تعالى. وأوّلُ عيب يصيب السالك أن يحتقر علماءَ الظاهر ويستصغرهم.

و[علَيه] أن يكون حَزيناً دائمَ الحُزن، بِشرُه في وَجهِه، وحُزنُه في قَلبِه. فإذا كان القلب فَرِحاً مسروراً، لم يَنَل شيئاً من المعارف. وأن يكون كَتوماً للأسرارِ إن حصلت له.

والحاصل :(لا بُدّ مِن آلاف الملاحظات سوى الحُسن والجَمال)، والورقة لا تسع لأكثر من هذا.

فإن وجدتَ في امرئٍ هذه الشرائط ـ وهي قطرةٌ من البحر وقبضةٌ من البَيدَر ـ فوافِق [على متابعته]، وإلّا فقُل بلِسان فَصيح و بَيان مَليح: قُل يا أيّها السّالِكون، لا أسلُك ما تَسلُكون، ولا أنتُم سالِكون ما أسلُكُ، ولا أنا سالِكٌ ما سَلَكتُم، لَكُم سَلْكُكُم ولِي سَلْكِي[1].

١ـ اقتباس من آيات سورة الجحد المباركة. (المعرّب)

أجل لم أكن أنوي الوعظ فأُبيّن موعظة وافية شافية، ولا نويتُ كتابةَ عريضة فأنهَج على سبيل عبارات العريضة، وإنّما عَرَضَت لي كلمتان فكتبتُهما بلا مبرّر، (فإن أنتَ لَم ترضَ فَغَيِّر القَضاء)!

محمّد البهاريّ

المراسلة الرابعة

سَطَرَ هذه التعليقة لأحد علماء أذربيجان

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أيّها العالِمُ المُجاهِد الّذي اجتَهَد لَيلاً ونَهاراً حتّى أدخَل نَفسَهُ في زُمرة العُلَماء الرّاشِدين والفُقَهاء المُجتهِدين، حَفِظتَ شَيئاً وغابَت عنك أشياءُ، تَيَقَّظْ مِن رَقدَتِكَ وسِنَتِك ونَومِك كي تَرى أنّه أَشكَلَ عليك أمورٌ مِن جهةِ تحصيل شرائطِ العِلم وآدابِها والمواظبةِ عليها.

«لم‌تستطع السماءُ أن‌تحمل أعباءَ الأمانةِ، وخَرَجَت القُرعةُ باسمِ مَجنونٍ مثلِك»[1]

اعلَم أنّه قد ورد أنّ العلماء وَرَثَةُ الأنبياء[2]. ولا شَكّ بأنّ المُراد بهذا الإرث ليس هو الدّراهِم والدَّنانير، بل المُراد هو النُّبوّة وتبليغُ الأحكام وإرجاع العامّة

١ـ في المتن:

آسمان بار امانت نتوانست كشيد قرعهٔ فال به نام چو تو ديوانه زدند

٢ـ بحار الأنوار ١/١٦٤، ح٢ و ٢/٩٢، ح٢١.

عن الطرُق المُعوَجّة إلى الجادّةِ المُستقيمة، و صَونُهم فيها ما أمكَـن. ولابُـدّ للعالِم مِن مُراعاةِ أمورٍ كَي تتحقّق هذه الوراثة، وأنّى لك مُراعاتها ؟!

مِنها: أن لا يَقعُد في بَيتِه مَعَ ما يَرى مِن عُكوف النّاس على المُـنكَرات الواضِحة، إن كان قادِراً لدَفعِها باجتماعِ شرائطِه، و ترتيبُ ذلك أنّه يجِب عليه أن يبدأَ بإصلاحِ نَفسِه بالمُواظَبةِ على الطّاعات و تَركِ المُحرَّمات، ثمّ بـتعليمِ أهلِه وأقاربِه، ثمّ جِيرانِه، ثمّ أهلِ سُوقه، بحيث لا يُصيب أحداً بأذيّتِه، ثمّ أهلِ محلّه وبَلدته، ثمّ السَّوادِ المُكتنِف له، ثمّ أهلِ القُرى والبَـوادي. وهكـذا إلى أقصى العالَم بمِقدار ما يَسَعُه ذلك، ما لم يَكُن به الكِفاية قائماً، وليس شيءٌ عليه ممّا فُرِض عَيناً أو كِفايةً أهمَّ من ذلك. أين أنت أيّها المُداهِن والمُسامِح في مُراعاةِ هذا الشَّرط ؟!

أنت لا تعلم إلّا أن تَحوزَ من مالَ الله، فتأكل منه كأكلِ الإبِلِ نَبتةَ الرَّبيع، وتُطعِمَ منه أولادَك والسّلام «قال: إنّـي أعـرِفُ مِـن الطَّـبخ أكـلَ الحَساء»!

ومنها أن يكونَ صابِراً مُحتَسِباً كما كانوا صابِرينَ فـي جَـفاءِ المَـخلُوق، فصفة المُحتسب أن يتحمّل كلّ أذىً برَحابة صَدر، ويقول: «اهدِ قَومي إنّهم لا يَعلَمون»[1]، لا أن يَحذَرَه النّاسُ خوفاً من أذاه، وشتّانَ بين هذا وذاك!

ومنها: أن يكونَ مَلجأً ومَلاذاً للمُسلِمينَ حـقيقةً فـي مـوارِدِ حـاجاتِهم

١ـ من دعاء النبيّ لمّا أُصيب يوم أُحد؛ بحار الأنوار ٢٩٨/١١؛ و٤٠٤/١٦، ح١.

وابتلاءاتِهم، فإنّ كلَّ مَن أغاث الناس ملجأٌ للأنامِ ومَلاذٌ للإسلامِ «وليس ما يرسمه النقّاشُ على بابِ الحَمّام»! وحُجّة الإسلام هو مَن كانت أقوالُه وأفعاله حُجّةً على المُسلِمين، وإلّا كان حُجّة بلا معنى.

ومنها: أن لا يكون له هَمٌّ وغَرَض في جميع حَرَكاتِه وَسَكناتِه إلّا اهتداء الناس وتشرّعهم بأيِّ سببٍ حَصَل، وبأيّ حيلةٍ تحقّق، وبِيَدِ كلِّ مَن جرى هذا الأمرُ، صَغيراً كان أو كَبيراً، وَضيعاً كان أو شَريفاً، وإن كان في الباطِن هو السَّبب، لكنّ الأمرَ يتمّ باسمِ غَيرِه في الظّاهر، فالمهمّ حصول الغرض.

انظر: لو أنّ الناس كافّة التزموا بالشريعة، وأنّ ذلك تحقّق في الظاهر على يدِ أعرابيٍّ ما فنُسب ذلك إلَيه، إلّا أنّ السبب الباطن في ذلك كان رسولَالله ﷺ، أكان ﷺ سينزعج أدنى انزعاج؟ ذلك أنّه قد حصل الغرض المراد. أمّا أنا وأنت ففي مشكلة في فَهم أصل المطلب، فَضلاً عن إعماله في محلّه، هَيهَاتَ هَيهَات.

ومنها أن يكون مُتواضِعاً للهِ جلّ جلالُه في ذاتِه، مِن دون أن يكونَ لأجل غَرَضٍ من الأغراض، للطَّمع المَركوز أو غيره، ولا يَسلَمُ الشَّرَفُ التامّ إلّا بالتّواضُع في ذاتِ اللهِ جَلَّ جَلالُه. وأمّا ما شاعَ في زمانِنا هذا مِن شِدّة الخُضوع والتّذلُّل بالنسبة إلى الأعيانِ والأغنياء وغيرِهم من أهلِ الدُّنيا وتَسمِيَتِها تَواضُعاً، فهو غَلَطٌ وتَدليس، ومَكرٌ وتَلبيس، وتَمَلُّق وتَذَلُّلٌ مَذموم، فشاعَ مِن طَرَف التّفريطِ في فضيلةِ التّواضُع، اللّهمّ احفَظنَا مِنه.

بلى إنّ للتواضع مراتبَ ومقادير بالنسبة إلى المتواضِعين والمُتخشِّعين لهم، فتواضُع كلّ واحد بالنسبة إلى غيره له نحو خاصّ،

والعَدلُ الحقيقيُّ فيه إعطاءُ كلّ ذي حَقّ حقَّه؛ فتواضُـع العـالِم للـعالِم نَـحوُ، وللسُّوقيّ نَحو آخر، فإن أفرط فإنّه التذلّل، وبيان التفصيل أكثر من هذا مَوكول إلى محلّه.

ومنها: أن لا يكون غافِلاً عن مَولاه في آنٍ من الآنات، وأن يَعرض عملَه عليه دائماً كي يعلم رفضه وقبوله، ولا أدري بـماذا فسّـرتَ مـقولة «المُفتي لا يَستفتي إلّا مِن اللهِ»؟! لابُدّ أن يكون القلب دائماً مع الله، ألا ترى أنّ الحكّام الظاهريّين تكون قلوبهم في العاصمة أينما حَلّوا؟!

ومنها: أنّه لابُدّ من أن يكون العالِم مَنصُوراً بالرُّعب بعد قطعِ طَمَعه عن حُكّام الدُّنيا، وتَمكينِ الخَوفِ الإلٰهيّ جلّت عظمتُه في مَكنُونِ سَـريرتِه، وإلّا فلن ينفعه زيد ولا عمرو إن كان قد بلغ هذه المرتبة، فافهَمْ.

حرّره محمّد البهاريّ

المراسلة الخامسة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

سيّدي العزيز.

رأيتُك كَسِلاً في الليل، ولم أُدرك العِلّة في ذلك. فكيف حصل هذا العارض ؟! لِماذا التَّواني ؟! ولِماذا التَّكاسُلُ والتَّحزُّن ؟!

إن كان من جهة التأخّر عن رَكب العِلم فإنّ العِلمَ لم يُبَع سَلَماً[1]. وإن كان من قلّة الجاه فالسيادة لم تُبَع سَلَماً. وإن كان من قلّة الواردات فإنّ أحداً لم‌يَخِط كيساً للذهب لأكثر من قُوت ليلة، وقد قيل: «بنَظرَةٍ بِعنا الدنيا و الآخرة».

على الرغم من أنّ السيّد عبد المجيد طاب ثراه كان يقول بأنّ هذه المعاملة باطلة من عدّة جهات، فلا بدّ أن يُجاب بأنّ «مذهب العاشق

١ـ يعني أنّ أحداً لم يَبع العِلم والجاه سلفاً، لتكون قد اشتريتَه وحان الآن موعد تسلّمه، فليس الأمر كذلك.

يختلف عن باقي المذاهب»[١].

وإن كان من جهة الأمور الأُخرويّة فلا وجهَ له أبداً؛ فأنت تجد تلك الوجهة بأيسر الأسباب، ذلك «أنّ الرّاحِلَ إليكَ قريبُ المَسافة»[٢]، لا يحتاج إلى رأسِ مالٍ بعد قوله عزّ مِن قائل: لَو عَـلِمَ المُـدبِرونَ كَـيفَ اشتياقي لَهُم لَماتُوا شَوقاً.

فلِمَ التّواني والتّكاسُل إذاً؟!

دَعِ التّكاسُل واغنَم، فإنّما زادُ السّالِكينَ الخِفّةُ والسُّرعة.

«الأعرجُ والبائسُ المَكدُودُ والمُحدَودِبُ المُشَوّهُ الوَقِحُ يزحـف بـاتّجاهه ويطلبه»[٣]

هل كلّفكَ تكليفاً شاقّاً؟ هل طلب منك العبادة بما لا يُحتَمَل؟ هل آخذك على رؤوس الأشهاد؟ هل قَتَّر عـليك الإنـعام والإحسـان؟ فلماذا إذاً تُدِلّ عليه؟!

العَجَلَ فإنّ «دَورانُ الفَلَكِ لا يَـنتظِر، فـعجِّل» فـإذا رأيتَ أنّك لا يمكنك التقدّم بالعِبادة فاطلُبهُ بالتضرّع والسؤال.

«لا تَقُل: لن يُؤذَن لنا بِدُخول هذه البـاب، فـالتّعامُل مـع الكُـرَماء ليس

١ـ في المتن: مذهب عاشق ز مذهبها جداست.

٢ـ منتزع من دعاء أبي حمزة الثماليّ وانظر: بحار الأنوار ٨٣/٩٨، ح ٢.

٣ـ في المتن:

دع التّكـاسُل واغْـنَم فـإنّما مَـثَل	كه زاد راهروان چستى است وچالاكى
لنگ ولوك وخـفته شكـل وبـى ادب	سـوى او مـيغيژ واو را مـى‌طلب

عَسِيراً»[١]

إنّه [تعالى] يبحث عن ذَريعة ليُعطي، ودأبُه ودَيدنُه أن يُعطي بلا مقابل! وهو دائماً حاضر.

«عطاؤُه لا يشترط القابليّة [في العبد]»، يكفي مجرّد التوجّه. أخرِج من رأسك وَهمَ أنّ كسرَ التَّوبة مِراراً يوسّع الرَّقعَ على الرّاقِع ويُفقد العملَ جَدواه، [فقد قيل:] «لو كَسرتَ التَّوبةَ مائة مرّة، فعُد مِن جديد».

فإنّه ـ جلّت عظمتُه ـ توّابٌ غَفورٌ، وأولياؤه الكِرام أيضاً مأمورون بذلك.

وإن كان الكَسَل والحُزن وضِيق القلب من جهة فراق الرفقاء والأحبّة، نظراً لقوله: «إنّ مَودّةَ سَنَةٍ رَحِمٌ ماسّةٌ، وهِيَ لُحمَةٌ كلُحمةِ النَّسَب، وفُرقَتُها نارٌ مُوقَدَة».

ولذا قيل:

وجدتُ مصيباتِ الزمانِ جميعَها سِوى فُرقة الأحبابِ هَيّنةَ الخَطبِ

وقيل:

يقولون: إنّالموتَ صَعبٌ علىالفَتى مُفارَقةُ الأحبابِ ـ واللهِ ـ أصعَبُ

وهنا جهات من الكلام منوطة بتفريعات في المقام:

فقد تكونَ ـ تارةً ـ فارقتَ رفيق الأنس والملاذّ الدنيويّة، وذلك ممّا لا ينبغي أن يكون سبباً للحزن وضيق القلب، بل لا بدّ أن يكون ـ بدلاً من ذلك ـ مدعاةً للسرور؛ ذلك أنّه لم‌ينشأ عنك من البَرَكة إلّا

١ـ في المتن:

هين مگو ما را بر آن در بار نيست با كريمان كارها دشوار نيست

قدر من العَبَث! وَفَّقَنا اللهُ وإيّاكَ لنَيلِ هذه المَرتبةِ العظيمة.

وإن كان المفارَق رفيقاً رافقتَه للهِ وفي اللهِ، وقد أورث تركُه الحزن والحيرة فعلاجه ليس الحزن والضعف والكسل، بل عليك أن تكون بصدد الإنفاق بالميسور من اللطف والرحمة والعطف، فتُنعِم وتُحسِن على كلٍّ حسب حاله، فإنّ الأخوّة عَقدٌ يجب الوَفاءُ به.

وليس الغرض بيان أقسام حقوق الإخوان، بل المقصود أنّ على الانسان إعداد الأسباب التي تؤدّي إلى حثّ الإخوان وتشجيعهم على ترسيخ الأخوّة، فيجنون بذلك ثمارها.

ولعلّ ثمرة الأخوّة الدينيّة هي أن يُعان [المرء] على الخَلاص ممّا وَقَع فيه من الابتلاءاتِ الأُخرَويّة، فالحوادث الأخرويّة ليست أقلّ من الحوادث الدُّنيويّة، فانظر هل تستطيع الخلاص منها بلا مُعين؟! ثمّ مَيِّز بين الأخوّة و«اعرف هذا الأخ من ذاك».

اللّهمَّ وفِّقنا لِلقِيام بحُقوقِ الإخوان بمحمّدٍ وآلِه الطيّبين الطاهرين.

المراسلة السادسة

تعليقة سطرها لأولاد ملِك التجّار في تبريز(طاب ثراه)

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

إخواني، يبدو أنّ الأمر ما يزال على حاله الأوّل، إذ «لم يتغيّر الحساء ولا الصحن» فلا عَمَل، ولا فِكر، ولا تقوى، ولا درس! لا أدري ما هذا التّواني في أمرِ الآخِرة، والتّكاسُل في طاعة العُقول الطّاهِرة ؟! أنسيتُمُ المَوتَ الّذي لابُدّ مِن الورودِ علَيه، وهو يهدِم في آنٍ واحدٍ أركانَ لَذائذكُم، ويُخرِّب بُنيانَ غَرائزِكم ؟! أليس ذِكرُه مُرغِّباً عن الدُّنيا، وسائِقاً إلى الآخرة ؟! أما قالَ أصدَقُ الصّادقين :«إنّ مَن تَذَكَّره في اليوم والليلة عشرينَ مرّة يُحشَر مع شُهَداءِ أُحُد»؟[1] أما وَجَدتُم ذِكرَه في غايةِ النَّفعِ والتّأثير ؟! ولعلّ مايَمنَعُكم منه اشتغال القلبِ بسواه، وعَدَم التَّهيُّؤ للسَّفر إلى دارِ الآخِرة. ولا ريبَ في أنّ المسافرَ لا هَمَّ له إلّا تهيئة الأسبابِ والاستعداد للسّفر، فمَن تفكّر

١ـ المحجّة البيضاء ٨/ ٢٤٠.

في حالِ الفَراعِنة، فلا بُدّ أن يَقِلَّ سرورُه بالدُّنيا وشَهَواتِها، ويَهُونَ أمَلُه وينكسر قلبُه عن لذّاتِها، إذ العاقلُ مَن جَرَّد نفسَه للمَنيّة، وهيّأها للتنَعُّم والتَّحيّة. وإن شئتَ حصولَ ذلك فتفَكَّر في حالِ نُظرائك المَوتى الّذين كانوا مُـنهَمِكين فـي الشَّهواتِ بِطُولِ آمالِهم وسوء أحوالِهم: كيف انتقَلوا مِن أُنسِ العِشرة إلى وَحشَةِ الهِجرة، ومِن فُسَحِ القُصور إلى ضِيقِ القُبور، ومِـن التَّـرَف والتـنعُّم وحُسـن الصُّورة إلى قُبحِ المَنظرِ والسِّيرة، وسائل قَبرَه ذلك بلسانٍ فصيح وبيانٍ مليح، وقُل:

باللهِ يا قبرُ، هَل زالَت مَحاسِنُه وهل تغيّر ذاك المنظرُ النَّـضر؟

فإنّه سيُجيبك بأتمِّ الأجوبةِ وأكمل البَيان:

لقد تَبَدَّدَت عِظامُه عن بعضِها مَفصِلاً مَـفصِلاً، وأفـنَتِ الدِّيـدانُ لَـحمَه وشَحمَه[١]

مع أنّه كان غافِلاً عن هذه الأحوال، وحَرِيصاً في تدبير المَـنازلِ وجَـمعِ الأموال، وقِس حَسَراتِ نفسِك علَيه. وكيف كان، فاغتَنِم ياحبيبي.

إنّ حالَ النّاس في ذِكر المَوتِ وحالاتِه على أقسام؛ فإنّهم بين مُنهَمِكٍ في الدُّنيا وشَهَواتِها، وخائضٍ في غَمَراتِ لذّاتِها، وبَين سـالِكٍ مُـبتدي وعـارِفٍ مُنتهي. والأوّل لا يَذكر الموتَ إلّا ذَمّاً؛ لِصَدِّه إيّاهُ عن محبوبِه، وكَونِه حاجِباً له عن مَطلوبِه، بل يَفِرّ منه ويُعادِيه، وإن كان ـ لابُدّ ـ مُلاقيه، فلا يَستفيدُ مِن ذِكره إلّا بُعداً. والثّاني يستعدّ بذِكرِه لاقتناءِ الخَـيرات، والمُسـارَعة إلى تَـحصيلِ

١ـ في المتن:

اسـتخوآنهابندبند از هـم جـدا كرد كرمان لَحْم وشَحْمش را فنا

فَضائلِ المَلَكات، و يَكرهُه خَوفاً مِن أن يَلقاه قبل الوُصول إلى هذه الكمالات. وهو في هذه الحال مَعذور، ولا يُعدّ مِن كِلاب دارِ الغُرور، بل لا يُحسَب مِن الّذين كَرِهوا لِقاءَ الله عزّوجلّ فكَرِهَ لِقاءهم، وعلامَتُه الاشتغالُ بما يُعدّه للممات، والتَّهيُّؤ في زادِ مَعادِه قَبلَ الفَوات. وأمّا الثالث وإن كانَ لا فائدةَ في ذِكره لنا، فهو إنّما يَذكرُه ويَشتاقُ إليه حُبّاً له وشَوقاً منه إلَيه، إذ فيه لِقاءُ الحَبيبِ، ولذا قال سلام الله عليه: «واللهِ لَابنُ أبي طالب آنَسُ بالمَوتِ مِن الطِّفل بثَدي أُمِّه»[١]، لِما في المَوت مِن الخَلاص من سِجن الطّبيعة، والوُصول إلى الدّرجاتِ العالية الرّفيعة، وإلى ذلك أشارَ بقوله سلام الله عليه: «فُزتُ وربِّ الكَعبة». ولنا نَوع آخر أعلى وأرفعُ مِمّا ذُكر، إلّا أنّه لا مَقام لِذِكره[٢].

وكيف كان، أرجو أن لا تُهملوا أنفسكم من حيث العمل، و خصوصاً في الأيّام المباركة المشهورة الثلاثة التي يجب أن تَعمُروها بالعمل[٣].

اللهمّ أعِنهم على ذلك، آمين يا ربّ العالمين.

«مَن فارَقَ أنيسَه أضحى بائساً ولو امتلك الكثيرَ الكثير.

فلقد ضاعَ الوردُ وأقفر البُستان، فلم تَعُد تسمع مِن البُلبُل قِصّةَ

١ـ نهج البلاغة (فيض الإسلام): الخطبة ٥؛ بحار الأنوار ٢٣٣/٢٨، ح ٢٠؛ و ٥٧/٧٤، ح ١٦.

٢ـ بل ليس بعد كلامه صلوات الله عليه ومقامه كلامٌ ومقام. (ن)

٣ـ لعلّ مراده رضوان‌الله عليه: أيام البِيض الثلاثة من كلّ شهر قمريّ، و هي اليوم الثالث عشر والرابع عشر و الخامس عشر.

الماضي»[١].

قلبي مُضنىً ملتهب، فلقد ابتعدتُ عن النجف وإن كان فيه ما فيه، أرجو الدعاء حقيقةً من كلّ العالَم وليس منكم فقط، والسلام.

حرّره محمّد البهاريّ في أطراف الكاظِمَين عليهما السلام

١ـ في المتن:

هر كه او از همزبانی شد جدا ... بی نوا گر چه دارد صد نوا

چونکه گل رفت وگلستان درگذشت ... نشنوی دیگر ز بلبل شرگذشت

المراسلة السابعة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

رُوي عن مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه: مَن ابتُلي بالفَقرِ فقد ابتُليَ بأربعِ خِصال: الضَّعفِ في يَقينِه، والنُّقصانِ في عَقلِه، والرِّقّةِ في دِينه، وقِلّةِ الحَياءِ في وَجهِه[1].

أجل: على العبد الذي واجه الفقر أن يُراعي عدّة أمور:

الأوّل: أن لا يَعُدّ الفقرَ مكروهاً، وأن يقول بكلّ امتنان: مَرحَباً بشِعارِ الصّالِحين، وأن لا يجزع أبداً حيث إنّ العالِم بالأصلح جلّ شأنُه قدّره عليه، ولازمُ ذلك أنّه لو كان شاكياً، لما شكا إلّا إليه ـ تعالى شأنُه ـ في ظُلَم الليالي.

فإذا أظهر الفقرَ لغيره، كشف عن عدم رِضاه، لأنّه يرى مصلحته في غير ما هو علَيه، لاسيّما إذا كان شكواه عند مَن عَلِم أنّه لا ينفعه،

١ـ بحار الأنوار ٤٧/٧٢، وبعدها: فنعوذ بالله من الفقر.

فهي حينئذ إمّا كفر أو فسق أو مُباح بحسب الشاكي والمُشتَكىٰ إليه بحسب اجتهادك.

الثاني: أن يقنع بالكفاف، بل يقتصر على قدر الحاجة الفعليّة، و يشكر هذه النعمة العظمى حيث لم يُعطَ زيادة، فإنّ الزِّيادةَ فِتنةٌ و امتحان أعطاها اللهُ تعالى لعَبدِه لينظُرَ ما يفعلُ بها، فإن عَصى اللهَ بها عذّبَه، وإلّا حاسَبَه، نستجيرُ باللهِ منه.

والثالث: لا بُدّ أن يكون مُتوكِّلاً على مَولاه، آيِساً مِمّا في أيدي النّاس.

وأن لا يتملّق أحداً من الأغنياء ويُسمّي ذلك تواضعاً، فإنّ تواضُعَ الفقير هو التكبُّرُ علَيهم مِن حيث إنَّهم أغنياء.

الرابع: أن لا يُداهِنَهم فى الخَوض في الباطِلِ طَمعاً بما في أيديهم مِن حُطام الدُّنيا، فيخوض معهم في كلّ ما خاضوا، ويَتجاذب أطرافَ أيّ حديث تناولوا، ويُقرّ لهم بكلّ ما فعلوا.

الخامس: أن لا يكون الفقر سبباً لوهنه في العبادات، بل عليه أن يغتنم حالة الفقر فيُكثِر المواظبةَ على العبادات، إذ الوصول إلى السعادة الأبديّة بالفقر أيسَرُ و أسهَل.

السادس: أن يُنفق دائماً شيئاً من قُوته، فإنَّهُ أفضَلُ عِندَ اللهِ تعالى مِن بَذْل الأغنياءِ، مِن وُجوهٍ لا مجالَ لِتَفصيلِها، واللهُ العالِمُ.

السابع: أنّ ما يُعطيه [له] غيرُه مِن المالِ إن عَلِمَ أنّه حرام وَجَب علَيه الامتناعُ [عن أخذه]، وإن عَلِم أنّه مُشتبَه أو حَلالٌ فيه مِنّةٌ رَجَح له رَدُّه، وإن عَلِم أنّه هديّةٌ مُحلّلة بِغَير مِنّةٍ استُحِبّ له القَبولُ تأسِّياً بالنّبيّ والأئمّةِ عليهم السلام،

وإن كانَ مِن الصَّدَقات وهُوَ مُستحِقّ؛ فإن عَلِم أنّه يُعطى رِياءً وسُمعَةً يُمكن أن يَقول بعَدَم جَواز الأخذ إذا صَدَق أنّه أعانَه على الإثمِ. ويَنبغي له التَّعفُّفُ مِن السُّؤالِ ما استَطاعَ، فإنّه فَقرٌ مُعجَّلٌ وحِسابٌ طويلٌ لِعَدم خُلوِّه مِن الآفاتِ غالِباً، إذ هو مُتضمِّنٌ للشَّكوىٰ وذَهابِ ماءِ الوَجهِ والذُّلِّ عِند غَيرِ اللهِ تعالى وإيذاءِ المسؤولِ وإعطائه استِحياءٍ أو رِياءً أو إلجاءً، أو يُورِثُ شَتمَ السّائلِ وإيذائه، إلى غير ذلك مِن الآفات؛ ولِذا رُوي أنّ مَسألَةَ النّاسِ مِن الفَواحِشِ. نَعَم، لَو كان في مَقامِ الاضطِرارِ فَلَهُ ذلك، بَل يجِب علَيه، إلّا أنّ تَشخيصَ دَرَجاتِ هذه المَقاماتِ في غايةِ الإشكالِ والصُّعوبةِ.

المراسلة الثامنة

سَطّر هذه التعليقة لمصحّح هذه الأوراق جزاه الله عنّي خيراً

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

جَناب المشهديّ فُلان، كنتَ وستظلّ مُوفّقاً إن شاء الله تعالى.

طرق سَمعي أنّك قلتَ لبعض مَن يُوالِيني: ليكتب لي «فلان» ورقةً تشتمل على المواعظ والنصائح.

فأوّلاً: أيّ تأثير وجدتَ من نفس «فُلان» كي تجد ـ مِن ثَمّ ـ مِن الحِبر النّحس الذي يكتب به؟!

وثانياً: أني لستُ أهلاً للعمل لأكتُبَ لك تعليمات العمل ﴿فاسألُوا أهلَ الذِّكرِ﴾[1]، ولكلّ شيء أهل.

خَلَق اللهُ للحُروب رِجالاً ورِجالاً لقُصعَةٍ وثَريدِ!

١ـ النحل: ٤٣؛ الأنبياء: ٧.

تعاليمنا هي أكل الدجاج و(الفَسَنْجان)[١]، فإن صادفتك مشكلة أحياناً فأنت عالِم غير مُعلَّم. يُضاف إلى ذلك أنّني كلّما أردتُ خلال الأيّام الأخيرة كتابة بضع كلمات قُربة إلى الله صدّني هوى النفس، والإشكال ما يزال قائماً، لكنّي سأكتب كلمات قلائل بالتوكّل على الله لئلّا أتخلّف عن الإجابة، (إنّ الذنب الذي يعود بالنّفع على الآخرين سيّء أيضاً).

فأقول:

إن كنتَ تسير في مقام العمل مجاهداً نفسَك فهنيئاً لك، وإن كنتَ ـ لا قدّرالله ـ مُبتلىً منكوباً تتكاسل في العمل ولا تتقدّم فلا تضيّع السؤال والتوسل، واجهَد في التضرّع والابتهال، وتمسّك بهما في الخلوات تصنُّعاً، حتّى يُضحي ذلك صِدقاً.

فإن أجابَك، مثلاً: إنّا لانحتاج الىٰ عبدٍ مُفلِس، فأجِب متذلّلاً: شحّاذ جالِس على طريق السلطان لن يُحسَب في عِداد عبيده.

وإن قال: إنّك تتمرّد وتعصي. فأجِب بِمُلايَنة: كلٌّ و شأنُه.

وإن قال: أين إذَن ستظهر قهّاريّتي. فأجب بمنطقٍ عذب: حيث تتعارض مع سلطنة جنابك الأقدس.

إن قال: أخرِجوه! فقل متوسّلاً:

«لن أرحل عن دياركم إلى سواها، فإن طردتموني من بابٍ عُدتُ من بابٍ

١ـ نوع من أنواع الحساء الإيراني عمادُه الدجاج و لبّ الجوز و ماء الرمّان. (المعرّب)

آخَر»[١]

وإن قال: لستَ قابلاً للاستفاضة منّي فأجِب: تكرّم عليّ بمعونة أوليائك.

والخلاصة: إن عَبَس في وجهك فتوسّل إليه متبسّماً، وإن أعرض عنك فاهرع خلفه متبصبصاً، فإن أنت يَئستَ منه، فالتجئ إلى أُمناء دولته، وقُل بأعلىٰ صوتك:

واللـــهِ وبـــاللهِ وتـــاللهِ بحقِّ آية «نَصرٌ مِـن الله»
لن أترك التعلّقَ بأذيـالِك فإن أُقتَل فإنّ الحُكـمَ لله[٢]

فإن قال: مَن جرّأك على مِثل هذا الكلام؟ قل: حِلمُك جرّأني.

وإن قال: من أين تعلّمت هذا البيان؟ فقل:

«إنّ البلبلُ إنّما تعلّم الكلامَ من الورد، وإلّا فإنّ كلّ هذا الكـلام والشـعر لم‌يكن مُعبّئاً في منقاره»[٣]

الحاصل: قيل: لا تترك التسوّل كي لا تفتقر أبداً، فإنّ الكثير من الأعمال تتمّ بالمسكنة والتسـوّل. ونـقصد بـالمجاهدة العِـلم بـعجز

١ـ في المتن:

نمی‌روم ز دیـار شـما بـه کشـور دیگـر برون کنیدم از این در درآیم از در دیگر

٢ـ في المتن:

به والله، بـه والله، بـه تَـالله بـــه حـقّ آیـهٔ نـصر مـن اللـه
که مو از دامنت دست بـرندیرم اگـر کشـته شـوم الحکـمُ للـه

٣ـ في المتن:

بلبل از فیض گل آموخت سخن، ورنه نبود ایـنهمه قـول وغـزل تـعبیه در مـنقارش

النفس، والتزيّي بزيّ المسكنة والتسوّل، والله العالِم.

بلّغوا سلامنا إلى مَن وجب الإبلاغ اليهم من السادة والسيّدات وغيرهم إن شاء الله، وليس لديّ ما أُضيفه إلّا طلب دعائكم.

محمّد البهاريّ

المراسلة التاسعة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

«يا دواء نَخوتي وناموسي، أنت أفلاطوني وجالينوسي»[1]

عايَنتُ رسالَتَكم المباركة فسُررتُ بها وفرحتُ كثيراً، ولقد شَمَمتها ولثمتُها ووضعتها على عينيّ، ولم أتفطّن ـ لشدّة الشوق والوجد ـ إلّا بعد حين إلى اشتمالها على إشارات إلىٰ أمور عديدة، منها: أنّك أمرتَني بالتمسّك بالصبر «نَعم، كلُّ صبرٍ جميلٌ، إلّا أنّ الصبرَ فيكَ قبيحٌ؛ وكلُّ جَزَعٍ قبيح، إلّا أنّ الجزعَ علَيك جميلٌ، وكلُّ مَرارةٍ سهلة، إلّا أنّ مَرارةَ البُعد عنكَ في نِهاية الصُّعوبة، ولِذا فلمِثلِكَ فليَبكِ الباكون، و ليَندُبِ النّادِبون، ويَعِجَّ العاجّون، عَزيزٌ علَيَّ أن أرى غيرَك ولا تُرىٰ، ولاينالك مِنّي ضَجيجٌ ولا شَكوىٰ، ولَعَمرُكَ إنّه قَسَمٌ جَليلٌ عظيمٌ، إنّ فراقَكَ صَعبٌ في غاية الصُّعوبةِ، والتَّصَبُّر به أمرٌ لا يُطاق».

١ـ في المتن:

ای دوای نخوت وناموس من آی تو افلاطون وجالینوس من

«الجميعُ يَعلَمُ أنّ العاشقَ لا عِلاجَ له إلّا الصَّبر، ولكن ما العملُ إذا عَجِزَ عن التصبُّر ؟»[١]

ومنها: أنّك أمرتَ بعدم ترك معاشرة الخَلق بالمرّة، وبمُداراتهم و تحمّل جفائهم بأحسن وجه، نَظَراً إلىٰ «عاشِرْهُم بالمَعروفِ».

فداؤك سمعاً وطاعة، إلّا أنّه لا يخفى عليك أنّ المجالس في يومنا هذا هي من قبيل قِران النحسَين، أو مُدافَعة الأخبثَين أو تَمالُق المُفلِسَين[٢]

ومنها: أنّك أمرتَني بزيادة المواظَبَةِ على الطّاعات. وهذا الكلام المبارك وإن كان مدعاةً للتأثّر والاستجابة، إذ لا يتمّ أيّ عمل [منّي] بلا إقبال منك، ولا تتلوّن أيّ وردة [في روضتي] بدون إشراقة «سُهيل» طلعتك، بَيْد أنّه كان يُسعدني أن يتكرّر هذا الأمر منك، ليُورث ازدياد العمل.

ومنها: أنّك أمرت أن لا أحزن للرِّزق [لأنّ] اللهَ واسعٌ كريمٌ ورزّاق ذو القوّة، ولقد نطقتَ بالصواب، وهو كذلك حقّاً، إلّا أنّ معي مَن[٣] كلّما قُلت له: إنّ الله رزّاق، يُشير إليّ أن: لا، ويقول: إن قلتَ إنّ الله رزّاق

١ـ في المتن:

همه دانند كه سودا زده ودلشده را چاره صبر است، وليكن چكندقادر نيست

٢ـ قِران النَّحسَين: اصطلاح لدى الفلكيّين القدماء يعنون به اقتراب نجمَين نحسَين من بعضهما في بُرجٍ واحد. والأخبثان: الرجيع والبول؛ وهما أيضاً السهر والضجر. وأمّا تمالق المفلسَين فيعني تملّق مُفلِس لمفلسٍ آخر.

٣ـ يشير إلى وسوسة الشيطان، أو حديث النفس الأمّارة. (المعرّب)

استلزم ذلك استعمال لفظ الجلالة «الله» في معانٍ متعدّدة، وهذا غلط. فهل هو رزّاق الخبز، أو اللباس، أو الخادم؟ أمّا وقد تفضّلت بأنّه رزّاق في كلّ شيء، وأنّه لا يلزم استعمال اللفظ حتّى في معنيَين، فقد قبلتُ ـ أنا الحقير ـ تعبُّداً، وسَكتَ هو أيضاً.

«فمَرحى للنَّظرِ النَّزيه الساتِر للعُيوبِ»[١].

ومنها: أنّك أشرت عليّ بالتحرّك صوب دِياركم، وأنا «أرغب أن لا أبقى أبداً بلا حبيب»[٢]

«رِجلي عَرجاءُ والطَّريقُ جِدُّ طَويل، ويَدي قصيرةٌ والتَّمرُ على النَّخيل!»[٣]

أرجو ـ ببركة دعائكم ـ أن أصل اليكم في أقرب فرصة لكسب الفيض منكم، فيتحقّق بذلك أملي إن شاء الله تعالى.

محمّد البهاريّ

١ـ في المتن: آفرين بر نظر پاك خطا پوشش داد.

٢ـ في المتن: ميلم اين بود كه بى دوست نگردم هرگز.

٣ـ في المتن:

پاى من لنگ است ومنزل بس دراز دست من كوناه وخرما بر نخيل

المراسلة العاشرة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

«مَن ذا الذي ينقل كلامي إلى المتكلّمِ المِنطيق؟ فينقل قَطرةَ المـاءِ إلى عُمان، وينقل التّمرَ إلى هَجَر؟»

«أين نسيمُ الصَّبا لِيَعبَقَ برائحةِ الورد، ولِيحمِلَ آهاتي الحَرّىٰ إلى البلابِل؟»

«ولِيُخبرها أن لا تتأوّه عند الوصال، فالآهاتُ لِمَن ذاق مَرارةَ الهِجران»[1]

فداؤكم: ماذا دهاكم فغدت كلماتكم الحرّى تتشظّى دائماً بشرر التأوّه وأنين الحسرة؟!

ألستُم مِمّن يُؤيَّد به الدِّينُ ويُشيَّدُ به أركانُ الشَّرعِ المُبين؟ ألستُم مِمّن انغَمَر في الطّاعاتِ والتّقوى، ووُفِّقَ للقُرُباتِ والزُّلفى؟!

١ـ في المتن:

کیست که از من سخن نزد سخندان برد	قطره به عمان کشد، زیره به کرمان برد
باد صبائی کجاست بوی گلی آورد	نالهٔ زار مرا سوی هزاران برد
گویدشان در وصال چند بنالید زار	زار بنالید کسی کو غم هجران برد

الحاصل:

ألستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا وأندَى العالَمينَ بُطونَ راحِ؟[١]

فَلِمَ الآهات؟

«دَعني أذرِف الدَّمعَ كالمُزنِ في الربيع»[٢]

لأنّي أنا المتخلّفُ عِن أقراني، أنا الضّعيف في عقلي وأركاني، وقد فَسَدَت طاعتي، وخَسِرت بضاعتي، وخَسِرَت تِجارتي. ذَهَبَت أيّامي وبَقِيَت ذُنوبي وآثامي، ما تزوّدتُ مِن حَياتي، وقَرُب حِينُ مَماتي». ولست أعرف تدبيراً ولا أهتدي الىٰ حيلة.

«تِلكَ هِيَ السَّماواتُ رَتقٌ عَلى الأرضِ»[٣]

لا رفيق، ولا شفيق، ولا ناصر، ولا معين، ولامؤنس، ولاأنيس؛ أينما يمّمتُ وجهي رأيتُ جهلاً في جهل، وأينما توجّهت رأيتُ ظُلمة في ظُلمة، وأيّاً جالستُ لحظتُ غَفلةً في غفلة. رأيت في التعرّف على الغير محض الضرر، وألفَيتُ كُلَّ مَن سمّيته صَدِيقاً عدوّاً لدوداً، فأضحى شغلي الدائم نداء «ألا سَبيل؟! ألا سَبيل؟! ووِرد لِساني: «ألا طَرِيق؟! ألا طريق؟!». إن دَرَستُ تحيّرت، وإن تَباحَثتُ نَدِمت.

فيا بَريدَ الحَيِّ أخبِرني بما قالَهُ في حقِّنا أهلُ الحِمىٰ

هل رَضُوا عنا ومالُوا للوَفا أم علَى الهَجرِ استمرّوا والجَفا؟!

١ـ قائله جَرير، وهو من شواهد تفسير مجمع البيان ٢/٤٧٤.

٢ـ في المتن: بگذار من بگريم چون ابر در بهاران.

٣ـ في المتن: همانست آسمان دور زمين سخت.

ولابدّ أنّكم ستقولون: لا خَبَرٌ جاءَ ولا وَحيٌ نَزَل، أمّا علَيه [فـ]نعم، و أمّا منه [فـ]لا [١].

العَجَب كلّ العَجَب إذا كنتم أنتم تتأوّهون وتتضوّرون هكذا، فماذا نفعل نحن إذا؟

قيل:

«إنّ البُلبُلَ يَئِنُّ وقد حَطَّ على الوردة، فَلِم لا أئِنُّ أنا البعيدُ عن وَردَتي؟!» [٢]

ولا أستطيع قياس حالي بجنابكم لوجوهٍ من الفارق، لأقول إنّكم تأخّرتم عن القافلة، وتركتُم التمسُّك ـ نستجير بالله ـ بأذيال أمير القافلة لأجل مَيلِكم إلى الدُّنيا والاشتغالِ بِلَهوِها ولَعِبِها، ولطُولِ أمَلِكَ و اتّباعِك للهَوى وغير ذلك.

الأوّل: أنّكم تعدلون أُمّة، و أنا وحيد فريد، وبمقتضى «عَبدِي أطِعني حتّى أجعلَك مِثلي» [٣] فإنّ جميع القُوى ونقاط الأرض تُعينكم دوني أنا، وما أجملَ قولُ مَن قال:

«لو أعانَ روحُ القُدسِ بفَيضِه مِن جديدٍ، لاستطاعَ الآخرونَ فِعلَ ما فَعَلَهُ

١ـ أي أنّنا نحن أيضاً لا خبر لدينا، فأمّا في الجفاء فـ«نعم» هو ثابت راسخ، وأمّا في الوفاء فـ«لا».

٢ـ في المتن:

به گل بلبل نشسته زار نالد مو که دور از گلانم چون ننالم

٣ـ حديث قدسيّ.

المسيحُ»[١]

الثاني: أنّ تغيير عادة الإدلال مِن أصعب الأمور علَيَّ، وهي من أسهل الأمور على سماحتكم.

الثالث: أنّ أقصى همّي كان ـ وما يزال ـ منحصراً في الأمور الاعتباريّة، في حين أنت «لا تأخذُكَ في اللهِ لَومَةُ لائِمٍ».

الرابع: أنّ الابتلاء بالمعاش قد هدّ قواي، فصار لزاماً عليّ أن ألجأ الى الاحتيال والتزوير والنّفاق من أجل فلس أسوَد، وجنابُك فارغٌ منه، لأنّ طعامَك عِشبُ القِفار، وشَرابُك مِن مِياه الأنهار؛ [فأنت] تَبيتُ وليسَ لَكَ هَمٌّ، و تُصبِح وليس لكَ بَلوى[٢].

الخامس: ابتلائي بالزوجة والأطفال، أمّا أنتَ فغير مُبتلىً بهم.

السادس: أنّ رياح الحُبّ والجاه قد عَصَفت في رأسي منذ نُعومة أظفاري، فأسقطتني من مقام العمل بالمرّة، وليس مِن معالج ولا طبيب، على العكس تماماً من وُجودكم المكرّم، ﴿إنّما أشكو بَثّي وحُزني إلى الله﴾[٣]

«لو سَقَطَت وَرقةٌ مِن كِتاب حُزني وبَثّي على الجَبَلِ لَتصدَّعَ لها قلبُ

١ـ الشعر لحافظ الشيرازيّ؛ وفي المتن:

فيض روح القدس ار باز مدد فرمايد ديگران هم بكنند آنچه مسيحا مى‌كرد

٢ـ «كان غالب قُوت كليم الله نَبْت الأرض وأوراق الأشجار، فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء».

٣ـ يوسف: ٨٦.

الجَبَل »[١]

اللهمَّ إنّي أشكو إلَيكَ غُربَتي وبُعدَ داري وقِلّةَ زادي ومعرفتي و هَواني على الناسِ وأنتَ أرحمُ الرّاحِمينَ.

«أنا المِسكينُ فَارحَمنِي واسمَع استِغاثَتي، قبلَ أن تَبلُغَ صَرختي أعتابَ غَيرِك

حاشا أن أئِنَّ مِن جَورك يوماً، فقد تحرّرتُ مُنذُ وَقعتُ في أسرِكَ»[٢]

حرّره محمّد البهاريّ

١ـ في المتن:

كتاب درد دلم قلب كوه را بشكافت — اگر از آن ورقی درفتد به كوه وبيابان

٢ـ في المتن:

رحم كن بر من مسكين وبه فريادم رس — تا بخاك در غيرت نرسد فريادم

من كه از جور تو حاشا كه بنالم روزی — من از آن روز كه در بند توام آزادم

المراسلة الحادية عشرة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

«بَشِّروني أنّكَ ستَمُرُّ عَلَيّ، فلا تُغيِّر نِيّة الخَيرِ فإنّه تفاؤل مُبارَكٌ»[1]

منذ مدّة مديدة وفترة بعيدة وشعلة نار اشتياق القلب للقاء وجودك المكرّم يتصاعد من جَيبي المشقوق، دون أن يكون لأحدٍ قدرة على إطفاء هذه النائرة، وكنتُ أحترق وأتصبّر وأُشغل نفسي بوجدي لرؤية طلعتك.

«أخادع النفسَ بأنّ الحبيب آتٍ اللحظةَ، وأسُرّ النفسَ بنشيدِ الابتهاج بِقُدومِك»[2]

بَيد أنّي لم أرَ في طالِعي أنّ كفّي ستتعلّق بسهولة بأذيال جلالك،

١ـ في المتن:

مژده دادند كه بر ما گذرى خواهى كرد　　نيت خير مگردان كه مبارك فاليست

٢ـ في المتن:

فريب خويش مى‌دادم كه ايندم يار مى‌آيد　　بهر آواز پائى خاطر خود شاد مى‌كردم

ولكن من حيث ﴿ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأى﴾[١] فقد مضى الزمانُ وقَلبي يقولُ إنّك آتٍ. فكنتُ حيّاً بهذا الاحتمال الضئيل، وتَصَرّم عليّ دهرٌ وأنا في مثل هذه الحال، فما عساني أقول:

«أضحى العقلُ الدرّاك مِن فراق الأحبّة أشبه بِرامٍ كُسِرَ قَوسُه»[٢]

وأنت تعلم أنّ كلّ ما جرى لي كان مِن جذب الحبيب، حيث إنّ المعشوقَ يجذب العاشقَ مِن حيث لا يَعلَمُ ولا يَرجو، وما كانَ يخطُر بِبالِه أبداً ولا يَظهرُ مِن تِلكَ الجَذبَةِ أثَرٌ في العاشِقِ إلّا الخَوفُ المَمزوجُ بِاليأسِ مَعَ دَوامِ الطَّلَبِ.

حبُّ المعشوق خفيٌّ مَستور، وحبُّ العاشق مصحوب بالطُّبول والأبواق[٣].

وبإجمال فقد كنت في أحلى ساعةٍ من الساعات وأفضل وقت من الأوقات، لا أنا نائم ولا يقظان، ولا صاحٍ ولا سكران، حين طرق سَمعي بُشرى حركة الموكب الميمون، فهتفت بلا اختيار:

«أحديثٌ ـ يا ربِّ ـ هذا أم مِن السِحر الحلال؟! أجاءَ بهذا الخَبَرِ هاتفٌ أم جاء به جِبرئيل؟!»[٤]

١ـ النجم: ١١.

٢ـ في المتن:

عـقل درّاك از فـراق دوسـتان همچو تيراند از بشكسته كـمان

٣ـ في المتن:

ميل معشوقان نـهانست وسَـتير ميل عاشق با دو صد طبل ونَفير

٤ـ في المتن:

يا رب اين حرفست يا سحر حـلال هاتف آورد ايـن خـبر يـا جـبرئيل

وانقلبت حالي من شوق اللقاء، فلم أميّز رأساً من قدم، ولا قدماً من رأس، فوضعتُ العِمامة في رِجلي، والنَّعلَ على رأسي، وقُمتُ مترنِّماً:

غَنِّ لي يا مُنيتي لَحنَ العِراقْ ابرُكي يا ناقَتي تَمّ الفِراقْ
ابلَعي يا أرضُ دَمعي قد كَفىٰ اشرَبي يا نَفسُ وِرْداً قد صَفا
عُدتَ يا عبدي إلينا مَرحبا نِعمَ ما رَوّحتِ يا ريحَ الصَّبا

والحاصل: فقد مات التصبُّر ونفد التجلُّد، وانجرّ الأمرُ إلى الفضيحة، واشتهر لدى أهل المدينة، وعذل أهلُ التقوى والدِّين ظنّاً منهم أنّ هذه الأعمال اختياريّة، ولم يلتفتوا إلى جُملة أمورٍ، منها:

«أنّ أُمّةَ العُشّاق غيرُ باقي الأمم»[١]

وثانياً:

«إذا اقتَحَمَ العِشقُ القلبَ، ألقى العقلُ أثاثَه خارِجاً»[٢]

أجل، كلّما أردتُ أن أتحرّك صَوب تلك الجهة، لم يُعِنّي رأسي ولا قدمي، فلا قدَمٌ تحمِلني للمجيء، ولا صَبرَ لي على فراقك.

«قد تحيّرتُ فيك، خُذ بِيَدي يا دَليلاً لِمَن تَحَيَّر فِيكا»

فإن قلتَ: مَثَلٌ مشهور «إن كان قلبُك مَعي وكنتَ في اليَمَن، فأنت عِندي»، فعَلى هذا لا معنى للاضطراب والاستعجال.

قلتُ: مع أنّ قلبي صاحَبَك دوماً، فإنّ عيني لا نصيب لها في حُسن

١ـ في المتن: ملت عاشق ز ملتها جداست.

٢ـ في المتن:

از در دل چونكه عشق آمد درون عقل رخت خويش اندازد برون

طلعتك، وأُذُني لا حظّ لها مِن لطائف كلامك، وليس لهذَين بديل.

«كلامُك الجميلُ الذي يَشغَفُ القلبَ، وبَسماتُك البديعة التي تُنعشُ الفؤاد»

«تفقّدا حالي وأنشَداني: البِشارة، صِرتُ[١] لك»[٢]

والحاصل، أنّي جلست على هذه الحال انتظر القدوم الميمون لروح العالَم.

«أَمَلي في اللَّيل البَهيمِ صُبحُ طَلعتِك، وقد تُفَتَّشُ عينُ الحياة في الظُلماتِ»[٣]

ذلك:

«أنّ عِشقَنا لطلعتك لم يَدُمْ أكثرَ من أيّامِ العُمر المعدودة، (فإن أنا متُّ) وجدتَ رائحةَ الودّ إن شممتَ رُفاتي»[٤]

والسلام.

محمّد البهاريّ

١ـ في المتن: البِشارة كُنتُ لك.

٢ـ في المتن:

آن كلام دلكش زيبای تو — وآن تبسمهای روح افزای تو

پرسش حالم نمودن يك به يك — آن نوای اَلبِشارَة كُنتُ لَك

٣ـ في المتن:

شبان تيره اميدم به صبح روى تو باشد — وقَدْ تُفَتَّشُ عَيْنُ الْحَياةِ في الظُّلُماتِ

٤ـ في المتن:

نه پنج روزهٔ عمر است عشق روى تو ما را — وَجَدْتَ رايِحَةَ الْوَرْدِ إنْ شَمَمْتَ رُفاتِي

المراسلة الثانية عشرة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

فَدَيتُك مِن قَرنِك إلىٰ قَدمِك.

«قلتَ لي: أرويك وأسلبُك رُوحَك، وأخافُ أن تَـرويني ثُـمّ لا تَسـلبني إيّاها!»[1]

أظهرتُ العبوديّة والرِقّيّة صباحاً كِراراً ومراراً فـي مـقام البـروز والظُّهور، فلم تشملني قَطُّ الألطاف غير المتناهية، مع أنّ سعة الرحمة لم تُقيَّد في الخارج بأيّ شرط، فلستُ أدري أيّ حـادثة حـدثت، فانجرّ الأمرُ فجأة إلى الاحتجاب والاستتار.

«أيّتها الوردةُ المُسرِفةُ في التنعُّمِ أسفِري كَرَماً؛ السَّروُ يَتِيهُ دَلالاً واللهُ لا يرتضي التِّيْهَ فَخراً»[2]

١ـ في المتن:

گفتی بدهم کامت وجانت بستانم ترسم بدهی کامم وجانم نستانی

٢ـ في المتن:

گـل از حـد بـرده تـنعم ز کـرم رخ بـنما سرو می‌نازد وخوش نیست خدا را بخرام

بلى، حيث إنّ هذا المسكين لا يُبدي للعَيانِ شيئاً، فقد تسبّب ذلك في تخيّل انقطاع حبل الأُلفة والمودّة، مع أنّ النزاع والجدل الملتهب ما برح قائماً بين المحبّ والحبيب، وبين العاشق والمعشوق، لكنّ علائم الصدق أيضاً مائلة أيضاً، وقد قيل: «أثرُ المودّةِ ساطعُ البُرهانِ».

«إن كان في خُلوصي شكٌّ فجرِّب، فلا يَعرِف عيارَ الذَّهَبِ الخالص إلّا المَحَكّ»[١]

وماذا أقول؟ ولا حقّ لي في إظهار الشكوى أمام جلالتك، فأنت الله المنتقم القهّار جلّت هيبتُه وقدرتُه.

«ابتُلي الفِراقُ بفراقِك، فذَرَفَت أعينُ الفراقِ الدُّموعَ دماً»[٢].

ولا أدري:

«مَن الذي يا ربِّ جاءَ بالهَجرِ والفِراقِ إلى هذا العالَم؟ فَليَسوَدَّ وجهُ الهَجرِ وزمان الفِراق!»[٣]

أجل، استبان أنّ المسامحة ـ إن وقعت ـ كانت قصوراً لا تقصيراً، إذ لم يبق عندي شيء.

١ـ في المتن:

در خلوص من اگر شکی تجربه کن　　کس عیار خالص نشناسد چو محك

٢ـ في المتن:

فراق را به فراق تو مبتلا سازد　　چنانکه خون بچکاند ز دیده‌های فراق

٣ـ في المتن:

فراق وهجر کهٔ آورده در جهان یا رب　　که روی هجر سیه باشد وروزگار فراق

«صادَرَت استقراري تِلكُما السُّنبُلتانِ السَّـوداوانِ، وأَفسَـدَتني تَـينَكُما (العينان) النَّرجِسيّتان المَكحولتان»[١]

جُعلت فداك!

لا تنتظر شيئاً ممّن لا عقل له ولا ذكاء، ولا صبرَ له ولا قـرار، ولا عين له ولا أذن، ولا يد ولا رجل، ولا ريش ولا جناح؛ فلا هو قادرٌ على الاحتيال والتدبير، ولا له مُستمسك أو مُعين، إنه مُـتعَب، ميّت، عاجز عن أن يفعل شيئاً، أو يتوصّل إلى غاية وهدف. قد سقط من عين المحبوب، وأضحى يستمع العَذل و الملامة، لا مـالَ له ولا مُلك ولا عقار، ولا قوّة له ولا ذهب ولا فضّة ولا عزّ ولا اعتبار، فهو متأوّه يدعو بالوَيل، مسكين حزين، مهموم مغموم.

«إذا ذَكَر معدِنَ الحلاوةِ والملاحة، نثرَ دُموعَه كالجَرادِ المُنتشِر»[٢]

إنّ له حالة عجيبة غريبة، كلّ من رآه قال فيه شيئاً:

«فمِنهُم مَن يقول: ما أشدَّ كآبَتَه! ومِنهم مَن يقول: لا بُـدّ أنّـه مـفجوعٌ بأخيه!»[٣]

١ـ في المتن:

قرار برده ز من آنـدو سـنبل مشگـين خراب كرده مرا آندو ونرگس مَكحول

٢ـ في المتن:

گر بيارد ياد از آن كان شكر اشك ريزد چون جَراد منتشَر

٣ـ في المتن:

آن يكى گويد عجب افسرده‌است ديگرى گـويد بـرادر مـرده است

والحقّ أقول:

«لا يألفُ قَلبي سِواك، فأيَّ بُلبُلٍ هذا الذي لا يحتويه قَفَص ؟!»[١]

ولكن ما العمل؟

«إنّما الألمُ ألمُ العِشق؛ كُلَّما حاولتُ عِلاجَه اشتدَّ وتضاعَفَ!»[٢]

لولا الموانع الخارجيّة لألقيت بنفسي في رِحابكَ المقدّسة في أيّ ديار كُنتَ، ولكن ماالعمل مع العقبات الكبيرة المتشامخة أمامي كالجبل:

أوّلاً: يتوجّب عليّ أن أكفّ عن الاشتغال بالدرس والتحصيل «و له مفاسدُ كثيرةٌ مِن وُجوهٍ كثيرة»:

أ ـ أنّ رزقي سوف ينقطع.

ب ـ أنّ أحداً من عوامّ الناس لن يكترث بي.

ج ـ أنّي سأتخلّف عن زملائي.

د ـ أنّي سأعجز عن التحكّم بالأعيان، فتتعطّل الأمور الشرعيّة.

هـ أنّ إدارة المُلك ستشقّ عليّ، فتأمَّل.

ثانياً: أنّ لي أطفالاً ـ اثنين أو ثلاثة ـ ذوي منطق حلو، وتعلّقي

١ـ في المتن:

دلم به غير تو الفت به كس نمی‌گيرد — چه بلبلی است که جا در قفس نمی‌گيرد

٢ـ في المتن:

دردیست درد عشق، که اندر علاج آن — هر چه سعی بیش نمائی بتر شود

بهم يمنعني.

ثالثاً: صعوبة تغيير العادة البدنيّة.

رابعاً: أنّ جماعة من بلاد الهند أسلموا جديداً، ولعلّهم يحتاجون إلى بعض الفروع الفقهيّة، وأخاف أن يأتوا إلى هذا البلد [للاستفسار]، فلا يجدون مَن يجيبهم ـ في غيابي ـ عن تلك المسائل الفقهيّة، وأخشىٰ أن يغيب عن البلد آنذاك سائر العلماء، أو يعرض لهم عارض، أو أن يُجيبوهم عن تلك المسائل من دون تأمّل ولا تفكير صائب، وهذا يعني انكسار الإسلام، ولست أرضى ذلك.

أجل، هناك موانع أخرى أخجل من إظهارها فقِسْ على هذا فَعْلَل وتَفَعْلَل.

حرّره محمّد البهاريّ

المراسلة الثالثة عشرة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

عزيزي

«قلبُ العاشقِ المُضنىٰ يَقطُر دَماً في حبّك، فلا أنتَ تَقتُله بسَيف الهَجرِ، ولا أنت تُبلِّغه الوَصلَ والمُنىٰ»[1]

منذ سنين والصباح والمساء يكرّان عليّ أنا المسكين دون أن يصل من خاطف القلب الوفيّ رسولٌ ولا سلام، ولا رسالة ولا خِطاب. ولست أدري هل مُنح هذا القالب الميّت بلا روح صبرَ أيّوب، أو وُعد بعُمر نوح؟! أنتظِرُ فلا أسمع خبراً في اليقظة، ولا أرى أثراً في‌المنام. أُهرع في كلّ جهة فلا أصل إلى شيء. كلّ مَن سألتُه لم يدُلّني، ونيران الهجر النمروديّة تزداد اضطراماً آناً فآناً.

ونِعم ما قيل:

١ـ في المتن:

دل دردمند عاشق زمحبت خون شد نه كُشى به‌تيغ هجرت، نه‌به وصل‌ميرسانى

إنّـــما هـجرُك ريـحُ صَـرصَرٍ أُرسِلَتْ في يَومِ نَحْسٍ مُستمِرّ
فإذا مـا غِـبتَ عـنّي سـاعةً كانت السّـاعةُ أدهـى وأمَـرّ

أجل:

هَـــل سَـــبيلٌ للـــتّلاقي فلقد طـالَ اشـتيـاقي؟!
وسَـــــقاني البَـينُ كأساً طَـــعمُه مُـــرُّ المَـــذاقِ
ودُمـــوعي فَـوق خَـدّي فـي انسِكـابٍ وانـدِفاقِ

«واعَجباً مِن قولِك: للقَلبِ إلى القلبِ سَبيل، (بينما) أحدهما يتلظّىٰ مـن الغمّ والآخر ضاحك مسرور»[١]

فإن قلتَ: العَجَب كلّ العجب لقِلّة التحمُّل وقلّة الصبر وسوء الخـلق وسوء الأدب وخشونة القول والتحمّق في الحركات والسكنات، فأين أنت من المُعاشقة والمغازلة؟

لا بُدّ أن يكون للعاشق قلبٌ كالبحر، وأن يتمتّع بكمال الأدب.

«طُرُقُ العِشقِ كلُّها آدابُ»

وأن يكون العاشق حَسَن الخُلق، لَيِّن الكلام صَبوراً ألم يقولوا:

«أتتباهىٰ بالعشقِ كذباً وتشتكي الحبيبَ؟! حـقّ لِمـثل هـؤلاء العُشّـاق الهِجران»[٢]

فأنت إنّما تفكّر براحة نفسك، وتطلب الدَّعـة، وتـتحرّك حسب

١ـ في المتن:

عجبم از اين‌كه گفتى‌كه به‌دل ره‌است دل‌را طرفى سوخته از غم جهتى خرّم وخندان

٢ـ في المتن:

لاف عشق وگله از يار چنين لاف خلاف عشـقبازان چـنين مسـتحق هـجرانـند

رغبتك، فابتعد.

«إنّ المنعّم المُترفَ غير جدير بالعشق، إذ العشقُ مِن شِيَمِ الرِّجالِ الذين يتحمّلون البَلاء»[١]

عليك أن تأخذ عدّة جَوزات وعُصفوراً وكِعاباً وتلهو مع الصِّبيان واللعب، لأنّك لم تُدرِك إلى الآن «أنّ أوّلَ ما يَبذِلُ العاشقَ والطالبُ الصادقُ هو أُنسُه وراحتُه، ثمّ ما يَملِكُه وما يَتعلّق به، حَتّى عِرضُه واختيارُه، ثمّ يَبذِل رُوحَهُ ويَصِل إلى خِدمةِ حَبيبِه مع خَطَرٍ عظيمٍ وهَولٍ جَسيمٍ، فأنّىٰ لَكَ تحصيلُ هذه المَراتِبِ العالِيةِ المَهولةِ الصَّعبةِ؟! هيهاتَ هيهاتَ. قلتُ: نَعم، الأمرُ كما زُبِر إن كان لَكَ مَيلٌ إلىٰ إلزامي وإفحامي»

أجل:

«الجميعُ يَعلمُ أن لا عِلاجَ للمُصاب بِداءِ العِشق إلّا الصَّبرُ، ولكن ما العَمَلُ إذا كان العاشقُ عاجزاً عن التصبّر؟»[٢]

وأنا أسألكم الدعاء دوماً.

«لا ضَيرَ إن سقطتُ مِن أعيُنِ الخَلقِ طُرّاً، فلا تُسقطني إذ لا ناصِرَ لِمَن خَذَلتَ»[٣]

١ـ في المتن:

نازپرورده تنعّم نبرد راه به دوست — عاشقی شیوهٔ مردان بلاکش باشد

٢ـ في المتن:

همه دانند که سودا زده و دلشده را — چاره‌صبر است، ولیکن‌چکند؟ قادرنیست

٣ـ في المتن:

اگر از چشم همه خلق بیفتم سهل است — تو مپنداز که مخذول تورا ناصر نیست

وإن أردتَ الجواب الحقيقيَّ «فَلَيسَت [هذه] أوّلَ قارُورةٍ كُسِرَت في الإسلام»

«لستُ أنا الوحيد الذي شكا مَحبوبَه، فكُلّ مَن نظرتُ إليه مُبتلىً بهذا العَناء»[١]

وإن لَم تصدّق فقُم وقتَ السحر، بوجهٍ بلَون الوَرد، وقَدٍّ مَمشوقٍ كالصّفصاف، واخطُر على المُروجِ لترى عياناً أنينَ العُشّاق وتضرُّعَهم. ولا تنظر فقط إلى الفراشة التي سَلَب هدوءَها وَلَهُ الشَّوق، ففَدَت نفسَها في غاية العجلة للمحبوب، واضطرمت في النار المتأجّجة، لأنّ هذا ـ على التحقيق ـ ناشئٌ من ضعفها التامّ وصغرها، بحيث لم تستطع تحمّل نارِ الهجران، فجمعَت بين القِشرِ واللُّبِّ، ولم تعلَم

«أنّ الأنينَ والتّضرُّعَ سُرورُ العاشِقينَ»[٢]

«فإنّه أَلَذُّ عِند المَحبوبِ مِن جميعِ المَلذّات». ثمّ أين العشق؟ أين التصبُّر؟ هيهات هيهات، وقد قيل:

«بَينَ العِشقِ والتّصبُّر ألفُ فَرسَخ»[٣]

فإن قُلتَ: ألم يكن كِتمان الحبّ مُستحسَناً في الشّرع الأنوَر، وله أجر الشهيد!؟ ألم يكن أصبرُ الصابرين رأسَ حَلقة العُشّاق؟

١ـ في المتن:

تنها نه من شكايت محبوب كرده بس بر هر كه بنگرم به همين درد مبتلاست

٢ـ في المتن: عاشقان را ناله وزارى خوش است.

٣ـ في المتن: زعشق تا به صبورى هزار فرسنگست.

ألم تسمع: «إنّ المحبّةَ سِرٌّ مِن أسرارِ اللهِ، و[إنّه] جَعَل محلَّه قلبَ الإنسان كي لا يلتفت إلَيه أحدٌ غيرُه، إلى غَيرِ ذلك مِن المَنهجيّات».

قلتُ: ألا تقرأ الأخبار؟ أما سمعتَ:

«مَذهبُ العاشقِ غَيرَ مذهبِ الأُمم، واللهُ هو مذهبُ العاشِقين وأمّتُهم»[١]

هذا أوّلاً، وثانياً: أنا تركيّ، ولا أفهم شيئاً آخر![٢].

«لِيَمنحنِيكَ اللهُ في الدُّنيا جَزاءً، وليَحرِمني الغِلمانَ في الجَنّة!

أنّىٰ لي أن لا أهبَ في سَبيلِك الدِّينَ والدُّنيا معاً، حين لا يبخَلُ شيخُ صَنعان بدِينه على فتاةٍ مسيحيّة!»[٣]

وتوضيح الكلام بعبارتنا:

«لَنا الحبيبُ، ولَكُم كُلُّ نِعَمِ الفِردَوسِ»[٤]

صَحَّ عِندَ النـاسِ أنّـي والِـهٌ غَير أنْ لم يَعلَموا حُبّي لِـمَن!

حرّره فُلان

١ـ في المتن:

مذهب عـاشق ز مـلتها جـداست عاشقان را مذهب وملت خداست

٢ـ في المتن: من تركم اونى بونى بولرم.

٣ـ في المتن:

دنياده حق سنى منه ويرسون جزاگـونى قوى ايله سون بهشتده غـلمان مـضايقه

من دين ودل نه نوعيله سندن اسير گيوم ترسايه دينين ايتمدى صـنعان مـضايقه

٤ـ في المتن: دوست مارا وهمه نعمت فردوس شمارا.

المرا سلة الرابعة عشرة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

جُعِلتُ فِداك

«أتَعلَمُ أنّي لا أعرِفُ استقراراً مِن دُونِ طَلعتِك، وأن لا طاقَةَ لي علىٰ فِراقِك كلّ أيّامي هذه؟»[1]

العجبَ كلّ العجب مِمّن يقول إنّ عمر الدنيا ثمانية آلاف سنة، في حين مرّ عليّ ـ أنا المسكين ـ في هذه المدّة المتمادية أكثر من ثمانين ألف سنة وما زلتُ في أوّل أيّام فِراقي، بدليل أنّ نوحاً رأىٰ طوفاناً واحداً خلال الآلاف الثمانية، وأنا رأيتُ عدّة آلاف من الطوفانات. وأنّ إبراهيم عليه السلام شاهد في تمام عمره ناراً نَمروديّة واحدة، وقاسَيتُ أنا النار النَّمروديّة ألف مرّة، وأنّ موسى عليه السلام لم يُصعَق سوى صعقة واحدة، (ولِي كلَّ يومٍ صعقةٌ أخرى)، ومع هذا كلّه فالنِّياحةُ شُغلي، ولا خبرَ

١ـ في المتن:

خبرت هست كه بى روى تو آرامم نيست طاقت بار فراق اين همه ايامم نيست

مِن الخُلّة، ولا أثَرَ من المودّة. لَومُ الناس من جهة، والفقرُ والفاقة من جهة، وإعراضُك من جهة، والأوّلان سَهلان يسيران.

«لم آتِ بالحِيلةِ والتَّزويرِ لأنصرفَ بالعَذلِ واللَّومِ، وسأُهرَعُ للعبوديّة والرِّقّ إنْ فقدتُ عِزّة الإكرام»[١]

لكنّ الّذي يُحرِقُ القَلبَ ويُقطِّع ما في الأحشاءِ هو الأخير:

«لا أمرَّ مِن فِراقِكَ، ولا أضيَعَ مِن عدمِ إيوائك

خُذ روحَ عَبدِك إن أنتَ صَدَدتَه، فالروحُ الّتي تحيا بدُونِكَ روحُ ميّت»[٢]

أجل زاد التفصيل عن الحدّ.

«إن أردتُ بيانَ شرحٍ مُعتَبَر، فإنّ هذا المختصر يكفي إلى يوم القيامة»[٣]

وإن كنت أقول أحياناً:

«فلتمُرَّ هذه الأيّامُ الأمرُّ مِن العَلقَمِ، فستُطِلُّ ـ مِن جديد ـ أيّامٌ أحلىٰ مِن السُّكَّر»[٤]

١ـ في المتن:

نه به زرق آمده ام تا به ملامت بروم — بندگی ورزم اگر عزت اکرامم نیست

٢ـ في المتن:

تلخ‌تر از فرقت تو هیچ نیست — بی پناهت غیر پیچابیچ نیست

چون تو ندهی راه جان خود برده گیر — جان که بی تو زنده ماند مرده گیر

٣ـ في المتن:

گر بگویم شرح های مختصر — تا قیامت بس بود آن مختصر

٤ـ في المتن:

بگذرد این روزگار تلخ‌تر از زهر — بار دگر روزگار چون شکر آید

لكُلِّ عُسر يُسرٌ، ولكلّ هُبوطٍ صعود؛ ولا بدّ مِن سرّ في هذا الأمر.

قال الكاتب:

«ليغسل (المرءُ) لَوحَ [القلبِ] باستمرار، وسيخُطّ (الكاتب) حينئذ فيه الحُروف؛

وليَسحقَ القَلبَ بإذلال الدُّموع، ليَكتُب عليه أسراراً خفيّة؛

ولَو أراد أن يُرسي للبَيت أساساً جديداً، فعليه أن يَقتلِع أساسَه القديم؛

أمّا الأطفال فيبكون ويضجّون مِن جَهلِهم، لأنّهم لا يعلَمون سِرّ الأمور».[١]

ولو حكيتَ للطفل المفطوم عن الحليب ألف قصّة وأسطورة، فإنّها لا تُنسيه ذِكر الثدي.

فإن قلتَ: هل كان المنزل بعيداً؟ ألم تعرف المأوى والمقصد؟ هل وضعوا حُرّاساً وحُجّاباً؟ هل أبعدوا أحداً عن ساحة القُرب؟ ألم يُنادِ المُنادُون: فليأتِ كلُّ ذي حاجة؟ ألم يُعلن الملازمون أنّ الإحسان غير محدود بِحَدّ؟ ألم يُبلغ السفراءُ الرُّسُل: أنّ مَن خالَف، لَقِي الكَرَمَ عوضاً؟ ألم يعلن الأطبّاء: إنّنا نعالج كلّ مريض، ونضمّد كلّ جراح؟

١ـ في المتن:

لوح را اول بشويد بى وقوف — وانگهى بر وى نويسد او حروف

خون كند دل را ز اشک مستهان — مى‌نويسد بر وى اسرار نهان

چون اساس خانهٔ نو افكنند — اولين بنياد را برمى كنند

از جهالت كودكان گريند زار — چون نمى‌دانند اشان سرّ كار

ألم يُنادِ الحكّام: إنّنا غَوثُ كلّ مظلوم، وعونُ كـلّ عـاثِر؟ ألم يَـقُلِ العُلَماء: إنّنا نُشافي كلَّ مجنون، ونكمّل كلّ ناقص.

وأنت مع هذا خائف مِن ظِلِّك، فمِمّ عساك تشكو و تئنّ؟

قلتُ: نَعم الأمرُ كما تَقول، وفَوقَ ما يَقولُ القائلونَ، إلّا أنْ نَجِدَ به أمراً آخر، وهو هذا:

«إنّ سعيَ العاشِقِ المسكين سيبقىٰ عَقيماً ما لَم يكن جَـذبٌ مِـن جـانب المعشوق»[١].

وحصول هذه المطالب يحتاج إلى العنايات الخاصّة والإنعامات المخصوصة.

فإن قلتَ: نَعم المطلب هكذا، ولكنّ العـنايات الخـاصّة تسـتلزم خدمات وآداباً خاصّة، وتحتاج إلى قيام الليل وصيام النـهار، وإلى نفثات الصـدر وشـحوب اللـون وخَـفَقان القـلب واعـتقال اللسـان واضطراب المفاصل والأعضاء، والتحمّل من الخلق ومراعاة جـميع الآداب مع المعشوق، وإلى بذل المال والروح والاختيار، إلى غير ذلك من الشرائط، فأيّ واحد من هذه الشروط أنجزتَ لتتوقّعَ أن تطّلع على الأسرار، وتغدو موضعاً للعنايات الخاصّة؟! فاذهَبْ وتَوقّعْ حـصول هذه الأمور من النوم اللذيذ في السَّحَر، واللُّقمة الدّسمة في أوّل الليل، ومن عدم الاكتراث خلال النهار، ومن مُعاشرة غير أهل الجدّ، ومن

١ـ في المتن:

تا كه از جانب معشوقه نباشد كششى كشش عاشق بيچاره به جائى نرسد

متابعة الهوى والهوس! فما لَم تقدّم رأسك فداءً، فلن تُـؤتَمَن عـلى سرّ؛ ومالم تتنازَل عن الاختيار، فلن تُجعَلَ مُختاراً أبداً، ومالم تقطع علائقَك بالكائنات، فلن يُوثّقوا معك سلسلة المحبّة. ولهذا قيل:

«إنّ سفر العشق محرّمٌ على المُترَفين النّاعِمين، إذ ليس مِن خطوةٍ في هذا الطريق الاّ وفيها خَطَر مُحدِقٌ»[١]

«مَن جاءَ بالعِزّة نالَ العزّة، ومن أتى بالسُكّر نال اللّوزينَج[٢]»[٣]

قلتُ: قَد هيّجتَ أحزاني وزِدتَ في دائي

والسلام

١ـ في المتن:

نـازكان را سـفر عشـق حـرامست حـرام　　كه به‌هرگام در اين راه خطرى نيست كه نيست

٢ـ اللوزينج: نوع من الحلوىٰ.

٣ـ في المتن:

هر كه عزّت آورد عزّت برد　　هر كه قند آورد لوزينه خورد

المراسلة الخامسة عشرة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

«الغَوثَ الغَوث، فلَيس لألمِنا دَواءٌ، ولَيس لهَجرِنا انتهاء»[1]

مهما كنّا، ومهما فعلنا، ومهما قُلنا، فقد وَقَعَ ما وَقَع، [و]كـانَ الذي كان، ومضى الذي مضى.

والآن:

«قد ألقَينا سِلاحَ المَسكَنَةِ، فالغِياثَ ياعينَ الحياةِ، الغِياث»[2]

وأنت تعلم يا غياث الجميع

أنّنا غُرَباءُ في هذا البَلَدِ، وفُقَراءُ في هذا المُلك[3]

١ـ في المتن:

درد ما را نيست درمان الغـياث　　هجر ما را نيست پايان الغـياث

٢ـ في المتن:

ما به مسكينى سلاح انداختيم　　الغياث اى مايهٔ جان الغـياث

٣ـ في المتن: ما در اين شهر غريبيم، ودر اين ملك فقير.

يا غَريبَ الحُسن رِفقاً بالغَريب

وليس مرادنا البحث والاعتراض

قَد مَلَكْتَ القلبَ مُلكاً دائماً

إن شئت فاعدِل، وإن شئت فَجُرْ»

فإنّما القصد التسوّل والرجاء، فلعلّك تأخذ بيد عاجزٍ مسكين، فقد عجز هذا البائس عن كلّ شيء، فلا هو يَمّمَ وجهه صَوبَ رِحاب جلالِك، ولا تعلّقت يَدُ ضَراعته بأذيال أحد، ولا بقي فيه رَمقٌ للتضرّع والابتهال ليصير موضعاً للترحّم، فهو حيران، والهٌ، وحيد، غريب، باكٍ، مكسور، عاجز، يدعو بالوَيل، يجلس جِلسة النادم مرّة، ويتحسّر متأوّهاً من أعماق قلبه مرّة أخرىٰ، ويتذكّر الماضي، لا سيّما أيّام كان يضع جبينه على الأعتاب المقدّسة، ويرتع في الألطاف المتنوّعة.

فأين هو:

«إصغاؤكَ ذاكَ، واستِماعُك ذاك، وبَسَماتُك تِلك المُنعِشةُ للرُّوح؟

وإصغائي ذاك ـ إن قليلاً أو كثيراً ـ وإدلالُ روحي السيّئة النوايا

وقلبي المعلومُ الحال لَدَيك، الذي قَبِلتَه إذ كان نَقْدُه صحيحاً»[1]

١ـ في المتن:

آن سميعیّ تو وآن إصغای تو	وآن تبسّمهای جان افزای تو
وآن نیوشیدن کم وبیش مرا	عشوهٔ جانِ بد اندیش مرا
قلب های من که آن معلوم تست	.بس پذیرفتی تو چون نقد درست

الحاصل: أنّني أجتذب الحسرات حينما أتذكّر تلك الصفات الحميدة والكمالات غير المتناهية، ولكن ما العمل؟

«تتصاعد آهاني من أعماق روحي، ولكن ما العمل؟ يَدُنا قَصيرةٌ والتَّمرُ على النَّخيل»[١]

اضافةً إلى أنّي أواجه موانع كبيرة وضخمة «فإليكَ المُشتكىٰ مِن نَفسي وأقربائي وأصدقائي وجِيراني وأهلِ بَلدَتي وأهلِ مِلّتي، فقد اتّفقَت كلمتُهم علىٰ عِدائي، وليس لي مَن أستعينُ به في أمري غيرُك، فإن كنتَ مترحِّماً فالآن وقتهُ وأوانُه، فخُذ بِيَدي يا مُنقذَ الغَرقىٰ ومُنجِيَ الهَلكىٰ»

فإن قلتَ: أيّها الكذّاب التعس، يا ذا اللحية البيضاء والقلب الأسود، إلى متى هذا الكذب واللفّ والدوران والسلوك الأعوج؟! مِمّن تشكو؟! تقدّم خطوة واحدة صحيحة لتتصرّف في كلّ الكائنات! فالاحتيال والتزوير لن ينفعاك شيئاً، فقُل في أيّ صنفٍ من الأصناف معدودٌ أنت؟ وما هو عملُك؟ أمِن أهل العلم أنت؟ أم كاسب؟ أم متعبّد؟ أم عارف؟ أم فتىً من الفتوات؟ أم درويش؟

على الإنسان ـ مهما كان عمله ـ أن يراعي شرائط ذلك العمل، وليس فيك أيّ شرط من شروط هذه الاصناف.

١ـ في المتن:

آمه از نهاد بر آيد اما چه كند دست ما كوتاه وخرما بر نخيل

و هو مَثَل في الفارسيّة، شبيه بالمثَل العربي: العين بصيرة، واليد قصيرة.

إن كنتَ من أهل العلم، فأين عِلمُك و حِلمُك؟ أين تواضعُك وخشوعك؟ وأين زُهدُك؟

وإن كنتَ كاسباً، فأين أمانتُك، وأين تفقُّهك وتديُّنك؟

وإن كنتَ متعبّداً، فأين توكّلك، وأين مناجاتك في الخَلوات؟ أين قيامك في الليل؟ وأين صيامك أيّام القَيظ؟ أين بكاؤك أطراف ليلك ونهارك؟

وإن كنتَ عارفاً، فأين معرفتُك، وأين تسليمُك ورِضاك؟ أين تركُك «ماسوى الله»؟

وإن كنتَ فتى، فأين رُجولتُك؟ وأين إيثارُك وتضحيتُك؟ أين غَوثُك للضعفاء؟ أين شواربُك المفتولة التي تعادل كلُّ شعرة منها الدنيا وما فيها؟

وإن كنتَ درويشاً، فقد قالوا أنّ قلنسوة الدرويش لابدّ أن يكون فيها أربعة أنواع من التَّرْك، و كلّ تَرك يكشف عن التَّرك الآخر: الأوّل تَركُ الدُّنيا، والثاني ترك العُقبىٰ، والثالث ترك المَولىٰ، والرابع ترك الترك[١]، فأيّ واحد من أنواع الترك نفّذت؟

١ـ قال الشيخ المبرّزُ في الأمور المعنويّة: على سالك طريق الحقيقة أن يكون في قلنسوة فقره ثلاثة أنواع من التَّرْك: تَرْكالدنيا، تركالعقبى، وتركالترْك.

والمراد بترك الترك: ترك إرادته، وهو ما يسمّى بـ«مقام الرضا»، وإليه تشير حكاية الإمام الباقر عليه السلام وجابر، فقد سأله عن حاله فأجاب: الفقر أحبُّ إليّ من الغِنى، والسقم أحبّ إليّ من العافية. فقال الإمام ما يقرب من هذا المضمون: «نحن ـ أهل البيت ـ لا نحبّ شيئاً من عند أنفسنا، فما يشاؤه الله تعالى نحبّه ونريده».

قلت:

«لستُ قاضياً، ولا مُدرّساً، ولا مُحتسِباً، ولا فَقيهاً».

إذ لستُ منظوياً تحت أيّ عنوان من العناوين المذكورة، وقد ذكرتُ من قَبلُ أنّي متسوّل شحّاذ، والتسوّل لا شرط فيه، لأنّ المتسوّل يطلب المجّان ولا يُطالَب بخدمة.

فإن قلتَ: كُن ـ على الأقلّ ـ صادقاً في الطلب، وجِدّ واجتهد بمقدورك.

قلتُ:

«قلتُ مِراراً وأقول مرّةً أخرى[1]: مالم يكن جذبٌ من جانب المعشوق

ولم يستبن لي من عبارة الكتاب مرادُه بـ« ترك المولى »، فقد قيل: « طالبُ الدنيا مؤنّث، وطالبُ العُقبى مخنّث، وطالب المولى مذكّر ». والمراد بترك الترك أن يسلّم السالك أمره الى مولاه، أي أنّ عليه أن يترك الدنيا أوّلاً، ثمّ يترك العُقبى، ثمّ يترك إرادته ويوكل نفسه وكلّ أموره الى مولاه. أمّا تَرْكُ المولى فلم يستبن لي قطّ، ولم أجد الى يومنا هذا أحداً قال بأكثر من الأنواع الثلاثة من التَّرك. (ن)

أقول: القصّة منقولة في بحار الأنوار عن الإمام الحسن عليه السلام وأبي ذرّ الغفاريّ.

١ـ تعريب مصراع من بيت لحافظ الشيرازيّ، وتمام البيت والأبيات التي تليه كالتالي:

بارها گفته‌ام وبار دگر می‌گویم — که من دلشده این ره نه به خود می پویم
در پس آینه طوطی صفتم داشته‌اند — آنچه استاد ازل گفت بگو من گویم
من اگر خارم گل چمن آرایی هست — که از آن دست که می پروردم می رویم
دوستان عیبِ من بیدل حیران مکنید — گوهری دارم وصاحب نظری می جویم
گر چه با دلق ملمع می رنگین عیب است — مکنم عیب کزو رنگ وریا می شویم
خنده وگریهٔ عشاق ز جایی دگر است — می سرایم به شب ووقت سحر می مویم
واعظم گفت که حافظ در میخانه مبوی — گو مکن عیب که من مشك ختن می بویم

فلا تقدُّم»[١]

إلى آخر الأبيات

الجاني محمّد البهاريّ الهمدانيّ

وتعريبه:

قلتُ مراراً وأقول مرّة أخرى: أنّني ـ أنا الفاقد الوعي ـ لم أسِر هذا الدربَ بمشيئتي

فلقد جعلوني كالببغاء التي لا تنفكّ تنظر في المرآة، وها أنا أقول ما قاله أستاذ الأزل.

إن كنتُ شوكاً أو وردة تزدان بها الخميلة، فإنّ الفضل في نموّي وترعرعي ليد البُستانيّ.

فلا تعيبوا عليّ ـ أنا الحائر بلا قرار ـ أيّها الأصدقاء، ففي يدي جوهرة أبحث لها عمّن يعرف قيمتها!

ومع أنّ الخمرة الصّهباء تُعَدّ عيباً على مرتدي خِرقة الدراويش الملوّنة، ولكن لا تَعِبْ عليّ لأنّي أغسل بها الرِّياء والتلوّن!

ضحكات العشّاق وبكاؤهم ينبعان من نبع آخر، فأنا أنشد وأغنّي أوّل الليل وأنتحب في آخره!

قال لي واعظي: لا تشمّ باب الخانة يا حافظ، فقل: لا تعِبْ عليّ فإنّي إنّما أنْشَقُ مِسك «ختن» الفوّاح.

١ـ مصراع من بيت مشهور، وتمامه:

تا كه از جانب معشوقه نباشد كششى كوشش عاشق بيچاره به جايى نرسد

وتعريبه: إنّ سعي العاشق المسكين لن يثمر شيئاً ما لم يكن هناك جذبٌ من جانب المعشوق.

المراسلة السادسة عشرة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

جُعلت فداك

«قلتَ: أخبِرني كيفَ حالك مع هَجري، يكفيني أنّك ترانـي ولا تعلم حالي»[1]

لقد جرّدني أمل وصالك من القلبَ والفِكر معاً ولَكَ المِنّةُ عَلَيّ، فأضحيتُ كالمجنون أدور في الأزقّة والأسواق مضطرباً، أستعرضُ وجهَ كلّ شاب وشيخ، أُطيّب القَلبَ أحياناً بالحَجَر الذي يرميه الأطفال، وأتحمّل أحياناً طعنة وتعريض المنافسين والأغيار، وكما تقول:

«أنا الذي كنتُ أتكدّر بأنفاس الملائكة»[2]

١ـ في المتن:

گفته بودی که خبر ده که زهجرانم چونی آنچنانم که ببینی وندانی بازم

٢ـ في المتن: من،که ملول گشتمی از نفس فرشتگان.

الحاصل: أنا شاكر لك، أجوبُ الصحارى حيناً، وأجلس على سواحل البحار حيناً، وأرتقي الجبال حيناً، وأغوص في الحُفَر حيناً، فلا القلب يهدأ ولا الفؤاد يسكن ويطمئنّ فَيَالَهُ مِن عَجَبٍ كَيْفَ العَجب!

إذا نطقتُ بالصواب [وشَكوتُ بُعدَك] أخطأتُ، لأنّك ما برِحتَ في القلب، ولا غِبتَ عن ناظِريّ.

«أتأمّلُ في الصحراءِ فأرى صحراءَك»[١]

وإن قلتُ إنّكَ قريبٌ، فماذا دهاني ـ أنا الوالِه ـ لأجري في حيرةٍ هنا وهناك، «أُناديك مِن كلِّ مَكانٍ لعلَّكَ تسمَعُ نِدائي».

ولست أسعى بهذه الأقوال إلى خلاص نفسي، بل أرمي إلى استحكام العُلقة. ومِن الجليّ الواضح أن:

«ليس الظُّلم أن تُوثِقَ الصَّيدَ، إنّما الظُّلم أن تُطلِقَه مِن قَيدِك»[٢]

ولقد أضحيتُ مورداً للترخُّم فارحمني، وافتقرتُ إلى القابلية للحضور؛ وغدوتُ كَسيرُ الجناح فأغِثني.

إن كنتَ جازَيتَني بالطَّرد على قبيح فِعالي وسوء أدبي، فها هي يدي متعلّقة بأذيالك «أسألُك بحقِّ المَودَّةِ والقَرابةِ أن لا تُحمِّلني ما لا طاقةَ لي بِه».

وإن رمَيتَ من ذلك إلى امتحاني، فلم يكن اللّاشيء أهلاً

١ـ في المتن: به صحرا بنگرم صحرات بينم.

٢ـ في المتن:

ستم آن نيست كه در بند كنى صيدى را ستم آنست كه از قيد خود آزاد كنى

للامتحان في أيّ وقت. وإن كان المراد تكميلي وتطهيري لأعرف قَدر الوصال، فلا فائدة تُرتجى فيمَن نام على مزبلة البُعد خمسين سنة دون أن يلتفت إلى هذه النقطة.

وإن أردتَ سماع أنيني وابتهالي وتضرّعي، فقد تعالىٰ صراخي وعويلي:

«لستُ بالذي يئِنُّ مِن جَورِك، فأنا التلميذُ المؤمن والمُواطن المثاليّ»[١]

وإن لم يكن ذاك، وإنّما:

«عاهدتَني لتُحرِقَني بِنار غمّك، فلَستُ أعرف أيَّ غمّ يُرضيك لأحترقَ بناره»[٢]

وأرجو أن تُجاب عريضتي سريعاً لأعرف ما ينبغي عليَّ فِعلُه. فإن قلتَ: يا عديمَ الإنصاف، إنّك إنّما تظلم نفسك بنفسك، وإلّا ففي أيّ مرحلة قصّرتُ أو غفلتُ عنك لحظة؟ «أما وجدتُك يتيماً فآويتُك، ووجدتُك ضالاً فهدَيتُك، ووجدتُك عائلاً فأغنيتُك؟» ألم تَرَ حينما مَرِضتَ كيف كنتُ أقوم بتمريضك؟! ووقعتَ ذليلاً بيد الأعداء، فبأيّ تدبيرٍ خلّصتُك، وأرادوا فضحَك علانيةً في المرحلة الفُلانيّة، فبأيّ نحوٍ صرفتُهم عنك، وكم وفّرتُ لك من أسباب الخير والسعادة إلى الآن؟

١ـ في المتن:

من نه آن كه به جور از تو بنالم حاشا — چاكر معتقد وبندهٔ دولت خواهم

٢ـ في المتن:

عهد كردى كه بسوزى ز غم خويش مرا — هيچ غمى نيست تو مى‌سازكه من ميسوزم

ماذا سألتني فمنعتُك؟ هل قصّرت في مراقبتك في آنٍ من آناء الليل والنهار؟ فلقد رقد عنك خدّامُك فحرستُك؛ وغفل عنك حرّاسُك ومحافظوك فحفظتُك، وأهملك عيالُك و أولادُك فأطعمتُك؛ ثمّ لا زِلتَ ـ بعد كلّ هذا ـ تشكوني ؟!

«قلتُ: جَزاك الله خَيرَ الجزاء، وقد نبّهتني لشيءٍ كنتُ غافلاً عنه بالمرّة».

فقد كنت أحسبُ أنّ هذا النحو من الأمور جارٍ على الأسباب، وما دريتُ أنّها مِن مُسبِّب الأسباب. فمادام الأمر كذلك فافعَل بي أحد الأمرَين.

«إمّا أن تطلبني ـ أنّا البائس ـ لجوارك وفاءً منك، وإمّا أن تطلبَ ـ وأنت الطاهر الذَّيل ـ مِن الله أن يُعجِّل موتي»[1]

وأبلِغني أيّ الخيارَين تختار؟! وأمرُكم مُطاع.

حرّره محمّد البهاريّ

١ـ في المتن:

يا من بازمنده را نزد خود از وفا طلب يا تو كه پاكدامنى مرگ من از خدا طلب

الخاتمه

لا يخفى أنّ سماحة الحاجّ الشيخ محمّد البهاريّ (قدّس سرّه) غادر النجف الأشرف في طريقه إلى زيارة مدينة مشهد المقدّسة، وعند عودته أصابته و عكة فتوقّف مدّة في تبريز، ثمّ قفل راجعاً إلى النجف. حتّىٰ اذا كان سنة ١٣٢٥ في قرية بهار[١] بهمدان موطنه الأصلي أدرك ربيع عمره الخصيب جفاف الخريف، فاختطفت ربيع عمره في قرية «بهار = الربيع» وطنه الأصليّ، رحمة الله عليه وعلى جميع الأولياء.

«لقد رحل الشيخ البهاريّ سميّ خاتم الأنبياء من هذه النشأة إلى جوار النبيّ محمّد»

«ولقد توجّه إلى باب المصطفى، فصار ذاكالباب مأمناً ومنجىً ومستجاراً لمحمّد»

«وشاء «تائب» المضطرب ـ من أجل أن يخلّده التاريخ ـ أن يقدّم جواهر نثاراً لمحمّد»

«فغاص في بحار الفكر، وصاح: آهٍ، فلقد أتىٰ الخريفُ علىٰ وردةِ وربيعِ محمّد»[٢]

١ـ بهار معناها: الربيع، و في الكلام مجانسة بين اسم هذه القرية وفصل الربيع.

٢ـ هذه الخاتمة من المرحوم تائب التبريزيّ الذي قام بجمع وإعداد هذه المجموعة، وقد ضمّن الشطر الثاني من البيت الأخير تاريخ وفاة المرحوم البهاريّ بحساب الجُمّل، ونصّه: «آه خزان شد گل وبهار محمد»، ولا تخفى طرافة التناسب في اختيار لفظ «بهار = الربيع» مع لقب المرحوم البهاريّ.

رسالة الحاج السيّد أحمد الموسويّ الحائريّ

التعاليم التي وجّهها سماحة حجّة الإسلام والمسلمين، آيةِ الله في الأرضين، سيّد الفقهاء والمجتهدين، مولى العرفاء والمتكلّمين، جامع المعقول والمنقول، حاوي الفروع والأصول، سيّدنا ومولانا الحاجّ السيّد أحمد الموسويّ الحائريّ الى تلميذه المذكور

باسمه تعالى وله الحمد

«مع أنّ هذا الكلام سيَثقُل على واعِظ المدينة، فإنّه ـ ما دام يُرائي ويُنافق ـ لن يصبح مسلماً

فعربِدْ وتعلَّم الكَرَم، فليس بِذي فضلٍ حيوانٌ لا يحتسي الخمر ولا يُضحي إنساناً

ينبغي أن يغدو [المرء] جوهراً طاهراً ليستحقّ الفَيض، وإلّا فإنّ كلّ حِجارة لا تستحيل لؤلؤاً ومرجاناً

والمريض الذي يُخفي ألمه عن الطبيب، فإنّ معاناته الآلام ليست عبثاً ومَن ارتجفَ عند المعبود خوفاً على رأسه وروحه، فلن يستحقّ ـ بلا مواربة ـ أن يُضحي قُرباناً»[١]

فليواظِب بدقّة ـ إن شاء الله تعالى ـ على أداء الواجبات وترك المحرّمات، وعلَيه: بالوصيّةِ أوّلَ الصُّبح أوّلاً، وكمالِ المُراقَبةِ في تَمام النَّهارِ ثانياً، والمُحاسَبَةِ عِند إرادةِ النَّومِ ثالثاً، والتَّدارُكِ و السِّياسةِ بالمجازاةِ بالضِّدّ عند المُخالفة رابعاً، على التفصيل المعهود في كُتب الأخلاق.

و أن يواظب ـ إن شاء الله تعالى ـ في أن يكون له كلّ يوم ساعة للخلوة عن الأغيار مع اللهِ جلّ جلالُه، بالمُناجاةِ والتَّضَرُّعِ والتَّبتُّلِ والخُضوعِ و الخُشوعِ إلَيه، وينبغي أن يَجعلَ ذلك في كلِّ ليلةٍ بَين صلاةِ المغربِ و العِشاءِ، أو بعدَ العشاءِ، فيسجُدَ السَّجدةَ المَعهودةَ ويَذكُر اللهَ بعده بِما ساعدَ عَلَيه التَّوفيقُ، مع كَمالِ الحُضورِ والإقبالِ على اللهِ تعالى بكُلِّيّتِه، والإعراض عَمّا سِواه بأسرِهم ،كأنَّه لا مَوجودَ سَواهُ جَلَّ جَلالُه.

فإذا تعب من الذِّكر، فليَغُصْ في التفكير ويتأمّل: مَن أنا؟ وأين أنا؟ ومِن أين جئتُ؟ وإلى أين أذهب؟ وليغُص في التفكير من أجل

١ـ في المتن:

گرچه بر واعظ شهر این سخن آسان نشود — تا ریا ورزد وسالوس مسلمان نشود
رندی آموز وکرم کن که نه چندین هنر است — حیوانی که نوشد می وانسان نشود
کوهر پلك بباید که شود قابل فیض — ورنه هر سنگ وگلی لؤلؤ ومرجان نشود
درمندی که کند درد نهان پیش طبیب — درد او بی سببی قابل درمان نشود
هرکه در پیش بتان از سر وجان می‌لرزد — بی تکلّف تن او لایق قربان نشود

أن يجد نفسه، حتّى كأن ليس في عالم الوجود سواه.

وليسأل الباري جلّ وعلا أن يُعرّفه نفسَه، فلا أشنع ولا أقبح مِن أن لا يعرف المرءُ نفسه.

وليواظب ـ إن شاء الله تعالى ـ تمام المواظبة على التهجّد وقيام السَّحَر والاشتغال بنافلة الليل بحضور قلب وإقبال كاملَين، وعلى الاشتغال بالتعقيبات وقراءة القرآن إلى طلوع الشمس.

ولا يدَع ـ إن شاء الله ـ صباحاً ومساءً الاستغفارَ سبعين مرّة أو مائة مرّة، والتهليل «لا إله الا الله» مائة مرة، والأذكار المعهودة «سبحان الله العظيم وبحمده، أستغفر الله» عشر مرّات على الأقلّ صباحاً ومساءً. وكذلك «لا إلٰه إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ..الخ» و «رَبِّي أعوذُ بِك ... الخ» و «أشهد أن لا إلٰهَ إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ... الخ»، والاستغفارات المنقولة عن السيّد ابن طاووس رضوان الله عليه «اللهمّ أنتَ رَبِّي لا شريكَ لَكَ، أصبَحنا وأصبَحَ المُلكُ لِله» أو «أمسَينا وأمسى المُلكُ لله» والصلوات الكبيرة «اللهُمَّ صَلِّ عَلى المُصطَفى محمّدٍ والمُرتَضى عليٍّ...الخ».

وليواظب ـ إن شاء الله تعالى ـ على قراءة سورة القدر مائة مرّة في كلّ ليلة جمعة وكلّ عصر جمعة.

وأهمّ من كلّ ما ذُكِر أن يعلم في تمام الأوقات، ليلاً ونهاراً، نوماً ويقظةً، وفي كلّ الأحوال، وفي جميع الحركات والسَّكَنات، أنّ حضرة الحقّ جلّ وعلا حاضرٌ وناظر، فلا يغفل عن حضوره جلّ

سلطانه ـ لو أمكنه ذلك ـ آناً من الآناء، ولو طرفة عين، ولا ينساني ـ أنا المُسوَدّ الوجه ـ في جميع الأحوال، وأن يسأل مضمون البيت القائل:

«دمِّرني بكأسِ الخمرةِ المورَّدة التي سبق أن طوّحت بالعالَم الفاني»[١]

ويواظب ـ إن شاء الله ـ تمام المواظبة على دوام الالتفات إلى الإمام الحجّة عجّل الله فَرَجه والتوسّل به، لأنّه واسطة الفَيض في هذا العصر. وليقرأ بعد كلّ صلاة دعاءَ الغَيبة «اللهُمَّ عرِّفني نَفسَك...الخ» وسورة التوحيد ثلاث مرّات، ويهدي ذلك اليه عليه السلام؛ ولا يترك دعاء الفَرَج «اللهُمَّ عَظُمَ البَلاءُ...الخ».

وليواظب ـ إن شاء الله ـ تمام المواظبة على البقاء على طهارة ـ ما أمكن ـ وعلى النّوم على طهارة. وليقرأ بعد كلّ فريضة آية الكرسيّ، وليواظب على سجدة الشكر بعد الاستيقاظ من النوم، فإذا استيقظ لنافلة الليل نظرَ في السماء والكواكب والآفاق، وقرأ ـ بتوجّه كامل وإقبال ـ الآيات المعهودة ﴿إنّ في خَلقِ السمٰواتِ والأرض...﴾[٢]. ولا يترك دعاء الصحيفة السجّاديّة بعد صلاة الليل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في شهر الصيام ١٣٢٧

١ـ في المتن:

ما را از جام بادهٔ گلگون خراب کـن زآن پیشتر که عالم فانی شود خراب

٢ـ الآيات ١٩٠ ـ ١٩٤ من سورة آل عمران.

ومنه أيضاً (دام عزّه العالي)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

جدير بطالب حضرة الحقّ جلّ وعلا أن يُراجع ـ عند النوم ـ الأعمال والأفعال والحركات والسكنات التي صدرت منه منذ استيقاظه في الليلة السابقة إلى تلك اللحظة، وأن يحاسب نفسه بدقّة، فيندم على المعاصي والأعمال السيّئة الصادرة منه، ويتوب توبة حقيقيّة عازماً على عدم العَود في المستقبل إن شاء الله تعالى، بل عليه أن يتداركها فيما بعد، وليتذكّر أنّ «النَّوم أخو الموتِ»[١]، و أنّ ﴿الله يَتَوَفَّى ٱلأنفُسَ حِينَ مَوتِها وٱلّتي لَم تَمُتْ في مَنَامِها﴾[٢]، فيجدّد العهدَ بالإيمان والشهادتَين والعقائد الحقّة، وينام متطهّراً باتّجاه القبلة «كما يُجعل الميّتُ في قَبرِه»؛ ويبدأ نومَه باسم الله، وليكن ـ بمقتضى الآية الشريفة ـ في مقام تسليم الروح لحضرة الحبيب جلّ وعلا

وليقُل:

«هذه الرُّوحُ أودَعها الحبيبُ عِند «حافظ»، وسأرى طلعتَه يوماً فأسلّمها له»[٣]

١ـ بحار الأنوار ١٤/٣٤٣، ح١٥.

٢ـ الزمر: ٤٢.

٣ـ في المتن:

این جان عاریت که به حافظ سپرده دوست روزی رخش ببینم وتسلیم وی کنم

وليشتغل بالتوجّه إلى حضرة الحقّ جلّ وعلا وتسليم نفسه إليه، حتّى يختطفه النوم؛ وليلتفِت إليه بجميع تفاصيل وجوده من الروح والبدن، بحيث يغفل عن نفسه، فإن استغرق في نومه كان في قبضة قدرة حضرة الحقّ جلّ وعلا، فإن هو لم يُعد الروح إلى البدن فهو الموت الحقيقيّ، كما قال في الآية الشريفة ﴿فيُمسِكُ الّتي قَضَى عَلَيها المَوتَ و يُرسِلُ الأُخرى إلى أَجَلٍ مُسَمّى﴾[١].

وما أكثر الذين ناموا فلم يستيقظوا، والذين وضعوا رؤوسهم على الوسادة فلم يرفعوها إلى يوم القيامة. وعليه ـ إذاً ـ أن لا يؤمّل العودة إلى الدنيا ثانية إلّا بتفضّل جديد من حضرة الحقّ جلّ وعلا، الذي يُعيد روحه إلى بدنه. فليقُل بلسان الحال والمقال: ﴿رَبِّ ارجِعونِ * لَعَلّي أعمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكتُ﴾[٢]. فإن هو قام من نومه فليذكُر هذه النعمة: نِعمةَ إعادة الرّوح التي هي بمثابة هِبة حياة جديدة من قِبل حضرة الحقّ جلّ وعلا، وليحمد الله ويشكره على هذه المِنّة، وليسجُد سجدة الشُّكر كما أمر النبيّ ﷺ، وليلتفِت إلى أنّ الآلاف تمنّوا أن يستجيب الله لهم في ذلك، فلم يسمعوا جواباً سوى قوله ﴿كَلّا إنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها﴾[٣].

فقد شملته ـ إذاً ـ الرحمة الإلهيّة التامّة إذ أُجيب دعاؤه فأُعيد مرّة

١ـ الزمر: ٤٢.

٢ـ المؤمنون: ٩٩ و ١٠٠.

٣ـ المؤمنون: ١٠٠.

ثانية إلى الدنيا. وينبغي عليه أن يغتنم هذه الحياة الجديدة، وليعقد هِمّته كاملاً على أن يتّجر فيها بتجارة رابحة تكون له عَوناً في حياته الأبديّة عند رحيله المُقبل.

ولا يخفى على طالب الحقّ جلّ وعلا أنّ سائر الأشياء والموجودات ـ سوى حضرة الحقّ جلّ وعلا ـ في معرض الزّوال والفناء، ولهذا فهي لا تستحقّ أن تكون غايةً مطلوبة، وأنّ الموجود المُمكِن بِما هُوَ مُمكِن لا ينفعه سوى حضرة الحقّ جلّ وعلا. وأنّ كلّ ما فرضتَه ـ سواه تعالى ـ لمّا كان ممكناً، فإنّه مُحتاج إليه من جميع الجهات، وهو في قبضة قدرته جلّ وعلا.

من هنا لايستحقّ أيّ كائن غيره سبحانه ـ في الأرض أو في السماء، في الدنيا أو في الآخرة ـ أن يكون للعاقل العالِم سوى الله جلّ وعلا[١].

وإذا فرض أنّ العاقل طلب شيئاً سواه، فهو بالضرورة واليقين ليس مطلوباً بالذات بل مطلوب بالغَير، مِن قبيل طلب الدِّين والإيمان والآخرة ومحبّة الله جلّ وعلا ومعرفته والعبوديّة له وطاعته، ومن قبيل محبّة أوليائه، كمحبّة النّبيّ وأئمّة الهدى عليهم السلام وطاعتهم، ومن قبيل التسليم والرضا وسائر الأخلاق المحمودة والمَلَكات الحميدة التي أضحت محبوبة ومطلوبة ومفيدة باعتبار إضافتها إلى

١ـ انظر يا إلٰهي إلى قصور الزاهد حين يطلب منك الحور! وانظر ـ يا ربِّ ـ شعورَه حين يهرب من بابك إلى جنّتك!

حضرة الحقّ جلّ وعلا، وليس بوصفها مطلوبة بالذات وفي نفسها.

واللائق بالعاقل ـ والأمر كذلك ـ أن يصرف نظره وهمّته عن جميع ما سواه جلّ وعلا، ويحصر همّته فيه[١] بمقتضى قوله ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُم﴾[٢] وليطلبه بذاته ولا يطلب سواه.

وليقُل:

«ليس لنا ما نتمنّىٰ سواك، فأعطِ الحلوى لمَن لم يذُق طَعم المحبّة»[٣]

«لنا الحبيبُ ولكم كلُّ نِعم الفِردَوس»[٤]

ولا يعُدّنّ لنفسه غنيمة يغنمها في هذه الحياة الجديدة سوى طلبه جلّ وعلا؛ وعليه أن يكون مراقباً لله جلّ وعلا في جميع لحظاته وحركاته وسكناته، وليعلم أنّه تعالى حاضر ناظر في جميع الأوقات، حتّى يحين وقت النوم في الليلة المقبلة وهكذا.

وقد تجلّى بهذا البيان أنّ أقبح القبائح من مثل هذا المرء صرفُه همّته في المشتهيات والمستلذّات وأمور المعاش، من قبيل البطن والفَرج وغير ذلك[٥].

لذا فاللائق به أن يغفل عن هذه الأمور بالمرّة، ولا يتوجّه اليها

١ـ أُقايض الزهّاد بخمرَ الكوثر كلّه، بشرط أن لا يأخذوا هذه الكأس من يدي. (ن)

٢ـ الأنعام: ٩١.

٣ـ في المتن:

ما از تو نداريم بغير از تو تمنا حلوا به كسى ده كه محبّت نچشيده

٤ـ في المتن: دوست ما را وهمه نعمت فردوس شما را.

٥ـ قال علي (ع): «قيمة كلّ امرئ ما يُحسنه». (نهج البلاغة)

بأيّ شكل من الأشكال، فإن هو توجّه اليها قهراً ـ من باب ضعف النفس ـ فليُوكل أموره ويفوّضها إلى الحقّ جلّ وعلا؛ لأنّ سواه تعالى أعجز من أن يفعل شيئاً.

«إذا لم يُغنِك الجِدّ والجهد شيئاً، فكِل الأمر إلى الله العالم بالمصالح»[١]

وإنّما على العبد العبوديّة، أمّا الرزق وسائر الأمور ففي عهدة سيّده، وأقبح القبائح أن ينصرف العبد عن عبوديّته فيهتمّ بأموره.

فاللازم الواجب على طالب الحقّ أن يُعنى عناية تامّة بالطاعة والعبوديّة والمثول في محضره جلّ وعلا بكمال الشوق والتضرّع والتذلّل والابتهال. ولمّا كان التوجّه إلى حضرته تعالى إنّما يتمّ بالقلب، وكان حضوره وظهوره وتجلّيه جلّ جلاله في القلب، بل قلب المؤمن أتمّ وأكمل مظهر ومجلى له جلّ وعلا من بين جميع الموجودات: «لم يَسَعْني أرضِي ولا سَمائي، ووَسِعَني قَلبُ عَبدي المُؤمِن»[٢]

«لم تُطِق السماوات حَملَ الأمانة، وخرجتِ القُرعةُ باسمي أنا المجنون»[٣]

﴿إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ عَلَى السَّمٰواتِ و الأرضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أن يَحمِلنَها وأشْفَقْنَ مِنها وحَمَلَها الإنسانُ﴾[٤].

١ـ في المتن:

به جد وجهد چو كارى نمى‌رود از پيش — به كردگار رها كن كرده به مصالح خويش

٢ـ بحار الأنوار ٣٩/٥٨، ح ٦١.

٣ـ في المتن:

آسمان بار امانت نتوانست كشيد — قرعهٔ فال به نام تو ديوانه زدند

٤ـ الأحزاب ٧٢.

فليكُن كمال اهتمام الطالب بعد التوجّه إلى حضرة الحقّ جلّ وعلا (المعبّر عنه بالذِّكر) في معرفة القلب والنفس، المعبَّر عنه بالتفكُّر في النفس:

و «مَن عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ رَبَّهُ»[١]؛ ﴿وفِي أنفُسِكُم أفَلا تُبصِرُونَ﴾[٢].

و﴿سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفُسِهِم حَتّى يَتبَيَّنَ لَهُم أنَّهُ الحَقُّ﴾[٣].

ومن هنا فلا شغل لطالب الحقّ بغير القلب والمعشوق المستولي على القلب. بلى يلزمه ـ من باب المقدّمة ـ تطهير القلب وتنظيفه من الأرجاس والأنجاس (الأخلاق الرذيلة)، بل تطهيره مِن كلّ شيء سوى الحقّ جلّ وعلا، وهذا ما يُعبَّر عنه بـ«التَّخلية».

ويلزمه تزيين القلب وصقله بالطاعات والعبادات والصفات الحسنة والأخلاق الكريمة، من أجل أن يكتسب القابليّة لظهور وحضور حضرة الحق جلّ وعلا، وهو ما يُعبّر عنه بـ«التَّجلِيَة والتَّحلِيَة».

﴿إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ ويُطهِّرَكُم تَطهيراً﴾[٤].

جُعلت فداك: إن كنتَ عاملاً فهذا المقدار يكفيك، وإن لم تكن عاملاً فأطبِق القلب على الأسىٰ والألم، فذلك أفضل من أن تُبديهما

١ـ بحارالأنوار ٢/٣٢ ح٢٢.

٢ـ الذاريات: ٢١.

٣ـ فصّلت ٥٣.

٤ـ الأحزاب ٣٣.

عبثاً فلا تجد مَن يُصغي إلى شكوى قلبك، ولا مَن يحسّ بآلامك.

والأمل أن لا تنسى ـ في خلواتك بالحبيب ـ هذا العبدَ المسودّ الوجه في الرحاب الإلهيّة، وأن تنقل أشواقه لساحته المنيعة جلّ وعلا.

حرّره الجاني أحمد الموسويّ

ومنه أيضاً مدّ ظلّه العالي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أخي في الإيمان جناب السيّد فُلان، سلّمه اللّه تعالى.

اعلَم أنّ المرء إذا دخل في هذا الأمر، ثمّ كفّ عن الطلب بعد التنبّه والاستبصار وعاد إلى حاله السابق، أو جعل طلبه وسيلةً لتحصيل دنياه والعياذ باللّه، فإن حاله ستكون أسوأ بمراتب مِمّن لم يسلك قَطّ هذا الطريق[1]؛ لأنّ ذلك بمنزلة الكُفر بعد الإيمان، وسبب للخذلان الدنيويّ والخُسران الأخرويّ بمقتضى الوعيد الإلهيّ وتجربة أهل الله.

والمأمول من ذلك الجليل أن لايترك الاشتغال بعد أن عرف

١ـ ومَن يَعشُ عَن ذِكر الرّحمٰنِ نُقَيِّض له شَيطاناً فَهُوَ له قَرينٌ «ن»

«مَن هرب من خَراج السّلطان فسيغدو حمّالاً لأثقال أنقال الغول».

«لا تأمن النفس إن سُحقت تحت وطأة المَشاقّ، فالزنبور المعفّر بالتراب أكثر سمّاً وإيلاماً».

مثالب ومعائب نفسه، وأن لا يتقاعس ولا يضعف عن الالتجاء إلى الحقّ جلّ وعلا إن شاء الله تعالى، فإنّه جلّ وعلا سيرحمه عندئذ ويخلّصه ويُنجيه في الدنيا قبل الآخرة، وحاشا لكرمه أن يُخيّب مَن أمّله، أو يُقنِّط مَن رجاه.

﴿الَّذينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشرىٰ في الْحَياةِ الدُّنيا وفِي الآخِرَةِ لا تَبدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ﴾[١].

وكلّ مَن طَرَق باباً وألحّ فيالطَّرْق فُتح له في الخاتمة، «مَن دَقّ باباً وَلَجَّ وَلَجَ».

وطالب الحقّ جلّ وعلا لا يصيبه خسرانٌ بالموت: ﴿ومَن يَخرُجْ مِن بَيتِهِ مُهاجِراً إلى اللهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ يُدرِكْهُ المَوتُ فَقَد وَقَعَ أجرُهُ عَلَى اللهِ﴾[٢].

بل إنّه يصل بذلك إلى المطلوب أسرع كما لا يخفى.

أمّا لو كففتَ عن الاشتغال، وتركتَ الاستمرار في الطلب والعِياذ بالله:

فأمّا في الدنيا: فإنّ الشيطان سيتسلّط عليك بعد الرجوع والنُّكوص، فلا ينفعك حينذاك دواء، ولا يُبْرِئُ جراحَك بَلسَم.

وأمّا بعد الموت: فإنّ الحسرة والندم سيُحرقان قلبك وروحك إحراقاً دونه إحراق نارُ جهنّم ﴿نارُ اللهِ المُوقَدَة * الَّتي تَطَّلِعُ عَلَى الأفئِدَةِ *

١ـ يونس: ٦٣ و٦٤.

٢ـ النساء: ١٠٠.

إنَّها عَلَيهِم مُؤصَدَةٌ * في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ[١]

«سأُخبِرك بشرط البَلاغ، فإن شئتَ فاتَّعِظ، وإن شئت فاسأمْ وتضجَّر!»[٢]

هذه عدّة كلمات سال بها القلم بعنوان الذكرى، بمقتضى أنّ «المأمور معذور».

نرجو ذلك الجليل أن لا ينسى هذا العبد المسودّ الوجه عند الله في مظانّ استجابة الدعوات، وفي الخلوات بقاضي الحاجات! وأن لا يبخل بالترحّم على هذا المسكين المحتاج في الحياة وبعد الممات.

حرّره أحمد الموسويّ الحائريّ

في شهر رمضان المبارك ١٣٢٦ هـ

صورة التعليقة المباركة لسيّدنا و مولانا الحائري روحي لهالفداء

باسمه تعالى

«فَلْيَحيَ الحبيب، وليمُتْ كُلُّ ما سواه»[٣]

١ـ الهُمزة: ٦ـ٩.

٢ـ في المتن:

من آنچه شرط بلاغست با تو می‌گویم — تو خواه از سخنم پند گیر وخواه ملال

٣ـ في المتن:

زنده باد حضرت دوست — ومرده باد هرچه غیر اوست

«يا هُدهدَ الصَّبا أُرسِلُك إلى «سبأ»، فانظُر مِن أينَ وإلى أين أُرسِلُك!

أن يظلّ طائرٌ مثلك في مزبلة الدنيا، لذا فسأرسلك من هنا إلى عُشّ الوفاء وليس في طريق العشق مرحلة قُربٌ أو بُعد، وها أنا أراك عياناً وأرسل اليك دعائي

وأبعث اليك دعائي لك بالخير في كلّ صباح ومساء مع نسيمَي الشمال والصَّبا

فيا غائباً عن النظر يا من أصبحتَ جليسَ القلب، إنّي لَأدعو لك بالخير وأرسل اليك الثناء»[1]

جُعلتُ فداء للحقيقة التي لا تعرف عنها شيئاً. التعليم الذي عليك اتّباعه هو أن تتخلّىٰ عن الذات والاستبداد بالرأي، ولقد بلغت روحي التّراقي لكثرة ما كررتُ أنّ طريق النجاة والخلاص هو في الاستغراق في الذِّكر الإلهيّ والتفكّر في النفس ومعرفة الذات، فعندها سيكون ذِكرك وفِكرك دليلَيك.

«يامَن اسمُه دَواءٌ، وذِكرُه شِفاءٌ»[2].

١ـ في المتن:

ای هدهد صبا به (سبا) می‌فرستمت	بنگر از کجا به کجا می‌فرستمت
حیفست طائری چو تو در خاکدان دهر	زاینجا به آشیان وفا می‌فرستمت
در راه عشق مرحلهٔ قرب وبعد نیست	می‌بینمت عیان ودعا می‌فرستمت
هر صبح وشام قافله‌ای از دعای خیر	در صحبت شمال وصبا می‌فرستمت
ای غایب از نظر که شدی همنشین دل	می‌گویمت دعا وثنا می‌فرستمت

٢ـ من فقرات دعاء كميل؛ وانظر: بحار الأنوار ٩٠/٦١، ح ٣.

دَواؤُكَ فِـيكَ ولا تُـبصِر وداؤُكَ مِـنكَ ولا تَشـعرُ[١]

«أنتَ حِجابُ نفسِك، فانتفِضْ يا «حافظ» مِن نفسِك»[٢]

وجنابك مهتمّ بكلّ شيء إلّا بهذه الكلمة الواحدة، فما دام الأمر كذلك:

«أنتَ والمِسبَحةُ والمُصلّى وطريقُ الزُّهدِ والوَرَع، وأنا والخَمّارةُ والنّاقوسُ وطريقُ الدَّيرِ ومَعبدُ النّار»[٣]

أجل، قد خرج الحاجّ الميرزا فلان سلّمه الله ـ إن شاء الله ـ من الماء والطين وأمسك حَبل معرفة النفس. والميرزا فلان أيضاً منهمك كثيراً ما شاء الله، ويبدو ـ بحسب الظاهر ـ أنّ فيه أملاً في التغيير في القريب العاجل.

أجل، طلبتَ أن أكتب شيئاً في التضرّع والابتهال أيضاً، كي لا تبقى الكتابة ناقصة، ولا أدري أأضحك من هذا الكلام أم أبكي؟ وليت الكتابة تُنقشُ وتُطبع على قلبك، فلطالما طبعوها على الورق!

جُعلت فداك، إنّ هذه المسألة وسواها من مسائل الآخرة ليست بالتعلّم، بل هي شراب، فالتضرّع والابتهال ينبعثان من ألم القلب

١ـ من الشعر المنسوب الى الإمام عليّ عليه السلام.

٢ـ في المتن:

تو خود حجاب خودى حافظ از ميان برخيز

٣ـ في المتن:

تو وتسبيح ومصلّى وره زهد وورع من وميخانه وناقوس وره دير وكنشت

وحُرقته، فجِد ألماً فإنّه يوفّر لك التضرّع والابتهال.

«أقِلَّ بَحثَك عن الماءِ واظمأ، ينبع لك الماء مِن المرتفعاتِ والوِديان!»[1]

أطَرَق سمعَك مرّةً أنّ ثاكلةً مفجوعة بولدها احتاجت إلىٰ مَن يعلّمها البكاء؟! أو حاملاً احتاجت إلى مَن يعلّمها الولادة؟! أجل، إنّ، النائحة المستأجَرةَ للنياحة، والمرأة التي تريد أن تمثّل الولادة تحتاجان إلى مَن يعلّمهما. ويُعلم ممّا قلتَ ـ إضافةً الىٰ نقاط أخرىٰ ـ أنّك لم تتوجّه إلى الذِّكر والتفكّر بحيث تشتعل فيك نيران الفراق، وأنّك قصّرت ـ كذلك ـ في المجاهدة وأصابك الغرور، وإلّا فإنّ المجاهدة تُكسِب العلم الوجدانيّ بقبائح الأعمال والأفعال والسكنات والأخلاق والمَلَكات، وهي بأجمعها من دناءة مرتبة ذات النفس، التي هي جهنّم الروحانيّة حقيقةً. ومَن وَجَد نفسَه في جهنّم حقيقةً وفعلاً، فلن يحتاج إلى تعلّم التضرّع والابتهال «فَهُم والنّارُ كَمَن قَد رآها فَهُم فِيها مُعَذَّبُون»[2].

والطريف أنّك ـ مع كلّ هذا الإعراض عن التوجّه ـ قد أثرتَ دهشتي في أنّك قد أحسنتَ إدراك موضوع، هذا الموضوع هو أنّك قد أدركت جيّداً (حَمْرَنَتي) وجهلي، وأنّك قد داعبتَ قلبي برشوة كي لاتظلّ الكتابة التي لديك ناقصة! ومع هذا تقول: إنني لمأحصل على

١ـ في المتن:

آب كم جو تشنگی آور بدست　　تا بجوشد آبت از بالا وپست

٢ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٩١.

الكشف والشهود، وما فُزتُ بعلم حقائق الأشياء، فعليك أن تمكث في هذه الخيالات والأوهام!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

سؤال

قال الشيخ العطّار في«منطق الطير»:

«هو المِلك المطلق أبداً، المستغرقُ في كَمال عزّه

وهو لا يُعلى إذ ليس فوقه إلّا هو، فمتى سيُدركه عقل الوجود؟»[١]

لا أفهم معنى البيت الثاني، تفضَّلوا ببيانه لي بياناً وافياً.

جواب المرحوم الآخوند الخراسانيّ (قدّس سره)

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

لأنّه قائم بذاته، فهو لا يحتاج إلى مكان، ولذلك يعجز عقل الإنسان وخياله عن الوصول إليه، ولا يُدرك العقلُ ذاتَه، إذ لا شيء في ذلك المقام سوى ذاته المقدّسة «كانَ اللهُ ولَم يَكُن مَعَهُ شَيءٌ، والآنَ كما

١ـ في المتن:

دائماً او پادشاه مطلق است — در كمال عزّ خود مستغرق است

او بسر ناید ز خود آنجا كه اوست — كي رسد عقل وجود آنجا كه اوست

كانَ». والمقام لا يتّسع للإطالة أكثر من هذا. محمّد كاظم الخراسانيّ

جواب آخر من المرحوم السيّد أحمد الكربلائيّ (قدّس سرّه)

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

الغرض من هذا البيت هو إقامة البرهان على عدم إدراك العقل المقامَ الشامخ له جلّ وعلا بطريق اللمّ، وهو الاستدلال بالعلّة على المعلول. وقد قُرّر في محلّه أنّ وجود الأشياء في عِلم الحقّ مُقدَّم على وجودها في الخارج، بل هو من مبادئ الوجود في الخارج.

ومعلوم أنّ الوجود العلميّ للأشياء يحصل بالإضافة الإشراقيّة العِلميّة للحقّ جلّ و علا، ومعلوم أنّ عدم العلّة علّة لعدم المعلول[1].

وحاصل معنى الشعر: أنّه جلّ وعلا لا يرىٰ ولا يدرك غير ذاته في مقام عزّه الشامخ، وأنّه لا يخرج عن ذاته، وهذا هو علّة عدم الأشياء في ذلك المقام المنيع.

إذاً فأنّى للعقل ـ فضلاً عن غيره ـ الوصول إلى ذلك المقام المنيع والحال أنّه سيؤول إلى الفناء والاضمحلال قبل بلوغ ذلك المقام.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «واستَعلىٰ مُلكُكَ عُلُوّاً سَقَطَتِ الأشياءُ دُونَ بُلُوغِ أمَدِه، ولا يَبلُغُ أدنىٰ ما استَأثَرتَ بِهِ مِن ذلِكَ أقصى نَعتِ النَّاعِتينَ. ضَلَّت

١ـ أي أنّ العلّة لمّا انتفَت، فقد انتفى كذلك وجودُ المعلول المسَبَّب عن تلك العِلّة. (المعرِّب)

فِيكَ الصِّفاتُ، وتَفَسَّخَت دُونَكَ النُّعوتُ، وحارَت في كِبرِيائِكَ لَطائِفُ الأوهامِ».

فلا يُدرِكهُ ولا يَراهُ إلّا هُو، ولا يَعلَمُ ما هُوَ إلّا هُوَ».

لطيفة

والمطلب كما ذكرنا، ولكن يا إلٰهي لَبَّيكَ وسَعدَيك، إن كنتَ أنت قابضَ الروح، فمن ذا الذي لا يُسلم الروح؟ بِكَ نُريد أن نعرفك، وبك نريد أن نراك، فلا يراك سواك ولا يعرفك غيرُك.

«بِكَ عَرَفتُك وأنتَ دَلَلتَني عَلَيكَ ودَعَوتَني إلَيكَ، ولَولا أنتَ لم أدرِ ما أنتَ»[1].

الجاني أحمد الموسويّ الحائريّ

١ـ فقرات من دعاء أبي حمزة الثماليّ، بحار الأنوار ٣٩/٩٨، ح٢.

رسالة الآخُوند الحاج المولى حسين قُلي الهمدانيّ

تعليقة سطرها لأحد علماء تبريز

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين، ولعنة الله علىٰ أعدائهم أجمعين.

لا يخفى على إخوة الإيمان أن لا سبيل للقُرب من حضرة مَلِك الملوك إلّا بالالتزام بالشرع الشريف في جميع الحركات والسكنات والكلمات واللحظات وغيرها، وأنّ السَّير تبعاً للخرافات الذوقيّة، ولو أنّ الذوق جيّد في غير هذا المقام ـ كَما دَأَبَ الجُهّالُ والصُّوفِيّةُ خَذَلَهُمُ اللهُ جَلّ جَلالُه ـ لا يُوجِبُ إلّا بُعداً[1]. حتّى إنّ الشخص المؤمن بعصمة الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم، إذا التزم بعدم حَلق شاربه وبعدم تناول

١ـ خاطِب الخَطْب، دَعِ الدعوى، فما بالرُّقى ترقىٰ إلىٰ وصْلٍ رقىٰ (ن)

اللحم، فإنّ عليه أن يُدرك أنّه سيكون بعيداً عن الحضرة الأحديّة[١]. والأمر كذلك بالنسبة إلى الذِّكر بِغَيرِ ما وَرَدَ عَن السّاداتِ المَعصُومِينَ عَلَيهِمُ السَّلام.

وبِناءً عَلى هذا وجب تقديم الشَّرع الشريف، والاهتمام بما اهتمّ به الشرع الشريف؛ وما استفدتُه أنا الضعيف من العقل والنقل هو أنّ أهمّ الأشياء لطالب القُرب: الجِدُّ والسَّعي الدؤوب في تَرك المعصية.

وما لم تُنجز هذا الأمر فلن ينفعَ حالُ قلبِك ذِكرُك ولا تفكّرُك شيئاً[٢]، لأنّ المقيم في العصيان والإنكار لن تنفعه الهديّة والخدمة التي يقدّمها للسلطان. ولست أعلم سلطاناً أعظم شأناً من هذا السلطان، كما لا أعلم مُنازعةً أقبحَ مِن منازعته! «فافهَمْ مِمّا ذكرتُ أنّ طَلَبَكَ المحبّةَ الإلهيّة مَعَ كَونِكَ مُرتَكِباً للمَعصِيةِ أمرٌ فاسِدٌ جدّاً. وكَيفَ يَخفىٰ عَلَيك كَونُ المَعصيةِ سَبباً للنُّفرة، وكَونُ النّفرةِ مانعةَ الجَمعِ مع المَحبّة. وإذا تَحقَّقَ عِندَك أنّ تَركَ المعصيةِ أوّلُ الدِّينِ وآخرُه، ظاهِره وباطِنه، فبادِر إلى المُجاهَدةِ، واشتَغِل بِتَمامِ الجِدِّ إلى المُراقَبةِ، مِن أوّل قِيامِكَ مِن نَومِك في جميعِ آناتِك إلىٰ نَومِك، والزَمِ الأدَبَ في مُقَدَّسِ حَضرتِه، واعلَم أنَّك بجَميعِ أجزاءِ وُجودِك ذَرّةً ذرّة أسيرُ قُدرتِه، وراعِ حُرمةَ شَريفِ حُضورِه، واعبُده كأنَّك تَراهُ، فإن لَم تَكُن

١ـ ليس ذلك معلوماً مطلقاً. (ن)

٢ـ قال رجلٌ للباقر عليه السلام: يابن رسول الله، أنا رجلٌ مبتلىً بالنساء، فهل تأذن لي أن أزني يوماً وأصوم يوماً؟ فأخذ الباقرُ عليه السلام بعضده وقال: يا أخا العرب، أما سمعتَ قولَ الله عزّ وجلّ «إنّما يَتقبّلُ اللهُ مِن المُتّقين»؟ (ن)

تَراه فإنَّه يَراكَ[١]. والتَفِت دائِماً إلى عَظَمتِه وحَقَارتِك، ورِفعَتِه ودَناءتِك، وعِزَّتِه وذِلَّتِك، وغِناهُ وحَاجَتِك، ولا تَغفل [عن] شَناعَة غَفلَتِكَ عَنه جَلَّ جَلالُه مع التِفاتِه إلَيك دائِماً، وقُمْ بَينَ يَدَيه مَقامَ العَبدِ الذَّلِيلِ الضَّعيفِ، وتَبَصبَص تَحتَ قَدَمَيه بَصْبَصَة الكَلبِ النَّحيفِ. أوَلا يَكفِيكَ شَرَفاً وفَخراً أنَّه أذِنَ لَكَ في ذِكرِ اسمِه العَظيمِ بِلِسانِكَ الَّذي نَجَّسَتْهُ قاذُوراتُ المَعاصي ؟!».

فيا أيّها العزيز، لقد جعل هذا الكريم الرحيم لِسانك مخزناً لجَبَل النور، أي لذِكره الشريف، فإنّ من قلّة الحياء أن يُلوِّث مخزنُ السلطان بنجاسات وقاذورات الغِيبة والكذب وفحش القول والأذى وغيرها من المعاصي. وينبغي لمخزن السلطان أن يكون موضعَ العطر وماء الورد، لا موضع القُمامة. ولا شكَّ أنّك لمّا لم تهتمّ بدقّة المُراقبة، فإنّك لا تعلم ما اجترحتَ بجوارحك السبعة (أي بأُذُنِك ولِسانك وعَينك ويَدِك ورِجلِك وبَطنك وفَرْجك) ولا تعلم أيّ نيران أوقدتَ، وأيّ فسادٍ على دِينك أدخلتَ، وأيّ جراح منكرة ألحقتَ بقلبك بسيف لِسانك وسِنانه؛ وأنّك إن أنت لم تقتله بعدُ فأنتَ محظوظ. ولو شئتُ بيان تلك المفاسد لما كفاني في ذلك كتاب كامل، فماذا عساني أذكر في ورقة واحدة ؟! وكيف تنتظر مِنّي أن أكتب لك شيئاً في أحوال القلب، وأنت ـ بعدُ ـ لم تُطهِّر جوارحَك من دَنَس المعاصي ؟! «فالبِدارَ البِدارَ إلى التَّوبَةِ الصّادِقةِ، ثُمّ العَجَلَ العَجَل في الجِدّ

١ـ بحار الأنوار ٧٤/٧٧.

والمُراقَبَةِ».

والخلاصة، أنّ على طالب القُرب ـ بعد السّعي في المُراقبة ـ أن لا يخسر قيام السَّحَر ساعة أو ساعتَين على الأقلّ قبل طُلوع الفجر، فيصلّي نافلة الليل بآدابها وبحضور قلب، فإن وجد فسحة في الوقت فلينشغل بالذِّكر أو التفكّر أو المناجاة. وينبغي أن ينصرف إلى الذِّكر قدراً معيّناً من الليل، وأن لا يخلو من الحزن في جميع حالاته، فإن لم يحصل له الحزن فليحصّله بأسبابه. وليُسبّح بعد الفراغ تسبيحة سيّدة النساء عليها السلام، وليقرأ سورة التوحيد عشر مرّات، وليَقُل «لا إلهَ إلّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ ...إلى آخره» عشر مرّات، و «لا إلهَ إلّا اللهُ» مائة مرّة، وليستغفر سبعين مرّة، ثمّ يتلو قدراً من القرآن الكريم، ثمّ يقرأ دعاء الصَّباح، أعني دعاء «يا مَن دَلَعَ لِسانَ الصَّباحِ..إلى آخره»، وأن يكون دائماً على وضوء. ومن المناسب أن يُصلّي ركعتَين بعد كلّ وضوء. وليحذر كلَّ الحذر أن ينال أحداً بأذى، وليَسعَ بجِدّ في قضاء حوائج المسلمين، لا سيَّما عُلَماءهم، ولا سيّما أتقياءهم. وعلَيه أن يحترِز احترازاً تامّاً عن حضور أيّ مجلس يتوقّع حصولَ المعصية فيه. بل من المُضرّ مجالسةُ أهل الغفلة في الأمور غير المهمّة لو خَلَت مجالستهم من المعصية، فكَثرَةُ الاشتغالِ بالمُباحاتِ، والمِزاح الزّائد، واللَّغو، والاستماع إلى الأراجيفِ مِمّا يُميتُ القَلبَ.

ولا فائدة في الاشتغال بالذِّكر والتفكّر دونما مُراقبة، على الرغم من أنّه سيوجد حالة الوَجد، لأنّ تلك الحال لن تدوم. وينبغي عدم

الانخداع بالحال التي يوجدها الذِّكر الخالي من المراقبة.

لا قدرة لي، وأسألكم الدعاء جميعاً، وأن لا تنسَوا هذا الحقير الكثير التقصير والمعاصي. واقرأوا في ليالي الجمعة سورة القدر مائة مرّة، وفي عصرها مائة مرّة.

ومن جُملة الأبواب العظيمة للإيمان: الحُبّ في الله جلّ جلاله، والبُغض في الله جلّ جلاله. وقد عَقَد له في «الوسائل» وغيرِها مِن كُتب الأخبار باباً مستقلاً، فارجع إليها لعلّك تَعرِفُ عَظَمَتَهُ، وتأخُذُ لِنفسِك نَصيباً مِنه».

ولا شكّ في أنّ المحبوب الأوّل هو الذات الأقدس الكبريائيّ جلّ جلاله، بَل وكلُّ محبّةٍ لا تَرجِعُ إلى محبّتِه فليسَت بِشَيء.

ثمّ بعده ـ أي بعد هذا السلطان العظيم الشأن ـ الوجودُ المقدّسُ لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، فهو المحبوبُ الأوّل بَعدَ واجب الوجود، «ثُمّ بَعدَه[1] أميرُ المؤمنين عليه السلام، ثُمّ الأئمّةُ المعصومون، ثُمّ الأنبياءُ والملائكةُ، ثُمّ

١ـ لا أرتضي هذا التعبير الذي يفصل بين حضرة خاتم الأنبياء وحضرة صاحب الولاية بكلمة « ثمّ »، بل لو جرى التعبير بهذا النحو: « الوجود المقدّس لخاتم الأنبياء وأمير المؤمنين » لكان أفضل، إذ سيتّضح الاتّحاد بينهما بهذا التعبير إضافة الى الابتداء باسم الرسول صلى الله عليه وآله وتقديمه على أمير المؤمنين عليه السلام. وهذا التقدّم في الذِكر يوحي بالتقدّم. أمّا قولي بعدم رضاي عن ذلك التعبير، فراجعٌ الى ما فهمتُه من كلامهم، ولا يخفى هذا على من تأمّل في كلماتهم بنظر التحقيق والتدقيق.

النبيّ والوليّ إلى بعضهما، اثنان وواحد كاللسان والقلم.

لقد اتّحدت أوصاف محمّد وعليّ، فإن أنت قلتَ: يا محمّد، قلتَ: يا عليّ!

ولو قيل: إنّ الأخبار استخدمت أحياناً كلمة « ثمّ » في تعبير « ثمّ بعده »، وقُصد أنّه يتلوه زمنيّاً لا أنّه دونه في المرتبة، حيث يقول « ثمّ بعده الحسنُ ثمّ الحسينُ »، ولا خلاف في

المساواة بين الحسن المجتبى عليه السلام وسيّد الشهداء عليه السلام.

وعلى أيّة حال، فإنّ هناك اتّحاداً بين الوجودَين المباركَين لرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام لم يكن له مثيل في العالَم، أي أنّهما أوّل اثنَين كانا واحداً فصارا اثنين، ولِنعم ما قيل:

مَن أنا؟ ليلى؛ ومَن ليلى؟ أنا، نحن روحٌ حلّ في بدنَينِ.

عَلِمتْ عينُ مَن استبصر قلبُه، أنْ ليس مِن فرقٍ بيني وبين ليلى.

ويشهد على هذا المعنى ما ورد في حديث: كنّا نوراً في صُلب آدم، ثمّ انحدر ذلك النور حتّى وصل إلى عبد المطّلب، ثمّ انشقّ ذلك النور الى قسمَين: فصار أحدهما في صُلب عبد الله و الآخر في صلب أبي طالب.

وورد في دعاء صلاة صاحب العصر عليه السلام: يا محمّد يا عليّ، يا عليّ يا محمّد. والحمد لله على ما بيّناه وحقّقناه.

وفي **مجمع البحرين**، في الحديث القدسيّ:

« يا محمّد، إنّي خلقتُك وعليّاً نوراً، يعني روحاً بلا بدن، ثمّ جمعتُ روحَيكما فجعلتُهما واحدة ».

وفي عُدّة الداعي عن سلمان الفارسيّ:

يا سلمان ويا جُندب، كنتُ أنا ومحمّد نوراً ...». وفي عُدّة الداعي عن سلمان الفارسيّ قال: سمعتُ محمّداً صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: يا عبادي، أوَ ليس مَن له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلاّ أن يتحمّل عليكم بأحبّ الخلق اليكم، تقضون بها كرامةً لشفيعهم. ألا فاعلموا أنّ أكرم الخلق عليَّ وأفضلهم لديّ محمّد وأخوه عليّ ومِن بعده الأئمّة الذين هم الوسائل إليّ. ألا فليدعني مَن أهمّتْه حاجةٌ يريد نفعها، أو دهته داهيةٌ يريد كشف ضررها بمحمّد وآله الطيّبين، أقضيها له أحسن ما يقضيها مَن يستشفعون بأعزّ الخلق اليه. فقال قومٌ من المشركين والمنافقين وهم مُستهزئون به: يا أبا عبد الله، فمالك لا تقترح على الله بهم أن يجعلَك أغنى أهل المدينة! فقال سلمان: ما دعوتُ الله وسألتُه هو أجلّ وأنفع وأفضل من مُلك الدنيا بأسرها، سألتُه بهم صلّى الله عليهم أن يهبَ

الأوصياءُ، ثُمّ العُلَماءُ والأولياءُ؛ ثمّ أتقياء زمانه ولا سيّما العلماء منهم، وهكذا يتنزّل.

لكنّ عليه أن يسعىٰ ليكون صادقاً في هذه المحبّة، وهي مرتبة غير سهلة. ولو فكّرت في الأمر لأدركتَ أنّ ظهور آثار المحبّة في الحركات والسكنات دليلٌ على صدق مُدّعي هذه المحبّة، وإلّا فلا. لكنّي أظنّ أنّك لن تصل إلى كُنه هذه المحبّة ولوازمها، وليس في وسعي أكثر من هذا.

«الحاصِلُ: أنّه لا طَرِيقَ إلى القُربِ إلّا بشَرعٍ شَريفٍ في كُلِّ كُلّيٍّ وجُزئيّ».

في الموعظة الحسنة

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

يا مُلاعب الأطفال، يا حَمّال الأثقال، أيّها المحبوس في بِئر الجاه، أيّها المسموم بأفعى المال، يا غريق بحر الدنيا، ويا أسير هموم الآمال، أما سَمِعتَ وقرأتَ ﴿إنّما الحَياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهوٌ﴾[1]؟! أما سمعتَ قول ذلك الحكيم العالِم بالغَيب، المُنزّه عن الشَّين والعَيب، حين

لي لساناً ذاكراً لحمده وثنائه، وقلباً شاكراً لآلائه، وبدناً على الدواهي الداهية صابراً، وهو عزّ وجلّ قد أجابني إلى مُلتمَسي ذلك، وهو أفضل من مُلك الدنيا بحذافيرها وما اشتمل عليه من خيراتها مائة ألف مرّة.» (ن)

١ـ محمّد صلى الله عليه وآله: ٣٦.

خاطب ولَدَه العزيز «بُنَيَّ، إنّ الدُّنيا بَحرٌ عَميقٌ غَرِقَ فِيها الأكثَرُونَ»؟[١]

وأقول ـ أنا الحقير ـ: (ونَحنُ مِنهُم عَن تَحقِيق).

وإذا أردت فَهم عُمق بحر حِكمته، فتفكَّر في حقيقة لفظ «بَحر عَميق»، وانظُر كم أُدرج في هذا الصّندوق الصغير مِن جواهر الحكمة هديّةً للمتفكّرين.

يكفي أن تعلم أنّ في البحر حيتاناً وأسماكاً ومخلوقات عجيبة كثيرة، ومهالكَ غريبةً لا تُحصىٰ، وجزائرَ مَهولةً تُذيب قلب الأُسود، وجبال مُرعبة ابتلعت الكثير من الناس وأَخفَتهُم فضاعوا.

وأصل هذا البحر و منشؤه نابع مِن ظُلُمات الجهل، ومكانُه ومستقرّه في أودية أراضي قلوب أصحاب الغفلة. وما أكثرَ ما أتت أمواج آماله على سُفُن الأعمار، وأسلَمَتها لرِيح الفناء والدمار. وما أكثرَ ما خلّفَتْ جبالُ هُمومها وغُمومها من أشلاء ضحاياها! وما أكثرَ مَن أهلكتهم بسُموم أفاعي معاصيها القتّالة! وكم الذين ابتلعتهم حِيتانُ صِفاتها المذمومة! وكم أطفأت مياهُ حبّها الأُجاج المُرّة من عُيون وتركتها دون نور! ومَن غرق في هذا البحر ثمّ أخرج رأسه فإنّما يُخرجه في ورطة نار الجحيم، وسيبقىٰ في العذاب الاليم.

أُناس هذا البحر نسناس[٢] وسِباحتهم في هذا البحر في ساحة

١ـ من وصيّة لقمان الحكيم لابنه، بحار الأنوار ٦/٢٥٠، ح٨٧، وفيها: «... قد غرق فيها عالم كثير».

٢ـ أي قرود في صورة بَشَر.

الوسواس، وقطّاع الطريق فيه إبليس وجنودُه، وأسلحتُهم في الحرب الخدعة والتلبيس. إن سألتَ عن عُمق هذا البحر، قلتُ: لا نهاية له؛ فإن لم تصدّق، فاسأل الغوّاصين فيه، يعني أهل الدنيا من الأوّلين والآخرين. انظر تَرَ أنّ الجميع غرقوا فيه، وأنّ أحداً لم يبلغ قعرَه. وإذا أردتَ مزيداً من الفهم فانظُر إلى حال نفسِك الفاسدة، تعرف أنّك لا تكفّ عن طلب الازدياد مهما كانت ثروتك، وأنّ حرصك وجشعك لا يقفان عند حدّ.

فيا سيّدي: كيف دمّرَت هذه الدُّنيا ساكنيها فأضحَوا بائسين تُعَساء، وغدت قلوبهم المخلوقة للمحبّة والمعرفة إسطبلاً للخُيول والبِغال، وتعفّنت جوارحهم من القاذورات، ولم تعهد أفئدتُهم الخُضوع والخشوع لحظة، ولم تذق ذرّةً من حَلاوة الطاعة. فلا أثر للتوبة في أعماقهم، ولا خبر للتفكّر في الله جلّ جلاله في أوهام تفكّراتهم النحسة، فهم يمزّقون أعراضَ الناس وأموالهم وعصمتهم ليلاً ونهاراً بسيوف ألسنتهم وأسنّتها. قلوبهم خالية من الذِّكر والتفكّر، ومليئة بالحيلة والمَكر. قد قيّدوا يدَ العقل وأطلقوا يد الهوى. فكم أصابت أيديهم كبد الدِّين بجراح عميقة! وكم ألحقوا بالشرع الشريف من المحن!، لقد خلعوا زيّ المسلمين وارتدوا رِداء الغربيّين، واستبدلوا بأطعمة الإسلام وأشربته سمَّ النّصارى والدهريّين وزقّومهم، وهجروا تكاليف الشّرع وسَلَكوا عادات الكفر، وأقاموا في بلادهم سُوقَ الكفر والشرك وعَمروها، وخرّبوا ـ في المقابل ـ سوق

إسلامهم ودمّروها، فوافضيحتاه! جنود الكفر منصورٌ مسرور في بلادنا ووجودنا، وعسكر الإسلام مقتولون مأسورون!!

ليس لنا في عاقبة أمرنا فِكرة، ولا في السُّنن الإلهيّة الجارية في الأمم الماضية عِبرة. قد اتَّخَذْنا قصّةَ الأبابيل المروّعة مِزاحاً، وقصّة فِرعَون وقابيل هَزلاً. وما زالت الأرض التي ابتلعت قارون وكنوزه موجودة معنا ـ نحن المعوجّين الذاهلين ـ وما زالت تلك الرياح التي عُوقِب بها قوم هود مطيعة لذلك القادر الحليم. إن أنت تفلّتَّ مِن طاعة أوامر ذاك السلطان العظيم الشأن، وتجرّأتَ بالمعصية والتمرّد، فإنّ التراب والماء والريح والهواء والرمل والحصى والحجر والمدر كلّها مطيعة ومُنقادة له. بلى غرّهم صبرُه وحِلمُه فغفلوا عن عظيم حكومته، وخلعوا لباس الحياء، وخطَوا بأقدام الجرأة، وارتكبوا المعاصي في مَحضَر عزّه وجلاله.

أما ترى كيف يجري حُكمُه المتقَن في السماوات والأرضين؟! أما سمعتَ أنّ السماوات ستُنشر في يوم النشور؟!

بلى: ماذا أقول عن شرّ ذلك اليوم الغاصّ بالحسرات، وعن حرقة قلوب الخائفين الذائبة من هَوله؟! وكيف لا تحترق قلوبهم وتذوب من يومٍ أرضُه نارٌ حارقة، وصراطُه أحدّ من الشَّفرة القاطعة. العقول فيه طائرة، والدموع ساكبة. نجومُه منتثرة، وناسُه كجَرادٍ مُنتشِر. هَولُه عظيم، والأنبياء في اضطراب وخَوف،والأخيار في دَهشة وذُعر، والأبرار مذهولون، والشدائد كثيرة، والمِحَنُ لا تُعَدّ ولا

تُحصى. الشمس تقترب حتّى تغدو فوق الرؤوس، وتتّقد الأرض حتى تضحي ككُورِ الحَدّاد، وتغرق الأبدان في العَرَق، وتشتعل اللحوم والعظام وتتّقد، قد أحاطت بهم جهنّم فلا سبيل الى الفرار، وندم الظالم، وبكى العادل، وتطايرت الكُتُب عن اليمين وعن الشمال، والناس في دهشة وذهول وانتظار. الملائكة الغلاظ الشِّداد يتردّدون ذهاباً وإياباً، والعقوبة الإلهيّة على العصاة والمرَدَة في تشدّد. مِن أسماء ذلك اليوم «يومُ الحساب»، ومن أسمائه «يومُ التنادِ». يُنادي المنادي من جانب بالسرور والبشارة «يا أهلَ الجنة، اركَبوا»، وينادي مِن جانب آخر «يا أهل النار، اخسَأوا». يومئذٍ يُخلَع على البعض خِلَع الكرامة، ويُسحَب الآخرون سحباً. طائفة تُمالئ بالشراب الطَّهور، وطائفة تتقطّع أكبادُهم بالضَّريع والزَّقّوم.

وأنا في حيرة لا أدري عن أيّ شيء منه أتحدّث، أعن السُّخط والغضب فيه، أم عن المحبّة واللُّطف؟ أهلُ غضبه التُّرابيّون، وأهلُ محبّته الأفلاكيّون، أي الذين بلغوا بأنفسهم إلى الأفلاك النوريّة، ولم يحفِلوا أبداً بهذه الافلاك، فأضحت أجسامهم أرواحاً، واستقرّت أرواحهم في عرش الرحمٰن. جُعِلتُ فداءً لتلك القلوب التي يسطع فيها نور الله جلّ جلاله، والتي لا حدود لجلالة مرتبتها. أولئكم الذين قطعوا أنفسهم عن هذا العالَم، واتّصلوا بعالَم الأنوار، وتنوّروا بأنوار المعرفة، وارتَدوا خِلعة المحبّة. قد رفضوا بزُهدهم الدُّنيا، وأثمر لهم توكّلُهم التّوحيد. فهم الذين فرّوا مِن مخلوقات العالَم، وسكنوا في

مـقام القُـرب. فِكـرهم نـور، وذِكـرهم نـور، وبـاطنهم وظـاهرهم وأجسامهم وأرواحهم وخيالهم وعقولهم وقلوبهم كلّها نور. فهُم نور غارق في بحر النور.

كـفى، كـفى، كـيف أصـف ـ أنـا المـدنَّس ـ أولئك الطّـاهرين وأمدحهم ؟! فعلى أمثالنا أن يبقى في تدبير ترك المعصية. ولو كنّا قد أحكمنا أصل الايمان لما خدعتنا الدنيا كلّ هذه الخديعة، فأعـمّتنا وأصمّتنا، فكيف تؤثّر أمثال هذه المواعظ في قلوبنا القاسية ؟! إنّ ما أعلمه هو أنّ على المريض أن يُراجع الطـبيب ويُـطيعه، فـهذا هـو تكليفه، أمّا تكليف الطبيب فمعالجة الحالة، لكنْ.. لا المريض مطيع ولا الطبيب حاذق، ولو كان المريض مطيعاً لمولاه، فلا شك أنّ ربّ العالَمين سيهديه إلى طبيب حاذق، أمّا لو لم يكن مطيعاً فـالسُّكوت معه أولىٰ.

والسلام.

ومن كلامه (أعلَى اللهُ مقامَه)

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

إلٰهي، قَد أصَبتُ من الذُّنوبِ ما قَد عَرَفتَ، و أسرَفتُ عَلى نَفسِي بِما قَـد عَلِمتَ، فاجعَلنِي عَبداً: إمّا طائِعاً فأكرَمتَه، وإمّا عاصِياً فرَحِمتَه.

إلٰهي، كأنّي بِنَفسِي قَد أُضجِعَت في حُفرَتِها وانصَرَف عَنهَا المُشَيِّعون مِن

جِيرتِها، وبَكى الغَريبُ علَيها لِغُربَتِها، وجَادَ بِالدُّموعِ عَـلَيها المُشـفِقونَ مِـن عَشِيرَتِها، ونَادَاها مِن شَفيرِ القَبرِ ذَوو مَوَدَّتِها، ورَحِمَها المُساوي في الحَـياةِ عِندَ صَرعَتِها، ولَم يَخفَ عَلَى النّاظِرينَ إلَيها عِندَ ذٰلك ضُرُّ فاقَتِها، ولا عَلىٰ مَن رَآها قَد تَوَسَّدَتِ الثَّرى عَجزُ حِيلَتِها. فقُلتَ: مَلائكَتي، فَريدٌ نَأى عَنهُ الأقرَبُونَ، ووَحِيدٌ حَفاهُ (جفاه) الأهلُونَ، نَزَلَ بي قَريباً، وأَصبَحَ في اللَّحدِ غَريباً، وقَد كانَ لي في دارِ الدُّنيا داعِياً، ولِنَظَري إلَيهِ في هذا اليَومِ راجِياً، فتُحسِن عِـندَ ذٰلك ضِيافَتي، وتكون أرحَمَ لي مِن أهلِي وقَرابَتي.

إلٰهي لا تَغضَب عَلَيَّ فلَستُ أقوى علىٰ غضبكْ، ولا تسخط عليّ فـلستُ أقوم بسخطك.

إلٰهي أللِنَّارِ رَبَّتني أُمّي؟ فَلَيتَها لَم تُرَبِّني، أم لِلشَّقاءِ وَلَدَتني؟ فلَيتَها لَـم تَلِدنِي.

ومن كلامه أعلَى اللهُ مقامَه

يا عَبد الوهّاب، كَيفَ غَفَلتَ عَمّا وَهَبَكَ رَبُّنا الأعظَمُ جَلَّ جَلالُه مِن النِّـعَمِ العِظامِ والآلاءِ الجِسامِ؟! ما أدري أَيّاً مِنها أكتُبها بِقَلَمي العاجِزِ، والحالُ أنَّه لَو كانتِ الأشجارُ والنَّباتاتُ كُلُّها أقلاماً، والملائكَةُ والثَّـقلانِ كُـتّاباً، والبِـحارُ مِداداً، إلى أن تفنىٰ الكُتّاب وأقلامُهُم ومِدادُهُم، لَما كَتَبوا قَطرةً مِن عَـجائبِ نِعمَتِهِ، وذَرّةً مِن غَرائبِ آلائِه. سُبحانَكَ لَو بَذَلنَا في طَاعَتِكَ كُلَّ أعمارِنا[1]، ومَا

١ـ في المتن: «عُمرِنا».

غَفَلنا عَنكَ طَرفَةَ عَيْنٍ، لَكُنّا مُقَصِّرينَ في أداءِ بَعضِ حُقوقِكَ. كَيفَ وقَد جَلّت مُصيبَتُنا وعَظُمَت رَزِيَّتُنا، وقَد أفنَينا أعمارَنا في الغَفلَةِ عَنكَ، مَعَ أنَّه كانَ يَنبَغي أن لا نَغفُلَ عَن عَظَمةِ حُضورِك وجَلالَةِ سُلطانِك طَرفَةَ عَينٍ!

ما أدري بِأيِّ عَقلٍ أعرَضنا عَن مُلازَمةِ عَظَمَتِكَ المُنيفةِ و حَضرَتِك الشَّريفةِ، وقَد مَلأَتْ عَظَمَتُكَ السَّماواتِ والأرَضينَ، وأَطارَت عُقولَ الأنبِياءِ والمُرسَلينَ، وزَعزَعَت قُلوبَ العارِفينَ. فَيا حَسرَتاهُ عَلىٰ ما فاتَنا مِن فَوائِدِ مُراقَبَتِكَ وفَوائِدِ مَراحِمِكَ ومَكارِمِكَ. وا مُصيبَتاهُ أنّا زِدنا عَلى غَفلَتِنا وتَجَرُّئنا في حَضرَتِك العَظيمةِ ارتِكابَ المَعاصي المُهلِكةِ و الجَرائمِ المُوبِقَةِ، وسَوَّدنا وُجوهَنَا وصَفحَةَ صَحيفَةِ أعمالِنا، وآذَينا بآثامِنا ونَتنِ أعمالِنا عُمّالَك الكاتِبينَ لأعمالِنا القَبيحَةِ. وكَم مِن سِهامِ خَطيئةٍ مِنّا شَقّت كَبِدَ الدِّينِ! وكَم مِن سِنانِ ألسِنَتِنا المَحدُودةِ بالغِيبةِ والكِذبِ والفُحشِ واللَّعنِ والاستِهزاءِ والمُخاصَمةِ والمُجادَلةِ والافتِراءِ والإيذاءِ قَد جَرَحت قَلبَ الشَّرعِ الشَّريفِ! يَعني قُلوبَ الأنبياءِ والمُرسَلينَ، وقَد أخرَجنا قُلوبَنا عَن قابِليّةِ إدراكِ شَرَفِ مُراقَبَتِكَ ولُطفِ إطاعَتِكَ، ومُذ أشغَلنا ألسِنَتَنا بِذِكرِكَ أعرَضنا عَنك بِقُلوبِنا الجَافِيَةِ الجَائفة، ووَجَّهناها إلىٰ آمالِنا المُزَخرَفةِ و شَهَواتِنا المُكدِّرَةِ، مِن الجاهِ والاعتبارِ والدِّرهَمِ والدِّينارِ والأثاثِ والعِقارِ.

ولَو ظَهَرَت قَبائِحُ ما ذَكَرناهُ في قُلوبِنا حالَ الصَّلاةِ، وأُخرِجَت صَحيفةٌ مُشتمِلَةٌ عَلى بعضِ ما مَرّ عَلىٰ أفئدَتِنا فيها، لَرَأينا أمراً فَظيعاً و خَطباً شَنيعاً وشَيئاً مُنكَراً قَبيحاً، ولَما وَجَدتَ مِن الصَّلاةِ حَرفاً، ومِن الحُضورِ طَرفاً. فإذا كانَ هذا حالُ صَلواتِنا ـ وهِي مِن أعظمِ ما نَرجو مِنه التَّقَرُّبَ إلَيك ـ فَوَاسَوأتاهُ مِن

سائرِ قَبائح ما أجرَمنا، وشَنائع ما ارتَكَبناه! فبِأيِّ وَجهٍ نَلقاكَ، وبِأيِّ بَدَنٍ نَقِفُ بَينَ يدَيك، وبِأيّ لِسانٍ نُجاوِبُكَ يومَ تَرتَعِدُ فيه فَرائِصُ النَّبِيِّينَ، وتَزعزَعُ فيهِ أركانُ السّماواتِ والأرَضينَ، وتَدهَشُ فيه قُلوبُ العارِفينَ، وتَضطَرِبُ فيهِ عُقولُ المُقَرَّبينَ، وتَخرسُ فيه ألسِنةُ الفُصَحاءِ، وتَتشوَّشُ فيه أذهانُ[1] البُلَغاءِ، وتَتَزلزَلُ الأرضُ وتَنشَقُّ السَّماءُ، وتَعظُمُ حَرارةُ الهَواءِ، ويَكثُرُ البَلاءُ. يَومَ تَعُمُّ البَلوى الأخيارَ والأشرارَ، ويَطولُ فيه الانتظارُ، ويَتشوَّشُ نِظامُ المَوجوداتِ، وتَتّصل الصَّيحَةُ بالصَّيحةِ، والرَّنَّةُ بالرَّنّةِ، فَوَاحِدٌ يُنادي: وَا وَيلَتاهُ! وآخرُ يُنادي: وا عَطَشاهُ! وآخرُ: وا مُصَيبَتاهُ! وآخرُ: واغَوثاهُ! وآخرُ: وا ذُلّاه!

يَومَ يَقومُ النّاسُ لِرَبِّ العالَمينَ، وقَد أحاطَ بالناسِ خَدَمُهُ وحَشَمُه، أي مَلائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ عابِسينَ وُجوهَهُم، عَلى هَيئةٍ مُنكَرةٍ مُوحِشةٍ، وأجسامٍ كَبيرةٍ كَبيرةٍ، وبأيدِيهم ضَرائبُ مِن النّارِ، والنّاسُ بَينَ أيديهم في أسرِ الذِّلّةِ والمَهانَةِ، تَقودُهم إلى الحِسابِ، فما أدري كَيف حالُنا بَينَ يَدَيكَ، وأنّى لَنا الطّاقةُ لِنَحمِلَ هذه المَشاقَّ الّتي تَعجزُ عَن بَعضِها الجِبالُ الرّاسياتُ، بَل الأرضونَ والسّماواتُ؟! وأيُّ مُناسَبَةٍ بَينَ اللحمِ والعَظمِ وبَين تلك النّارِ؟ ومَن الّذي يُطيقُ السَّلاسِلَ والأغلالَ والحَيّاتِ الّتي كالجِبالِ؟! وأيُّ جِسمٍ يَقومُ لِشُربِ الزَّقّومِ والضَّريعِ؟! ومَن الّذي يُغيثُنا في هذه البَلايا والمِحَنِ، ويُنجِينا من هذه الشَّدائدِ والفِتَنِ؟! وأنتَ غِياثُ المُستغيثينَ وأرحمُ الرّاحِمينَ، فَهَل تُوَفِّقنا لِتَوبَةٍ

١ـ في المتن: «ذهنُ».

صادقةٍ مَقبولةٍ، لَعَلّنا بِعَونِك نُدركُ بعضَ ما فاتَنا باستِكانَةٍ وخُضوعٍ وخُشوعٍ ورُكوعٍ وسُجودٍ. وَيلٌ لَنا إن تَرَكتَنا عَلى هذهِ الحالةِ الكَثيفةِ والأوصافِ المُهلِكةِ والأفعالِ المَشؤومةِ[1] والقُلوبِ القاسِيَةِ والأمراضِ الصَّعبةِ المُرديَةِ! فالغَوثَ الغَوثَ، الغَوثَ، يا كَريمُ.

فَيا إخواني انتَبِهوا من نَومِكم، وتَفكَّروا في عاقِبتِكُم، واعلَمُوا أنّه لا مَفَرَّ عن المُجاهَدَةِ. و لا يَغُرَّنَّكُم شَبابُكُم ودارُكم ومَتاعُكم، فإنَّها وَبالٌ، و عاقِبتُها نَكالٌ؛ فَبادِروا بالتَّوبةِ قَبلَ الحَوبةِ، والبُكاءِ والنِّياحِ قَبلَ انقِضاءِ المُدّةِ، ولْيَكُن هادِمُ اللَّذّاتِ ـ يعني المَوتَ ـ بَينَ أيديكم، وأكثِروا التَّفكُّرَ فيهِ في اللَّيالي المُظلِمةِ، ولا تَظلِمُوا أنفُسَكُم، واقرأوا:

﴿فَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ خَيراً يَرَه * وَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[2]

ومن كلامه رضوان الله عليه

بسم الله تعالى

يا سَلمانُ، أيّها البعيد عن الصّديق والصاحِب، والمحشورُ مع الأجانب، والمستأنِس بلَحنِ الغُرور، والمستوحش من دار السُّرور، أنصِت جيّداً كَي أملأَكَ بالحماسة، وارشِف هذه الأدوية الإلهيّة لتمنحك العقل والفطنة. يكفيك أن تعلم أنّ النبيّ سليمان ـ صلّى الله جلّ

١ـ في المتن: «الميشومة».

٢ـ الزلزلة: ٧ و٨.

جلاله على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ لم يتمكّن من تسخير الإنس والجنّ قبلَ أن يَهزم في وجودِه الشريف العسكرَ المشؤوم، المتشكّل من نفسه (الأمّارة) ومن إبليس؛ وأنّ يده ما ازدانت بالخاتم الإلهيّ حتّى سلَّط جُندَ العقل والمَلَك على حِصن القلب الحصين. أمّا أنت فلا تعلم أيّ مفاسد أوقعَتْها في قلبِك عساكرُ الشيطان الملعونة، ولا تدري أيّ فِتَن واضطرابات أثارت في مملكةِ قلبك، فانظر كيف وطَّدَت حُبَّ الدنيا الذي هو من أقبح أركانها، وتأمّل الصرخات والاستغاثات التي تتعالى من دِين الناس من جرّاء هذا القانون المشؤوم.

إنّهم يأمرونك حيناً بطلب الجاه ليُلقوا بك في الجُبّ، وبجمع المال حيناً لتلدغك الأفاعي. ولقد صوّروا لك الجاه أمراً مرغوباً، والمالَ أمراً محبوباً، لكنّك لا تُدرك المرارة التي سيتجرّعها طالبُ الجاه في الدنيا والآخرة، ولا النفاقَ والتزوير اللذَين سيُبتلى بهما بسببه؛ فالغوثَ مِن البيوت التي تُهدم بحُكمه النحس، والغَوث مِن الأموال التي تُنهَب بأمره المشؤوم. وما أكثر قلوب المظلومين التي أصابها بالانكسار، والأُسَر التي تصدّعت عُراها بلدغ ظُلمه!

لا يدور لسانه إلّا بالأذى وفُحش القول والغِيبة والكذب ومدح النفس والاستهزاء وقطع الوعد واصدار الوعيد وإيذاء المسلمين والناس[1].

١ـ سقط باقي هذا الكلام.

ومن كلامه قدّس الله سرّه

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على خيرِ خلقه محمّدٍ وآله الطاهرين.

وبعد، فلا يخفى على طالبي‌النّجاة والسعادة الأبديّة أنّ النّاجين طائفتان: المقرّبون، وأصحابُ اليمين.

فلو عمل طالبُ السعادة بتكليف أصحاب اليمين ـ وهو تَركِ المعصية ـ لصار منهم. أمّا المقرّبون فلَهم ـ إضافةً إلى ذلك ـ تكليفٌ آخر لا نرمي إلى بيانه في هذا المجال.

إنّ الإنسان إذا أدرك ضَعَتَه وحقارته أوّلاً، ثمّ أدرك عظمة مَلِك المُلوك وعظمته، فإنّه سيفهم أنّ التجرّؤ والعصيان في محضر مثل هذا السلطان العظيم الشأن أمرٌ في منتهى الشّناعة والقُبح والشقاوة؛ لأنّه غفلة عن قُدرة قادر وسلطان عظيم الشأن، إذا شاء فَنِيَت جميع الموجودات بمحض إرادته وغدت هباءً منثوراً.

وماتراه من سهولة المعصية، عائد إلى جُملة أمور تذكر بعضاً منها:

أوّلاً: أنّك توجّهتَ بكُلّ وجودك إلى الدُّنيا الدنيّة، فغفلتَ بذلك تمام الغفلة عن النفع والضرر الأخرويّ؛ فصرتَ لا تَعي المنافع الجمّة والسعادة الأبديّة التي خَسِرتَها، والأضرار الفادحة التي لَحِقت بك.

وثانياً: أنّك غير مدرك عجزَك وحاجتكَ وفقرك، غير واعٍ أنّ بدنك ـ بكلّ ذرّة منه ـ قائم بحفظ عمّاله من الملائكة له.

وثالثاً: أنّك لا تعلم بالنِّعم غير المتناهية التي مَنّ بها على كلّ جزء من أجزاء بدنك في كلّ آنٍ من الآناء، تلك النّعم التي لا تُعَدّ بالبَنان، ولا تُحصر بالبيان، فكيف ـ والحال هذه ـ تصرف نِعمتَه في معصيته؟!

ورابعاً: كيف تغفل عن عقابه الصارم؟ ألا تعلم أنّ ما بَين الموت والقيامة ألف ألم وحُزن، أيسرُها نَزعُ الرّوح ومرارة الاحتضار، فلِمَ تغفل عن شدائد القيامة؟ الغوثَ مِن يوم يذعر فيه المقرّبون ويضطربون؛ ولم لا يكون كذلك، إذا كانت أرضُه وهواؤه ناراً متأجّجة، وإذا أحاطت جهنّمُ فيه بالخلائق، وانهمك فيه الملائكة الغِلاظُ الشِداد بغلّ المجرمين وتقييدهم. يومٌ يفزع فيه الصّالحون ويضطربون، ويُعذّب فيه الطالحون ويؤذَون. الشمس تلتهب فوق الرؤوس، والأرض أحمىٰ من فرن الحدّاد. فخطرُ الحِساب من جانب، وفَزَعُ الصراط من جانب، والأمر لم يصل بعدُ إلى جهنّم. أفعَن نارها وسلاسلها وأغلالها أتحدّث، أم عن أفاعيها وعقاربها؟

والخلاصة، أنّ هذا بأجمعه ما هو إلّا مختصر، وهذه الفقرات التي ذكرناها لا تمثّل إلّا واحداً من ألف. وجميع وصاياي لك ـ أنا البائس ـ تتلخّص في الاهتمام بترك المعصية. فإن أنت قمتَ بهذه الخدمة، فإنّها سترفعك في نهاية المطاف إلى مقام رفيع. وعليك بطبيعة الحال أن لا تقصّر في اجتناب المعصية؛ فإن بَدَرَت منك معصية ـ لا سمح

الله ـ فتُبْ سريعاً وصَلِّ ركعتَين واستغفر بعدهما سبعين مرّة، ثمّ اسجُد واطلُب العفو من الربّ الكريم، وأأمَل أنّه سيعفو.

لقد دُوِّنت المعاصي الكبيرة في بعض الرسائل العمليّة، فاحفَظها واجتنبها، وحَذارِ من الغِيبة والكذب وإيذاء الآخرين. وعليك أن تستيقظ قبل الصبح بساعة على الأقلّ، ونَحِّز الى السجود. ويكفيك أن تعمل بما ذُكر في منهاج النجاة للمرحوم المولى محسن الفيض ـ رضوان الله جلّ جلاله عليه ـ في عمل الليل والنهار. واجتهد أن لا ينحصر عملُك وذِكرُك بلسانك، وأن يقترنا بحضور القلب؛ لأنّ العمل بدون حضور لا يُصلح القلب على الرغم من ثوابه القليل. وعليك بالتأكيد أن تفرّ من الأكل الحرام، وأن لا تتناول إلّا حلالاً. ولتُقِلَّ طعامك، أي أن تمتنع عمّا زاد على حاجة بُنيتك، ولا تأكل كثيراً فتثقل عن العمل، ولا قليلاً فتضعف عن العبادة. وصُم ما أمكنك، بشرط أن لا تعوّض لَيلاً ما فاتك أكلُه بالنهار.

والحاصل، أنّ الطعام بقدر حاجة البدن ممدوح، والزيادة والقلّة كلاهما مذموم. واشرع في صلاتك بقلبٍ منزّه عن الغِلّ والحسد والغشّ للمسلمين.

وينبغي أن يكون لباسك وبِساطك ومكان صلاتك من المباح. ومع أنّ تنجّس ما عدا موضع الجبهة بنجاسة غير متعدّية (وهي التي لا تسري إلى غيرها بسبب كَونها يابسة أو لقلّة رطوبتها) لا يُبطل الصلاة، إلّا أنّ عدمها أفضل.

وينبغي أن تقف حال الصلاة وقوفَ العبد بين يدَي مولاه الجليل، برأس منكّس وقلبٍ خاضع خاشع، وأن تستغفر بعد الصلاة سبعين مرّة، ثمّ تكرّر كلمة التوحيد الطيّبة مائة مرّة، ثمّ تقرأ دعاء الصباح المشهور. ولا تترك تسبيح سيّدة النساء بعد الفريضة، ولا تلاوة قَدْرٍ من القرآن يوميّاً ـ ولو جزء واحد على الأقلّ ـ تتلوه باحترام وخضوع وخشوع، ولا تتحدّث أثناء التلاوة إلّا للضرورة، فإن أوَيتَ إلى فراشك فاقرأ الشهادتَين وآية الكرسيّ، ثمّ اقرأ الفاتحة مرّةً، وسورة التوحيد أربع مرّات، وسورة القَدْر خمس عشرة مرّة، واقرأ آية «شَهِدَ اللهُ»[1]، والاستغفار مناسب أيضاً. وإن أمكنك أن تقرأ أحياناً سورة التوحيد مائة مرّة كان ذلك جيّداً. ولا تغفل عن ذِكر الموت، ونَم على جهة اليمين ويدُك اليمنى تحت خدّك الأيمن وأنت تذكر الله تعالى، ولا تغفل عن الوصيّة، وكرّر الذِّكر المبارك ﴿لا إلٰه الّا أنتَ سُبحانكَ إنّي كنتُ من الظّالِمين﴾[2] ما أمكنك وفي كلّ وقت. واقرأ كلّ ليلة وفي ليلة الجمعة مائة مرّة سورة القَدْر المباركة ، ولا تترك دعاء كُميل ليلة الجمعة، وكذلك المناجاة الخمسة عشر، ما ناسب حالك منها، لاسيّما مناجاة المساكين والتائبين والمُفتقرين والمُريدين والمُتوسّلين والمُعتصمين، التي ينبغي أن تزيد في قراءتها، فإنّ كلّاً من

١ـ شَهِدَ اللهُ أنّه لا إلٰهَ إلّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ و أُلو العِلمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إلٰـهَ إلّا هـوَ الْـعَزِيزُ الْحَكِيمُ.(آل عمران: ١٨)

٢ـ الأنبياء: ٨٧.

أدعية الصحيفة السجّاديّة يناسب حالاً معيّنة. وكرِّر في العصر الاستغفار سبعين مرّة، وذِكر سُبْحانَ ربّيَ العظيمِ و سُبحان ربّيَ الأعلى مرّةً، واستغفر بالاستغفارات الخاصّة، ولا تنسَ السّجدة الطويلة، وطوِّل قُنوتَك. وهذه الأمور بأجمعها مناسبة مع تَرك المعاصي.

والسلامُ علىٰ مَن اتّبع الهُدىٰ

رسالة الحاج آقا محمّد البِيدآباديّ

بسم‌الله الرحمٰن الرحيم

يا أخي وحبيبي[1]، إن كنتَ عبدَ الله فارفَع هِمّتَك، وأوكِلْ إلَيه أمرَ ما يُهمّك، واعلُ بهمّتك ما استطعتَ، لأنّ المرء يطير بهمّته كما يطير الطَّيرُ بجناحَيه.

«تسترقّني هِمّة مَن هو متحرِّر تحتَ هذه السماءِ الزرقاءِ من كلّ ألوان التعلّقات الدنيويّة»[2]

* * *

«إذا عُرض علَيك في هذا السبيل شيءٌ فأعرضتَ عنه، فستُعوَّض

١ـ متن المكتوب الذي سطره المرحوم البيدآباديّ أعلى الله مقامه جواباً عن رسالة السيّد حسين القزوينيّ.

٢ـ في المتن:

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ز هر آنچه رنگ تعلق پذيرد آزاد است

بأفضل منه»[١]

أي أنّ علَيك أن تُفرغ القلب من الأغيار من خلال التأمّلات الصحيحة والإكثار من ذِكر الموت.

«عندك قلب واحد، فليكُنْ لك حبيبٌ واحد»[٢]

﴿أليسَ اللهُ بكافٍ عَبدَه﴾[٣]

﴿وما جَعلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِن قَلبَينِ في جَوفِهِ﴾[٤]

«إذا تعرّفتَ علَيه في النَّشأتَين، فما الذي ساءك منه لتطلب منه سواه؟»[٥]

* * *

«إلٰهي يطلب الزاهدُ منك حُوراً فانظُر قُصورَه، ويفرّ من بابِك يـاربّ إلى جنّتِك، فانظر إلى إدراكِه وشعوره»[٦]

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما عَبَدتُكَ طَمَعاً في جَنَّتِكَ ولا خَوفاً

١ـ في المتن:

هرچه در اين راه نشانت دادند — گر بشتابی به از آنت دهند

٢ـ في المتن:

يك دل داری — بس است يك دوست تو را

٣ـ الزمر: ٣٦.

٤ـ الأحزاب: ٤.

٥ـ في المتن:

در دو عالم گر تو آگاهی از او — زو چه بد ديدی كه درخواهی از او

٦ـ في المتن:

خدايا زاهد از تو حور می‌خواهد قصورش بين — به جنت می‌گريزد از درت يا رب شعورش بين

مِن نارِك، بَل وَجَدتُك أهلاً لِذلك فَعَبَدتُكَ»[١].

«أفرَغْنا القَلبَ مِن العالَمَين ـ دُنيا وآخِرة ـ لِيَكون مَحلاً لَكَ وحدَك»[٢]

وتحصيل هذا الأمر لا يتمّ بالهوس واللامبالاة، فقد أبى الله أن يُجري الأمور إلّا بأسبابها، والأسباب لابدّ من اتّصالها بمسبّباتها، والأمور العظام لا تُنال بالمُنى ولا تُدرَك بالهوى. واستعينوا في كلّ صنعة بأربابها ﴿وأتُوا البُيوتَ مِن أبوابِها﴾ فإنّ التمنّي بضاعة الهَلكىٰ.

«كُن مَصقولاً كالمرآة ثُمّ اطلُب وصال ذوي الطَّلَعاتِ الملائكيّة، اكنِس البيت وأعِدَّه ثمّ ابحَث عن الضيف»[٣]

«لأنّك لم تكن مؤهّلاً للفَيض، فلا تبحث عن الوصال، فإنّ مرآة جمشيد[٤] لا تنفع إذا كنت أعمى»[٥]

ينبغي أوّلاً طلب الهداية من المرشد الأوّل وهادي السبل، والتمسّك بأذيال المتابعة لائمّة الهُدى عليهم السلام، والإعراض عن

١ـ بحار الأنوار ١٤/٤١، ح٤؛ و١٨٦/٧٠، ح١.

٢ـ في المتن:

دو عالم را به يكبار از دل شك برون كرديم تا جاى تو باشد

٣ـ في المتن:

آئينه شو وصال پرى طلعتان طلب جاروب كن خانه وپس ميهمان طلب

٤ـ مرآة الملك جمشيد التي يقال إنّه كان يرى فيها أحداث الدنيا، وربّما كانت هذه المرآة خريطة صنعها له أحد العلماء لتقدير الأحداث. وقد كانت تشتمل على خطوط هندسيّة واصطرلاب. (المعجم الذهبيّ مادّة: جام جم)

٥ـ في المتن:

چون مستعد نظر نيستى وصال مجو كه جام جم نكند سود وقت بى بصرى

العلائق الدنيويّة و السعي في تحصيل عشق المولى ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُم﴾ [١].

«متى كان عشق المولىٰ أقلّ مِن عشق ليلىٰ ؟ [فإن كنتَ لابدّ فانياً] فالفناء والمحو في عِشق المولىٰ أولىٰ» [٢]

* * *

«يكفي في العشق أن تكون أسيراً لغمّه، فلا تعطِ القلبَ لغيره ولا تَمِل إلى سواه» [٣]

فاجعل همومك إذاً همّاً واحداً، وضَع كلا رِجلَيك بجدّ واجتهاد على جادّة الشريعة، وآسعَ في تحصيل ملَكة التّقوى، أي لا تَحُم ـ حسب المقدور ـ حول الحرام والمُشتَبه والمباح قولاً وفعلاً وحالاً وخيالاً واعتقاداً، كي تحصل لك الطهارة الصوريّة والمعنويّة التي هي شرط العبادة، وحينها تكون العبادة مؤثّرة، ولا تكون محض صورة. ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِن المُتَّقِينَ﴾ [٤]، ولن تُقبل نفقاتُكم إن كنتم قوماً فاسقين [٥]

١ـ الأنعام: ٩١.

٢ـ في المتن:

عشق مولى كى كم از ليلى بود　　محو گشتن بهر او اَولى بود

٣ـ في المتن:

حاصل عشق همين بس كه اسير غم او　　دل به جائى ندهد ميل به جائى نكند

٤ـ المائدة: ٢٧.

٥ـ مقتبس من الآية ٥٣، من سورة التوبة المباركة: لن يُتقبّل منكم إنّكم كنتم قوماً فاسقين.

وما مَنَعهُ عَن قَبولِ صَدقاتِهم إلّا كَونُهم فاسقين »[١]

« لن يُقبل عملُ رجُلٍ عليه جِلبابٌ مِن حَرام »

« مَن أكل حراماً لن يقبل الله منه صَرفاً[٢] ولا عدلاً »[٣].

« تَركُ لُقمةٍ حرام أحبُّ إلى الله مِن ألفَي ركعة تطوّعاً »[٤].

« ردُّ دانقٍ مِن حرامٍ يعدِل سَبعين حِجّةٍ مَبرورةٍ »[٥].

وبالتدريج يتّسع الصدر للفهم الوسيع ﴿إن تَتَّقوا اللهَ يَجعَل لَكُم فُرقاناً﴾[٦]

﴿واتَّقُوا اللهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾[٧]

ولا يفرّط خلال هذا الوقت بدقيقة واحدة في الطّاعات المقرَّرة الواجبة والمندوبة كي تتقوّى روح القدس بمرور الزمن.

« نَحنُ نؤيّد رُوحَ القُدُسِ بالعَمَلِ الصَّالِحِ، والإيمانُ بَعضُه مِن بعضٍ »

فينشرح الصدر، ويقوّي نورُ العبادات البدنيّة نورَ الملَكات النفسيّة، ويقوّي نورُ الملَكات النفسيّة نورَ العبادات البدنيّة، فيصير نوراً على نور، والطاعة تجرّ إلى الطاعة.

١ـ اقتباس من الآية نفسها.

٢ـ الصَّرف: التوبة.

٣ـ بحار الأنوار ١٠٣/١٦، ح٧٢.

٤ـ بحار الأنوار ٩٣/٣٩٣، ح١٦.

٥ـ بحار الانوار: ١٠٣/١٢.

٦ـ الأنفال: ٢٩.

٧ـ البقرة: ٢٨٢.

فتصل الأحوال السابقة بأقلّ زمن إلى مرتبة (المقام)، وتحصل الملَكات الحسنة والأخلاق الجميلة، وتترسّخ العقائد الحقّة رُسوخاً كاملاً، وتجري ينابيع الحِكمة على لِسانه مِن ينابيع قلبه، فيُعرض بوجهه كليّاً عن غير الحقّ جلّ وعلا.

فإن كان عندئذٍ من زمرة السابقين استقبلته جذبةُ العناية وسَلَبته ذاته، ثمّ عوّضته تكريماً بـ«ما لا عَينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمِعتْ ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بَشَر»

وشاهد بعينه حقيقة ﴿إنَّكَ لا تَهدِي مَن أَحببتَ﴾[1] و﴿إنَّ الْهُدىٰ هُدى اللهِ﴾[2]، ويشاهد:

«إذا أرادَ اللهُ بِعَبدٍ خَيراً فَتَحَ عَينَ قَلبِهِ». ثمّ يصير السالك مجذوباً.

«إلٰهي تَرَدُّدي في الآثارِ يُوجِبُ بُعدَ المَزارِ، فاجْذُبني بَجَذبةٍ تُوصِلُني إلى قُربِك، واسلُكني في مَسالِكِ أهلِ الجَذبِ، وخُذ لِنفسِكَ مِن نَفسي ما يُصلِحُها»[3].

«جَذبةٌ مِن جَذَباتِ الرَّبِّ تُوازِي عَمَلَ الثَّقَلَينِ».

* * *

«إنّ أحداً لَم يَتضرَّر في المُعامَلةِ مَع الكَريمِ»[4]

١ـ القصص: ٥٦.

٢ـ آل عمران: ٧٣.

٣ـ من دعاء الإمام الحسين يوم عرفة، بحار الأنوار ٢٢٥/٨٩، ح٣.

٤ـ في المتن: ز سود ای کریمان هیچ کس نقصان نمی‌بیند.

* * *

«إذا أعان الطّالِعُ فسأتعلَّقُ بأذيالِه، فإن جَرَرتُ طربتُ، وإن جَرّني نِلتُ الشرف»[١]

* * *

«نحنُ لا نستطيعُ بُلوغَ ذلكَ المقامِ الرفيعِ، إلّا أن يُبادر لُطفُك فيشمَلنا»[٢]

* * *

«إذا كنتَ تُفكّر في هذه الدنيا بالجِياد والسُّروج، فسيكون مركبُك فيما بعد تابوتاً مِن خشب»[٣]

حتّى تهبّ نسائم الرحمة فتحمله إلى جزيرة من جزائر بحرَي الجمال والجلال التي تناسب استعداده وتليق بسعيه «إنّ لِلهِ في أيّامِ دَهرِكُم نَفَحاتٍ، ألَا فَتَعرَّضوا لَها» وهذه المراتب المذكورة هي منازل السَّير إلى الله والمجاهدة في سبيله.

﴿يا أَيُّها الإنسانُ إنَّكَ كادِحٌ إلىٰ رَبِّكَ كَدحاً فَمُلاقِيهِ﴾[٤].

١ـ في المتن:

طالع اگر مدد كند دامنش آورم بـه كـف ار بكشم زهى طرب ور بكشد زهى شرف

٢ـ في المتن:

نا بـدان مـنزل عـالى نـتوانـيم رسـيد هم مگر لطف شما پيش نهد گامى چند

٣ـ في المتن:

تا به دنيا فكر اسب وزين بود بعد از اينت مركبِ چوبين بود

٤ـ الانشقاق: ٦.

ثمّ بعد ذلك ﴿والَّذِين جَاهَدوا فِينا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا﴾ [١].

الذي سيكون مَعبَر السير في الله تعالى، ولا ضرورة لذِكره، بل ذِكره مضرّ.

«طرقتُ بابَ الدَّير، فجاءني النِّداء مِن الداخل: ماذا تفعل في الخارج؟! تعالَ الى الداخل»

«ذهبتُ إلى بيت القمار فوجدت الجميع قد خسروا في المقامرة، فلمّا وصلتُ إلى الصومعة وجدتُهم جميعاً زهّاداً مُرائين» [٢]

لأنّ الإيمان منازل ومراتب، فلو حمّلتَ على صاحب الاثنين ثلاثة فإنّه سيتقطّع كما تتقطّع البيضة على الصفا. رحِم اللهُ امرءاً عرف قَدْرَه ولم يتعدّ طَوْرَه.

«كيف تفهمُ منطق الطير وأنتَ لم تَرَ سُليمان ولو ليلةً واحدة» [٣]

﴿فَخُذ مَا آتَيتُك وكُن مِن الشَّاكِرِين﴾ [٤] و ﴿لَئِن شَكَرتُم لَأَزِيدَنَّكُم﴾ [٥].

١ـ العنكبوت: ٦٩.

٢ـ في المتن:

درِ دير می‌زدم من ز درون ندا برآمد — که تو برون چه کردی که درون خانه آئی؟
به قمار خانه رفتم همه پاکباز دیدم — چو به صومعه رسیدم همه زاهد ریائی

٣ـ في المتن:

تو چه دانی زبان مرغان را — چون ندیدی شبی سلیمان را

٤ـ الأعراف: ١٤٤.

٥ـ إبراهيم: ٧.

«مَن أُناشد عن الأحياء في هذا السبيل ؟ وعَن الباحثين عنْ ماء الحياة ؟»[١]

* * *

«لم أتحدّث إلّا بقَدر فهمِك، ولقد متُّ في حسرة الفَهم الصحيح»[٢]

رحمَ اللهُ امرءاً سمع قَولي وعَمِل فاهتدى.

اعلَم يَقيناً أنّك إن شرعتَ في السُّلوك على النَّحو المذكور ثمّ وافاك الأجل في مرحلة من المراحل، فستُحشر في زمرة ﴿ومَن يَخرُجْ مِن بَيتِه مُهاجِراً إلى اللهِ ورَسولِه ثُمَّ يُدرِكْهُ المَوتُ فَقَد وَقَعَ أَجرُه عَلَى اللهِ﴾[٣].

«إن كُنتَ رجُلَ سلوك، فقد دللتُك على الطريق»[٤]

﴿واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهدِي السَّبِيلَ﴾[٥].

كتبتُ ما حضرني لينفع في مقام العمل.

«مَن كان مِن أهلِ المدينةِ، فسيعرف مِن أين مصدر متاعنا»[٦]

«يا «جامي» واللهِ إنّ سبيل الهُدى ليس سوى العِشق؛ قُلتُ:

١ـ في المتن:

با كه گويم اندرين ره زنده كو — بهر آب زندگی پاينده كو

٢ـ في المتن:

آنچه من گفتم به قدر فهم توست — مردم اندر حسرت فهم درست

٣ـ النساء: ١٠٠.

٤ـ في المتن: گر مرد رهی رهت نمودم.

٥ـ الأحزاب: ٤.

٦ـ في المتن:

هر كس كه ز شهر آشنائيست — داند كه متاع ما كجائيست

لاتسألني أنا الثَّمِل وصف خمرة عشقي، فإنّك واللهِ لن تعرفَ ذوق هذه الخمرة حتىٰ تذوقها»[١]

والسلامُ علىٰ مَن اتّبعَ الهُدىٰ

١ـ في المتن:

جامی ره هدی به خدا غیر عشق نیست　　گفتیم والسلام علیٰ تابع الهدی
صفت باده عشقم ز من مست نپرس　　ذوق این بنده ندانی بخدا تا نچشی

فهرست الموضوعات

كلمة الناشر ٥

مقدّمة المعرّب ٩

ترجمة الشيخ المولى محمّد البيدآباديّ ١٢

ترجمة العارف الكامل آية الله العظمى الآخوند ١٦

ترجمة الآخوند المولى حسين قُلي الهمدانيّ ١٦

ترجمة الشيخ محمّد البهاريّ الهمدانيّ ٢٠

ترجمة السيّد أحمد الكربلائيّ ٢٢

ترجمة الشيخ إسماعيل تائب التبريزيّ ٢٤

ترجمة الشيخ حسن عليّ النخودكيّ الإصبهانيّ ٢٥

آداب التّوبة ٢٨

معنى التّوبة ٢٩

آداب المراقبة ٤٢

آداب الرِّفقة ٤٧

آداب السلوك مع الزوجة و العِيال ٥٩

آداب تربية الأولاد ٦٢
آداب الزيارة ٦٧
آداب الحجّ ٧٢
في صفات العلماء الحقيقيّين ٩٠
في أصناف المغرورين ٩٥
التعليمات العمليّة ١٠٦

المراسلات

المراسلة الأولى: تعليقة سطرها للحاجّ سيّد آقا سلّمه الله تعالى عند سفره إلى بَمبي ١١٧
المراسلة الثانية ١٢٠
المراسلة الثالثة: تعليقة سطرها لسفير بغداد ١٢٤
المراسلة الرابعة: سَطَرَ هذه التعليقة لأحد علماء أذربيجان ١٢٨
المراسلة الخامسة ١٣٢
المراسلة السادسة: تعليقة سطرها لأولاد ملِك التجّار في تبريز ١٣٦
المراسلة السابعة ١٤٠
المراسلة الثامنة: تعليقة سطرها للشيخ صائب التبريزيّ ١٤٣
المراسلة التاسعة ١٤٧
المراسلة العاشرة ١٥٠
المراسلة الحادية عشرة ١٥٥
المراسلة الثانية عشرة ١٥٩

المراسلة الثالثة عشرة ١٦٤
المرا سلة الرابعة عشرة ١٦٩
المراسلة الخامسة عشرة ١٧٤
المراسلة السادسة عشرة ١٨٠

الخاتمة

رسالة الحاج السيّد أحمد الموسويّ الحائريّ ١٨٧
ومنه أيضاً ١٩١
ومنه أيضاً ١٩٧
صورة التعليقة المباركة لسيّدنا و مولانا الحائري ١٩٩
سؤال عن شعر الشيخ العطار ٢٠٣
جواب المرحوم الآخوند الخراسانيّ ٢٠٣
جواب آخر من المرحوم السيّد أحمد الكربلائيّ ٢٠٤
رسالة الآخُوند الحاج المولى حسين قُلي الهمدانيّ لأحد علماء تبريز ٢٠٦
في الموعظة الحسنة ٢١٢
ومن كلامه ٢١٧
ومن كلامه أيضاً ٢١٨
ومن كلامه ٢٢١
ومن كلامه ٢٢٣
رسالة الحاج آقا محمّد البِيدآباديّ ٢٢٨